١٠٢٧١٠

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩/١٠ س ٢٢ الربيعان ١٤٠٨ ـ تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٧

لمحات عن :

جغرافية المملكة، والمواضع التاريخية

[ضمن محاضرات معرض المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم الذي أقيم في القاهرة في الفترة مابين ٢١/١٠/١٤٠٧هـ حتى ١٤/١١/١٤٠٧هـ (١٧/٦/١٩٨٧م ـ ١٠/٧/١٩٨٧م) ألقى رئيس تحرير هذه المجلة يوم ٢ ذي القعدة ١٤٠٧هـ (٢٩/٦/١٩٨٧م) هذه المحاضرة]

لَعَلَّ الإِخْوَةَ المشرفينَ على تنظيمِ هذا الْمَعْرِض ، وقد أدركوا أَنَّ المرءَ كُلَّمَا تقدمتْ به السنُّ تَضْعُفُ في نفسه البواعثُ والشهوات ، سوى شهوةِ الكلام ، نظروا إليَّ نظرةَ عطْفٍ وتقديرٍ فوقَ ما أستحق ، فأفسحوا لي هذا المجالَ الرَّحْبَ (جغرافية المملكة والمواضع التاريخية) لكي أُشْبِعَ نَهَمِي من تلك الشهوة ، ولكنْ هيهاتَ ، لقد حال الْجَرِيضُ دُونَ الْقَرِيض ، وأصبحتُ كما قال صَخْرٌ :

أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ . . .

وَلْنَحْمَدِ الله ـ أيها السادة ـ على كلِّ حال ، فلم يَمْنَحْنِي ـ يوما مَّا ـ من المعرفة مَا أُدِلُّ بِهِ عَلَيْكُمْ ، إِدْلَالَ الْمُحاضر على طُلَّابه ، ولم يَحْرِمْكُمْ منْ سَعَتِها ما يَسْمُو بكم عن مقاعد الدراسة ، فلا محاضرةَ تُتْلَى ، ولا معلوماتٍ مترابطةً منسقةً ، تكشفُ جوانِبَ مجهولةً من العلم ، ولكنها لَمَحَاتٌ موجزةٌ ذاتُ صلة بالموضوع ، اسمحوا لي أَنْ أُحادِثَكُمَ ـ أى أُشارِكُكُمُ الحديثَ فيها ـ فقد يكونُ مِنْ بينكم مَنْ هُوَ أَلْحَنُ بِالْحُجَّة ، وأَقْرَبُ إلى شَاكِلَةِ المحجَّة .

الأولى ــ التدوين الجغرافي للمواقع التاريخية في الجزيرة :

المتتبع لما بين أيدي الباحثين من مؤلفاتٍ بالدراسة يُدْرِكُ أَنَّ أُوْلَىَ المحاولاتِ لتدوين المعلومات الجغرافية عن بلاد العرب ، قام بها علماءُ التفسير ، وشُرَّاحُ الحديث النبوي ، ومُدَوِّنُو مغازي الرسول ﷺ وسِيْرَتِهِ ، لمحاولة إيضاح بعضِ الأمكنةِ التي جاء ذكرها في شيء من ذالك ، بما نقلوه عن علماء القرن الأول الهجري من أصحاب الرسول ﷺ أو تابِعيهم ، وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى مواضعَ تاريخيةٍ في بلاد العرب منها :

١ ــ الأيْكَـــةُ .
٢ ــ الحِجْـــر .
٣ ــ الـــــرَّسُّ .
٤ ــ الأَحْقَـاف .
٥ ــ الأُخْدُوْدُ ــ في نَجران .

وكلها في سياق الأخبار عن بعض الأمم الخالية .

٦ ــ وبَـــــدْرٌ .
٧ ــ وحُنَيْن . من مواقع غزوات المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وفي كتب التفسير نقولٌ كثيرةٌ في تحديد هذه المواضيع ، منسوبةٌ إلى كبار الصحابة كعلي وابن عباس ، وإلى مشاهير التابعين كقتادةَ وعِكْرمةَ والضحاكِ وغيرهم .

كما تَعَرَّضَ مؤلِّفُو كتب سيرة المصطفى ﷺ ومغازيه لمحاولة تحديد مواقعها ، وكلُّ ذالك مما بُدِئَ بتدوينه في القرن الأول الهجري ، وبلغ حَدَّهُ من النُّمُوِّ والكَمال في القرن الثاني .

ومن هذا يتضحُ أَنَّ بَدْءَ تدوينِ المعلومات الجغرافيةِ المتعلقةِ بجزيرة العرب كان ــ في أول أمره ــ ذَا صِبْغَةٍ دينية ، ولهذا جاءتِ المعلوماتُ غيرَ وافيةٍ بالغرض الذي يتطلبه الجغرافيُّ المتعمقُ في بحثِه ، فالقرآنُ والحديثُ يشيرانِ من إيراد الحادثة التاريخية إلى

مُجَرَّدِ العظةِ والعبرة ، ولا يسوقان الحادثة لمجرد كونها حادثةً تاريخية ، بل يكتفيان بذكْرِ مَكانِ العبرة والاتعاظ ، وسار علماءُ القرنِ الأول في إيضاح المواضع التاريخيةِ على هذه الطريقة ، فجاء كلامُهُمْ في كثير من الأحوال أقربَ إلى الشمول منه إلى التحديد الدقيق للموضع التاريخي ، بل وقع في تحديدهم لكثيرٍ من المواضع اضطرابٌ شديدٌ ، وتصحِيفٌ في الأسماء .

وفي القرن الثاني الهجري نجدُ طائفتَيْنِ من العلماءِ ، بالإضافة إلى علماء الدين ــ عُنِيَتَا بتدوين مايتعلق بأماكن جزيرة العرب .

١ ــ طائفة تفرغَتْ لدراسة تاريخ العرب ، وتسجيل أخبارهم وآثارهم ، وعلى رأس هاؤلاءِ محمد بنُ السائب الكلبيُّ ــ المتوفَّى في عام ١٤٦ ــ وابنه هشامٌ المتوفَّى سنة ٢٠٤ ــ وقد خلَّف هذانِ العالِمانَ ثروةً عظيمةً من المؤلفات التاريخية عن العرب ، وصل إلينا منها قسم لا يستهان به ، في أربعة كتب هي كتابُ « الأصنام » و « كتابُ الخيل » وكتاب « جمهرة النسب » وكتاب « نَسَبِ مَعَدٍّ واليمن ، الكبيرُ » .

٢ ــ والطائفةُ الثانيةُ التي عُنِيتْ بدراسةِ مواضع الجزيرة وتحديد أماكنها : عُلماءُ اللغةِ والأدب ، فقد بدأ تدوينُ مفرداتِ اللغة في هذا القرن ، وشرع العلماءُ أوَّلَ ماشرعوا بجمع الشعرِ العربي ، ليتخذوا منه مادَّةً لدراسةِ اللغةِ ، واستخلاصِ قواعِدها من نحوٍ وصرف ، وترتيبِ مفرداتها ، وقد أدركوا أنَّ فَهْمَ هذا الشعرِ يحتاج إلى معرفة مواضع ماورد فيه من أسماءِ الأمكنة ، وقد كان الشعرُ ــ ومايزالُ ــ أوْسعَ سِجِلٍّ حَفَلَ بِجُلِّ مافي الجزيرة من جبال وأودية ، وقُرى ومياهٍ ، ورياض وسهولٍ ، ورمالٍ وصحاري ، ومفاوزَ وقفارٍ ، فكان علماء اللغة والأدب يتلقون عن رواة الشعر ماحفظوه ، ثم يتلقفُون من أفواهِ الأعراب الذين يَفِدوُن على الحواضر تَفْسِيرَ ذالك الشعر ، وتَحْدِيْدَ معانِيْهِ ، وإيضاحَ مواقِعِ الأمكنة الواردة فيه ، بل يرحلون إلى البوادي لكي يتلقوا ذالك عن سكانها ، حتى كان علماءُ اللغة من أهل البصرة يفاخرون علماءَ الكُوفة وبغدَادَ ــ وعلماءُ هذه الحواضر الثلاث هم أول من بدأ بتدوين هذه العلوم ــ فينقل ابنُ النَّدِيم عن ابن

دُرَيْدٍ قال : رأيتُ رجلاً في سُوق الورّاقِينَ في البصرة ، يَقْرأُ « إصلاح المنطق » لابن السِّكِّيت ، ويُقَدِّمُ الكوفِيِّنَ ، فقلت للرِّياشيِّ ــ توفي ٢٥٧ ــ وكان قاعداً في الورّاقين ماقال ، فقال الريَاشيُّ : إنما أَخَذْنَا اللغة مِنْ حَرَشَةِ الضِّبَاب وأَكَلَةِ اليرابيع ، وهاؤلاء أخذُوا اللغةَ من أهل السواد ، وأَكَلَةِ الكواميخ والشواريز ــ الكواميخ : الْأُدُمُ . والشواريز : الألبان الرائبةُ المستخرجُ ماؤها ــ والمعلوماتُ الجغرافيةُ التي وصلت إلينا من آثار علماء هذا القرن هي مانجده في تضاعيف كتب اللغة والأدب ، بدون ترتيب ولا تبويب .

وفي القرن الثالث الهجري بدأ التدوينُ الجغرافيُّ عندَ العرب ، ووصل إلينا من ذالك مجموعاتٌ على جانبٍ من الأهمية ، بحيث يصحُّ اعتبارها أصولاً لجغرافية جزيرة العرب ، ومراجِعَ استقىَ منها كلُّ من جاء بعد هذا القرن من علماء الجغرافية ، منها كتاب « جزيرة العرب » للأصمعي وكتاب « مناهل العرب » أو « بلاد اليمامة » لمحمد بن إدريسَ بنِ أبي حفْصة ، وكتاب « جبال تهامة وسكانها ومافيها من القرى » لعرام بنِ الأصبغ السلمي ، وكتاب « بلاد العرب » لِلُغْدَةَ الأصبهاني .

والأَصمعيُّ أيها السادة ــ هو العالم اللغوي والأديب المعروف ، الذي ضرب بسهم وافر في كل نوع من أنواع العلوم في زمنه ، وأسهم في تدوين علوم اللغة والأدب ، حتى بلغتْ مؤلفاتُه قريباً من خمسين كتاباً ، سرد أسماءها صاحب «الفهرست» وقد توفي سنة ٢١٧ وهو من قبيلة (بَاهِلَةَ) التي لاتزال بقيةٌ منها في مواطنها القديمة في عالية نجد ، وكتاب «جزيرة العرب» اطلع عليه ياقوتُ الحمويُّ برواية ابنِ دُرَيْدٍ عن عبدالرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه الأصمعي ، وقد نقل عنه البكريُّ وياقوت فأكثرا النقل ، ويَظْهَرُ للمتتبع للنقول الكثيرة التي أورداها أنَّ الأصمعيَّ استفاد في كتابه هذا من الأعراب الذين كانوا يفدون على الخلفاء في بغداد ، أو يأتون إلى البصرة ، وأضاف إلى ذالك معلوماتِهِ الخاصة أثناءَ أسفاره في الجزيرة ، وقد رَتَّبَهُ على أساسِ ذكر منازل القبائل ، فإذا ذكر منازِلَ القبيلة ومافيها من مياه وجبال انتقل إلى القبيلة التي تجاورها ، وقد أفاض

في الكلام على منازل القبائل التي كانتْ تسكن عاليةَ نجد ، كَأَسَدٍ وغَطَفَانَ ومُحَارِبٍ وسُلَيْمٍ وقَيْسِ عَيْلَانَ ، وبعضِ القبائل النجدية ، أما عن الحجاز فقد أشار إشاراتٍ موجزةً إلى بعض الأماكن الواقعةِ بقرب مكة فيما بينها وبين الطائف ، ولم يذكر شيئاً عن القسم الجنوبي من جزيرة العرب ، ولا عن الساحل الشرقي للجزيرة ، الأحساء ونواحيه سوى إشارات موجزة جـداً .

وأما الحفصيُّ صاحب كتاب «مناهل اليمامة»[1] ، فاسمحوا لي ــ أيها الإخوة ــ أن أطيل الوقفةَ عند هذا العالم المغمور ، إنه محمد بنُ إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حَفْصة ، واسمه يزيد ، ويزيد هذا سُبِيَ مِنِ اصْطَخْرَ من بلاد فارس ، حينما فُتِحَتْ في عهد عمر بن الخطاب ، فاشتراه عثمان ، ثم وهبه لكاتبه ووزيره مروانَ بنِ ٱلحَكَمِ ، وفي أثناء الثورة على عثمان رضي الله عنه ، دافع يزيدُ عن سيده مروانَ يوم الدار ، فأعتقه ، وزوجه جارية له ، كانت له منها بنت اسمها حفصة فحضنها يزيد ، وكُنِّيَ بها ، وحينما ولي مروانُ المدينةَ في أول العهد الأموي وَجَّهَ مولاه أبَا حفصة هذا إلى (اليمامة) وكانت في ذالك العهد مضافةً إلى أعمالِ المدينة ، لجبايةِ خراجها وحَمْلِهِ إليه ، وقد أقام أبو حفصة هذا في ٱلعَرْضِ (وادي الباطن) وتزوج مولاةً لبني عامر بن حنيفة في حَجْرٍ قاعدة اليمامة (الرياض) فَوُلِدَ له أبناءٌ تناسلوا وكثروا ، ونبغ من بينهم شعراء ، منهم مروانُ بن أبي حفصة ، ومروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، وحفيده مروان بن يحيى بن مروان الذي ولي اليمامة في عهد المتوكل (٢٣٢ ــ ٢٤٧هـ) وقد حظيتْ هذه الأسرةُ بسبب انتسابها بالولاءِ إلى بني أمية بتقديرِ خلفائِها الذين مَكَّنُوا أوائِلَهَا من الاستقرار في اليمامة ، وأسندوا إليهم جبايةَ خراجها ، ثم بعد أن نبغ منها أولئك الشعراءُ وفدوا على الخلفاء العباسيين ومَدَحُوهم ، ومدحوا وزراءهم من البرامكة وغيرهم ، فازداد نفوذُهُمْ وقوي مركزهم في هذا الإقليم[2].

والمقتطفات التي حفظها لنا ياقوت الذي نقل عن الحفصي أكثر من ١٨٠ مرة في معجمه تحوي معلوماتٍ قيمةً عن الأماكن الواقعةِ في اليمامة ، كما تدل على تَمَكُّنِ ابنِ أبي حفصة من الأدب وسعة اطلاعه[3]، ويَظْهَرُ أنَّ طريقَتَهُ في تأليف كتابه أن

يذكر البلدَ أو المنهل ، فإذَا وصفه ذكرَ أقربَ مكانٍ إليه ، وقد يَصِفُ الطُّرُقَ من اليمامة إلى مايجاورها من البلاد كطريق اليمامة إلى مكة ، وطريق حَجْرٍ إلى البصرة ، وطريق اليمامةِ إلى هَجْر ، وطريق البصرة إلى مكة(٤).

والمجموعة الرابعة التي وصلت إلينا من آثارِ أهل القرن الثالث الهجري في جغرافية جزيرة العرب كتاب «بلاد العرب» لأبي علي الحسن بن عبدالله الأصفهاني المعروف بِلُغْدَةَ .

وكتابه هذا جَمَعَهُ من أفواه الأعراب الذين يَفِدُوْنَ على أمراءِ اصْفَهَان ، وقد يكون أَصْلُهُ ماجمعه الأصمعيُّ ، مع إضافات يسيرة ، وقد رتَّبَ الأصفهانيُّ كتابَهُ ، بِحَسَبِ تجاوُرِ القبائل في منازلِها ، وقد يتخذُ من وصف طرق المدن ما يشذُّ به عن تلك القاعدة .

ومن هذا العرض الموجز لما وصل إلينا من آثار علماء القرن الثالث الهجري عن جغرافية الجزيرة يبدُو أنَّ المرحلةَ الأولى من مراحل التدوين بَدَأَتْ بجمع المعلوماتِ الجغرافيةِ كيفما اتفقَ الجمعُ بدون ترتيب .

ثم حاول العلماءُ أن يتخذِوا من تقارب الأمكنِة طريقةً يسيرونَ عليها في ذالك كما في رسالة عَرَّامٍ ، وجاء آخرون فاتخذوا من القبيلة أساساً لجمع معلوماتهم عن المنازل والمناهل الخاصة بهذه القبيلة ، وبعدَ تَعْدَادِها ووصفِها ينتقلون إلى القبيلة الأخرى التي تجاورها كالأصمعي والأصفهاني .

ولكنَّ ابنَ أبي حفصة ــ كما يفهم من كتابه وبما عرف من نصوصه ــ حاول أن يتحدث عن إقليمٍ واسع بِذِكْرِ قراه ومناهِلِه وجبالِه وأوديتِه وطُرُقِه .

وفي القرن الرابع الهجري تبدأ مرحلةٌ أخرى في التدوين الجغرافي حيث يحاول أحدُ علماءِ هذا الفنّ وَضْعَ مُؤَلَّفٍ شاملٍ لجغرافية جزيرة العرب ، ذالكم ــ أيها السادة ــ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمَداني اليمني في كتابه « صفة جزيرة العرب » .

ولئن بَرَّزَ أَبُو محمد فيما كتب عن بلاده ، فإنَّ نصيبَ غيرها من أقطار الجزيرة

لاتَعْدُو لُمَعًا موجزةً ــ باستثناء جنوب نجد المتصل باليمن ــ ومعلوماتٍ تَلَقَّفَهَا بدون تنسيق أوترتيب أو تثبت .

وعاصَرَ الهمدانيَّ عالِمانِ جليلان لهما أثرٌ واضحٌ في تدوين المعلوماتِ الجغرافية عن جزيرة العرب ، وإنَ لم يكونا من علماء الجغرافية ، أحدهما أديب والثاني لُغَوِيٌّ .

فالأول : أبو علي هارون بن زكرياء الهجري ــ من هجر البحرين ــ وقد عاصر الهمدانيَّ واجتمعا في مكة حوالي سنة ٣٠٧ وكان الهجري مقيماً في المدينة يؤدب أبناء أحد أمرائها ، فكان يتلقى عن الوافدين إلى المدينة من أعراب الجزيرة نوادِرَ اللغة ، ويأخذُ عنهم علومَهم ، ويروي مايحفظونه من أشعارِهم ، ويسألهم عن حدود بلادهم وأوصافها ، فيدون جميع ذالك ، وقد وصل إلينا مما دونه الهجري معلومات قيمة[٥] ، منها مانجده في بعض المؤلفات القديمة منسوبا إليه ، ومنها ماحواه الجزء الباقي من كتابه المعروف باسم « النوادر والتعليقات » أو « نوادر الهجري » وهو كتاب سار فيه على طريقة من تقدمه من علماء الأدبِ الذين يتخِذُونَ من الشعر مادَّةً للعلوم من لغةٍ وأدبٍ ، وتاريخ ونَسَبٍ وغيرها ، وأورد في طَوايَا ذالك فصولاً في تحديد الأمكنة ووصفِها ، على جانب عظيم من الدقة ، وحسبنا أن نشيرَ إلى الفصل الممتع الذي أورده أبو عبيد البكريُّ في تحديد حِمَى ضَرِيّة في « معجم ما استعجم » والذي يقعُ في أكثرَ من ثماني عشرة صفحة ، هو من كلام الهجري ، كما صرح بذالك السمهوديُّ المدني في كتابه « وفاء الوفاء » الذي نقل الفصل ملخصا عن كتاب الهجري مباشرة ، ونقل عنه أشياء كثيرة في تحديد المواضع .

والثاني : محمدُ بنُ أحمد الهرويُّ المعروف بالأزهري نسبة إلى جده أزهر ، صاحب كتاب « تهذيب اللغة » الذي عاش بين سنتي ٢٨٢ و٣٧٠ ، فقد سافر هذا العالم إلى الحج في عام ٣١٢ وكانت بلاد العرب تحت سيطرة القرامطة ، ولما كانت قافِلةُ الحجيج التي فيها الأزهريُّ في الْهَبِير[٦] شَرْقِيّ الدهناءِ ، هجمتِ القرامطةُ على القافلةِ فوقع في الأسر ، ولكن رُبَّ ضَارَّةٍ نافِعَة ، يقول الأزهري في مقدمة كتابه

المطبوع في ١٣ جزءا : وكنت امْتُحِنْتُ بِالإِسَارِ سنة عارَضَتِ القرامطةُ الحجاجَ بالْهَبِيْر ، وكان القومُ الذين وقَعْتُ في سهمهم عربا عَامَّتُهُمْ من هوازن ، واختلط بهم أَصرامٌ من تَمِيمٍ وأَسَدٍ ، نشأوا في البادية ، يتتبعون مساقِطَ الغيث أَيَّامَ النَّجْعِ ، ويرجِعُونَ إلى أَعْدادِ المياه إلى محاضرهم زَمَنَ الْقَيْظ ، ويرعون النَّعَمَ ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائِحِهِمُ التي اعتادوها ، ولا يكادُ يقَعُ في مَنطِقِهم لَحْنٌ ، أو خطأ فاحش ، فبقيتُ في إسارهم طويلاً ، وكنا نَتَشَتَّى الدَّهْنَاءَ ونَتَرَبَّعُ الصَّمَّان ونَتَقَيَّظُ السِّتَارَيْنِ ، واستفدتُ من مخاطبتهم ومحاورة بعضهم بعضاً أَلفاظاً جَمَّةً ، ونوادِرَ كثيرةً ، أوقعت أَكْثَرَهَا في مواقعها من هذا الكتاب . انتهى .

ثم في القرن الخامس الهجري كان على رأس العلماء الذين عُنُوا بالمباحث الجغرافية عن الجزيرة العربية عالم ، عاش في الأندلس ، بعيداً عن هذه الجزيرة ، ولكنه أَسْدَى إليها يَداً كريمةً باتجاهه إلى جمع المعلومات الجغرافية التي تتعلق بها ، وترتِيبِها ترتيبا منظما ، يُيَسِّرُ للباحثين الاطلاعَ على تلك المعلومات بِيُسْرٍ وسُهُولة ، هو أبو عُبَيْدٍ عبدُ الله بنُ عبدالعزيز البكريُّ الأندلسيُّ المتوفي سنة ٤٨٧هـ مؤلف كتاب « معجم ما استعجم » من أسماء البلاد والمواضع ، وفي مقدمته قال : هذا كتاب ذكرت فيه جملة ماورد في الحديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحِرَار ، منسوبةً مجدَّدَةً ، ومبوبةً على حروف المعجم مقيدة .

وقد صدَّرَ الكتابَ بمقدمة نفيسة عن تفرق القبائل العربية عن ابن الكلبي ، وابن شَبَّةَ وأبي الفرج الأصفهاني وغيرهم .

وفي هذه المقدمة تلخيص لكتاب ابن الكلبي « افتراق القبائل » أورد نصوصا مفرقة منه ياقوت في معجمه .

ومع ما لهذا العالم الجليل من يَدٍ طُوْلَى ، بما قَدَّمَهُ من علم غزيرٍ في هذا الكتاب إلا أنني لا أجد غضاضةً من القول بأن البكري ــ طيب الله ثراه ــ لِبُعْدِهِ عن

الأماكن التي أَلَّفَ كتابَهُ لتحديد موقعها ، ولكونه عَوَّلَ على النقل من الكتب لم يسلمْ كتابُهُ من التحريف والتصحيف ، فوقع فيه الشيءُ الكثير منها ، بحيث لايستطيع المتثبِّتُ في البحثِ الاعتمادَ على كثيرٍ مما جاء في هذا الكتاب بدون الرجوع إلى غيره ، ويُضَافُ إلَى هذَا أنَّ البكريَّ ــ رحمه الله ــ قد ينقل نصوصاً طويلة عن كتبٍ قديمةٍ ، ولا يَنْسِبُ إليها ، كما فعل مع الْهَجَرِيِّ ــ كما سبق ــ ولم يذكره في كتابه هذا إلا في موضع واحد ، في مسألة لغويةٍ لا صلة لها بالموضوع الذي نقله من كتابه ، وكذا فعل مع الهمداني بنقله من « الإكليل » و « صفة الجزيرة » ــ ولم ينسب إليهما في بعض المواضع .

ومع كلِّ ذالك لا يسعُ الباحثُ المنصفُ تجاهُلَ ما لكتاب البكري هذا من قيمة علمية ، وما للبكري نفسِهِ من سعة الاطلاع التي مكنته من أن يُورِدَ جُلَّ مافي كتب الأدب واللغة ، وماذكره كثير من الشعراءِ المتقدمين من أسماء المواضع ، وأن يَضْبُطَها ضبطاً لغويا صحيحاً في الغالب ، ثم هو في كتابه هذا قد يكونُ أولَ من رَتَّبَ أسماءَ المواضع على حروف المعجم ، وتلك مَزِيَّةٌ لاتنكر فائِدَتُهَا ، تضاف إلى غزارةَ مادةِ هذا الكتاب بالنسبة إلى ما أَلَّفَ قبله في موضوعه .

ثم يأتي الزَّمَخْشَرِيُّ محمودُ بنُ عمرَ المفسرُ المعتزليُّ المعروف (٤٦٧/٥٣٨هـ) الذى وُلِدَ قبل وفاة البكريِّ الأندلسي بعشرين عاماً ، (من خوازم في أقصى خراسان) فَيُجَاوِرُ في مكة ويقوم بتأليف كتاب «الجبال والأمكنة والمياه» ويسير على طريقة البكري في الترتيب على حروف المعجم ، ويخصص كتابَهُ هذا لمواضع بلاد العرب ، ويستقِي معلوماتِهِ من عالم من أبناء هذه البلاد هو السيدُ عُلَيٌّ بن عيسى ابن حمزة بن وَهَّاسٍ الحسني المكيُّ ــ المتوفي سنة ٥٥٦ .

وكتابُ الزمخشري هذا لايتجاوز أسماءُ المواضع التي أوردها فيه الأَلْفَيْنِ بكثير ، وهو مطبوع عدة مرات ، وميزةُ عملِ الزمخشري أنه تلقَّى بعضَ مافي كتابه من معلومات عن أهل البلاد أنفسهم ، وفيها على إيجازها من الفوائد مالا يوجد في كلام كثير من الذين كتبوا عن المواضع ، وخاصة مارواه عن تلميذه السيد عُلَيٍّ في

تحديد المواضع ، فهي على غاية من الوضوح لِأَنَّ ابن وهَّاسٍ هذا يتحدث عن خبرة ومشاهدة[٧].

وبعد الزمخشريِّ الذي توفي سنة ٥٣٨ ، لايجد الباحثُ شيئاً جديداً عن جغرافية جزيرة العرب ، سوى ماقام به العلامة ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي المتوفي سنة ٦٢٦هـ من جُهْدٍ ضخمٍ في تأليف كتابه العظيم ــ حين سُئِلَ سنة ٦١٥عن ضبط اسم حُبَاشَة[٨] وهو أشهرُ سوقٍ قديم للعرب في تِهَامة ، ورد في الحديث فقال : إنه بضم الحاء ، فانبرَى له رجلٌ من ٱلْمُحَدِّثِيْنَ فقال : إنما هو بالفتح ، فجدَّ في البحث عن صحة الضبط ، ثم أُلْقِيَ في رُوْعِهِ ــ على حـدِّ تَعْبِيره ــ افتقارُ ٱلْعَالِم إلى كتابٍ في هذا الشأنِ مضبوطاً وبِٱلإِتْقَانِ وتصحيح الألفاظِ بالتقييد مخطوطا ، فجمع «معجم البلدان» من تأليف من تقدمه من العلماء .

و«معجم البلدان» ــ أيها السادة ــ على غزارة مادته ، وجلالة قدر مؤلفه ، واحتوائِهِ على جُلِّ ماورد في كتب الجغرافية القديمةِ ، لايُضِيفُ جديداً في جغرافية الجزيرة العربية ، سوى ترتيبِ المعلوماتِ الجغرافية المتعلقة بها على حروف المعجم ، فياقوتُ المؤلفُ لَمْ يَأْتِ إلى هذه الجزيرة ، ومادَوَّنَهُ من معلوماتِهِ الخاصة عنها نادِرٌ جِـداً ، ومع نُدْرَتِه فهو مَشُوبٌ بِٱلأَخْطَاءِ ومن ذالك على سبيل التمثيل لا الحصر ، قوله عن (ٱلوَشْم) الإقليمِ المعروف في نجد : وأخبرنا بدويٌّ من أهل تلك البلاد أنَّ ٱلْوَشْمَ خَمْسُ قُرَى ، عليها سورٌ واحدٌ من لَبِنٍ ، وفيها نخل وزرع لبني عائذٍ لآل مَزْيَد ، وقد يُتَفَرَّعُ منهم ، والقرية الجامعة فيها ثرمداءُ ، وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الرِّيْشِ والمحمدية ، وهي بين العارض والدهناء . انتهى . وفي هذا النص الموجز من الأوهام مايُرْبِأُ بقدر ذالك العالم الجليل عن تَقَبُّلِهِ على عِلاَّتِهِ .

١ ــ فالوشْم إقليمٌ واسعٌ لايقلُّ طوله عن مئتي كِيْلٍ ، وعرضه يزيد على الخمسين .

٢ ــ وسكان الوشم ــ منذ القدم حتى العصر الحاضر ــ جلُّهُمْ بنو تميم ، ومعهم أَلْفَافٌ من القبائل الأخرى .

٣ ــ وموقعُ الوشم غَرْبَ العارض (عارض اليمامة المعروف الآن باسم طُوَيق) لاشرقه حيث تقع الدهناء .

وهو مع ذالك لم يَخْلُ من تصحيف كثير من الأسماء ، وقد يبلغ من شدة تحري المؤلف للصواب أن يوردَ ٱلاسْمَ مكرراً مختلف الحروف فاسم (رَنْيَة) قد يورده في (زِنْية) و(زِبية) و(زَيْنة) بدون همز .

يضاف إلى هذا أنه قد فاته كثيرٌ من أسماء المواضع التي ذكرها المتقدمون ، ممن رجع إلى مؤلفاتهم ، ولكن مما لاشكَّ فيه أن هذا المعجم حفظ لنا ثروةً عليمةً ضاعتْ أصولُها ، ولولا عملُ ياقوتَ في معجمه لَخَسِرْنَا بفقدها جانباً مُهِماً من تراثنا العلمي .

وعن كتاب «المؤتلف وضعا، المختلف صقعا» لياقوت نفسه فما هو سوى معلوماتٍ موجزةٍ عن الأسماءِ التي يُسَمَّى بها أكثر من موضع ، اجتزأها من معجمه الكبير ، ومنها ماأوقعه اختلاف وصفِ الموضع في الوهم .

وقد يسأل سائل : وماذا عن «مراصد الاطلاع» لعبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي الحنبلي (٦٥٨/٧٣٩) وهو مختصر معجم ياقوت ، الذي أعفاني من الإجابة بقوله ــ مستجيراً بالله من هذا العمل ــ : أَنَّ المُخْتَصِرَ لكتابٍ كمن أقدم على خَلْقٍ سَوِيٍّ فقطَّعَ أطرَافَهُ ، فتركه أَشَلَّ اليدينِ ، أَبْتَرَ الرجْلَيْنِ ، أَعْمَى العينين .

الثانية : توقف الدراسات الجغرافية في هذا المجال :

مما تقدم يمكن استنتاج مايلي : ــ

١ ــ افتقار الباحث إلى مؤلف جغرافي يُعْنَى بتحديد المواضع التاريخية في جزيرة العرب وَحْدَهَا ، فكلُّ مؤلَّفٍ من المؤلفات التي تقدم ذكرها يتناول ــ في الغالب ــ ناحيةً أو نواحِيَ من تلك البلاد ويترك نواحِيَ أخرى . . .

٢ ــ أَنَّ جُـلَّ المؤلفين المتقدمين لم يُدَوِّنُوا معلوماتِهِمْ عن خِبْرَةٍ ومُشاهدة ، بل

تلقوها من أفواه الرواة من الأعراب ، فجاءَتْ ناقصةً ، مشوبةً بالخطإ لنقلها عن مؤلفات دخلها التحريف والتصحيف .

٣ ــ أنَّ العلماءَ المتأخرينَ عندما أرادُوا تهذيبَ تلك المعلومات وتصفِيَتَها وتَرْتِيْبَهَا أعوزتهم المراجعُ الصحيحةُ المتقنةُ ، فنقلوا الأسماءَ على عِلاَّتِهَا في كثير من الأحيان ، ووقفوا أمامَها حائرين ، وأقرَأُ إنْ شِئْتَ في «معجم البلدان» ــ بعد كلام طويل عن (فَرْدَةَ): كذا ذكر جماعة من أهل اللغة ، ووجدتُّ بخطِ ابْنِ الفرات مُقَيَّداً في غير موضع قَرْدة ، بالقاف ، وقال الواقديُّ : ذو ٱلقَرْدَةِ من أرض نجد ، وقال ابنُ إسحاق : وسريةُ زيدِ بنِ حارثة الذي بعثه النبي ﷺ فيها ، حين أصابتْ عِيْرَ قُرَيْشٍ وفيها أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ على ٱلفَرِدَةِ ماءٍ من مياه نجد . كذا ضبطه ابنُ الفرات بفتح الفاء وكسر الراء ، وقال غيرُ ابنِ إسحاق : هو موضعٌ بين المدينة والشام ، وقال موسَى ابْنُ عُقْبَةَ : وغزوةُ زيدِ بن حارثة بثنيَّة القردة ، كذا ضبطه أبو نعيم بالقاف ، قال : وهذا الباب فيه نظرٌ إلى الآن لم يتحققْ فيه شيء . انتهى .

وأتى الإمام المحدث محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ) فكرر في كتابه «ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع» قول الإمام الحافظ أبي نُعيمٍ أحمد بن عبدالله الأصفهاني (٣٣٦/٤٣٠هـ) وهو قولٌ ذُو مدلولٍ عميقٍ عن توقُّفِ الدراسات الجغرافية المتعلقة بتحديد المواضع التاريخية منذ عهدٍ مبكر ، وهذا يرجع إلى أنَّ جزيرةَ العرب وهي موطنُ تلك الدراسات ــ انعزلتْ عن ٱلعَالَمِ مُنْذُ انتقالِ الخلافةِ الإسلامية منها إلى دمشقَ ثم إلى بغداد ، فبقيتْ مهملةً من جميع النواحي ، فعادَتِ الحياةُ فيها إلى طبيعتها قبلَ ٱلإسلام ، وهي الحياةُ القبليةُ المعروفةُ ، وكان من أثرها انتشارُ الفوضَى ، وعدمُ استتبابِ الأَمْنِ ، فَصَعُبَ الاسْتِقْرَارُ فيها لمواصلةِ تلك الدراسات ، وَضَعُفَتْ عنايةُ علمائِها وشُعَرَائِهَا بها ، ووجدوا في حواضرِ الخلافةِ مِنَ الاطْمِئْنَانِ وَرغَدِ العيشِ ما حملهم على الاستقرارِ فيها .

الثالثة : قصور الدراسات المتقدمة :

إنَّ لعلماءِ السلفِ من الهيبة والإجْلَالِ في النفوس ، ولهم من المنزلة العلمية مايوجب إسْدَالَ السِّتْرِ ضافِياً على ماشابَ ما وصل إلينا من المعلومات التي دونوها في مؤلفاتهم عن تحديد المعالم التاريخية في الجزيرة .

لقدْ بَذَلُوا الوُسْعَ ، وقَدَّمُوا مااستطاعُوا تقديمه ، واعتذرُوا عما وقع منهم من تقصير ، مُفْصِحِيْنَ عن أسبابه غير مُجْمْجِمِيْنَ ، فياقوتُ قد جَأَرَ بالشكوى حين ذكر مؤلفات العلماء الذين تَصَدَّوْا لذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية ، من طبقة أهل الأدب كالأصمعي والهمداني والكندي والكلابي ، فقال في مقدمة معجمه العظيم عنهم: (فأسماء الأماكن في صحفهم مصحفة مغيرة ، وفي حَيِّزِ العدم مُصيرة ، قد مسَخَهَا من نَسَخها) .

وبعده جاء الفيروزآبادي صاحب «القاموس» في كتاب «المغانم المطابة»[٩] حاذِياً حَذْوَ ياقوتٍ ، وسالكاً نَهْجَهُ ، فيما رسم ، فقال وقد أعجزَهُ تحديد موقع (فَدَكٍ) الواحة الواقعة في شرق واحة خيبر: (أين سقيفة بني ساعدة ؟ ، أَيْنَ ذُو ٱلْحُلَيْفَةِ الذي لايُعْرف اليوم إلا ببئر علي ؟ ولو سماه أحدٌ ذَا ٱلْحُلَيْفَةِ لكان كالمخترعِ له اسماً ، والْمُغَيِّرِ له لَقَبا ورسما .

وأغرب من ذالك أني سألت جماعاتٍ من أشرافِ المدينة الأُمَرَاءِ بها ، ومن الفقهاءِ والسُّوْقَةِ عن (فدك) ومَكَانِهَا فكلُّهُمْ عَنْ بَوَاءٍ واحِدٍ أجابُوا : بأنه لانعْرِفُ في بلادِنَا موضعاً يدعى فَدَك .

وهذه القرية لم تبرحْ في أيدي الأشرافِ والخلفاء ، يتداولونها ناسٌ عن ناس ، إلى أواخر الدولة العباسية) . انتهى .

إذَنْ فالأصولُ التي أمام الباحثين في تحديد المواضع التاريخية الواقعة في هذه البلاد ليست وافيةً ، وليس كلُّ مافيها من معلوماتٍ قائماً على أساسٍ صحيح ، ومؤلفوها معذُورُون أبلغَ العذر ، وجديرون بعظيم الشكر ، ورحم الله أحمدَ

شوقيٍ إذْ يقول :

فَـإنَّـا لَمْ نُـوَقَّ النَّقْصَ حَـتَّى نُـطَالِبَ بِـالْكَـمَـالِ الْأَوَّلِيْـنَـا

ومن هُنا لاغرابةَ إذَا وجدْنَا العلماءَ حين يتعرضون لتحديد موقع من تلك المواقع يسيرون سَيْرَ التَّائِهِ في صَحْرَاءِ المتنبي :

يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيْتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَـا ، كَـمَا تَتَلَوَّنُ الْحِـرْبَـاءُ

لا أريدُ أيها الإخوة أن أُغْرِقَ مسامِعَكُمْ بالرَّمِّ والطَّمِّ مما وقعَ في بعض مؤلفات المتأخرين من الاضطراب والخطأ والقصور ، وهم مع ذلك معذورون ، وبالشكر والتقدير حَرِيُّونَ ، واكتفي بتقديم أُنْمُوذَجَيْنْ من كتابينِ جليلينِ ، قد تدفعني هِيْبَةُ مُؤَلِفِيهما إلى إجلالهم ، بعدم ذكر أَسْمَائهم .

الأنموذج الأول : جاء في كتاب « المنتخب في تفسير القرآن الكريم » :

١ ــ ص ٢١٥ : (اتفق الثقات من أعلام المسلمين على أَنَّ الأَحْقَافَ بأرض اليمن) . وفي ص ٧٤٧ : (وموقع الأحقافِ مختلفٌ فيه ، وبعضُ المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعُمَان . . . وبعض المنقبين في الزمن القريب يَرَى أنه شَرْقِيَّ العقبة ، معتمدين على كتابات نبطية عثروا عليها في خرائِبِ مَعْبدٍ في جَبَلِ إرَم .

٢ ــ وفي ص ٥٣٦ : (وقد عبر الله عن قوم شعيبٍ مَرَّةً بأصحابِ الأيكة ، ومَرَّةً بأصحابِ الرَّسِّ). كَذَا مع أن الله سبحانه وتعالى ذكر الأُمَّتَيْنْ في آية واحدة مما يدل على تَغَايُرِهِمَا ، فقال في سورة ق : ﴿ كذبتْ قبلَهُمْ قَوْم نُوح وأَصْحَابُ الرَّسِّ وثَمُودُ وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لُوطٍ وأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

٣ ــ وفي ص ٢١٦ عن ثمود : (أما مساكِنُهم فالمشهور في كتب العرب أنها كانت بالْحِجْرِ، بِمَدَائِنِ صالحٍ . في وادي القُرى ، وقد زارها الاصْطَخْرِيُّ وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود ، أما المسعودي فقد ذَكَرَ أنَّ منازِلَهُمُ كانتْ بين الشام

والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي) الخ . أليس هذا الكلام مما يوقع في الشك والحيرة ، والحِجْرُ معروف قبل زيارة الاصطخريّ وبعده ، وبئرُ ثَمُودَ بل آبارُهُمْ وَرَدَتْ في خبر غزوة رسول الله ﷺ ـ تبوك ـ « البداية والنهاية » ٥/١٠ .

٤ ـ وفي ص ٣٨١ : (أصحابُ الْحِجرِ هُم ثمود والحِجْرُ وادٍ بين المدينة والشام) .

ومثل هذا تحديد موقع الرَّسِّ ، ففي ص ٣٨ : (الرَّسُّ كما في « مفردات » الراغب هو وادٍ ، واستشهد بقول الشاعر :

وهن الوادي (؟) الرس كَالْيَدِ لِلْفَمِ

٥ ـ وفي ص ٣٢٢ : (أرضُ مَدْيَنَ واقِعةً بين شمال الحجاز وجنوبِ الشام ، وفيهامكان كثيف الأشجار يسمى الأيكة) .

٦ ـ وفي ص ٥٧٨ : (مَدْيَنُ قريةُ شعيب) .

وعلى هذه الأقوال فَمَدْيَنُ وَالْأَيْكَةُ والرَّسُّ موضعٌ واحد ، وهذا من أغرب الأقوال .

الأنموذج الثاني : من كتاب « السيرة النبوية »[١٠] الذي ألفه عالم من أجلِّ علماء المسلمين في هذا العصر ، وطبعه رئيس دولة عربية بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري بعد أن صُحِّحَ من قبل الهيئة المعنية بشؤون الدراسات الدينية ، ووزع على المهتمين بدراسات السيرة النبوية في اجتماع عامٍّ ضَمَّ عددًا كبيرًا منهم ، جاء في هذا الكتاب مانصه : (وغزا رسول الله ﷺ بنفسه غزوةَ الأَبْوَاءِ ، وتُسَمَّى بُوَاطًا كذلك ، وهي أول غزوة غزاها بنفسه) .

ومعروف أنَّ غزوةَ الأَبْوَاء غَيْرُ غَزْوَة بُوّاطِ ، وأن بينَ الْأَبْوَاءِ وبُوَاطَ مسافة تبلغ مئاتِ الأميال ، فالأولُ يقع بين المدينة وبين مكة ، والثاني يقع شمال المدينة بما يزيد على ستين كيلا .

الرابعة ـ وفي هذا العهد الزاهر الميمون :

والآن بعد أن وهبِ الله بلادَنا من الأَمْنِ والاستقرار والازدهار ما تغبِطُنَا به جميعُ أُمَمِ العالَمِ بدون استثناء ، وبعد أَنْ تعدَّدَتِ الجامعاتُ وتَنَوَّعَتِ الدراسةُ في مختلف العلوم واتَّسَعَتْ ، وتقدَّمَتْ وتطوَّرَتْ ، بتطور حياة هذا العالم ، متأثرة بمؤثراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، سوى هذا الفرع من فروع المعرفة المتعلق بتحديد المواضع ، التي تعين معرفة مواقعها على فهم القرآن الكريم ، وأماكِن السيرة النبوية ، مع الإحاطة بمعاني النصوص اللغوية في مصادرها الأولى ، وهو الشعر القديم الذي كان مَهْدُهُ هذه البلاد .

ولكنَّ تباشِيْرَ الأملِ قد بَدَتْ في هذا العهد الميمون ، فلم تَقِفْ رعايةُ الدولةِ على ما تُنْشِئُ من معاهدَ للعلم ، وجامعاتٍ ومراكزِ بَحْثٍ ودراسةٍ بل عمَّتْ وشَمَلَت .

وكان من أَثَرِ ذالك أن قامت وِزارةُ الإعلام بتوجيه من قائد الأمة المفدَّى خادِمِ الحرمين الشريفين ــ أعزه الله ورعاه ــ برعاية القيام بتأليف معجم تاريخي جغرافي شامل ، دأبتْ مجلة « العرب » منذ إنشائها تدعو لتأليفه[١١] ، وقد بَدَأْتُ بذالك بمشاركة بعض الإخوة، وحذا حَذْوَنا إخوةٌ آخرون، فكان من أَثَرِ ذالك أنْ شَمَلَتِ الدراسةُ جوانِبَ واسعةً من هذه المملكة السعيدة المترامية الأطراف ، فأصبح الباحث في هذا النوع من الثقافة يجد أمامَهُ أكثر من عشرين مجلدا[١٢] حاول مؤلفوها أن يقدموا خلاصة مشاهداتهم ودراساتهم مما يوضح مواقع كثير من المواضع التاريخية في هذه المملكة .

حمـد الجاسـر

الحواشي :

١ ـ كذا سماه ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » حين عده من مصادره ، وفي رسم (روضة القطا) سماه « مناهل اليمامة »، وفي كتاب « المشترك وضعا ، المختلف صقعا » لياقوت سماه « كتاب اليمامة » في رسم (الخارجية) .

٢ ــ انظر مجلة « العرب » س ١ ص ٦٧٣ .

٣ ــ انظرها كلها في مجلة « العرب » س ١ ص ٧٦٩ ←

كتاب وملاحظات :

الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري

الدكتور عفيف عبدالرحمن الأستاذ المساعد بدائرة اللغة العربية وآدابها بجامعة اليرموك بالأردن . بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١ ــ ٦٦٣ ص

١ ــ هو جهد ولاشك ، ولكنه مما ينوء به باحث واحد من قطر واحد .

---

٤ ــ « معجم البلدان » رسم (الحنظلة ــ قرما ــ الخربة ــ روض القطا ــ الوحيد ــ المعا ــ الحفير) .

٥ ــ أفردتها في مؤلف دعوته « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » أغار عليه أحد (المُتَمَعْلمين) فـ (تَدَكْتَرَ) ــ انظر مجلة « العرب » س ١٦ ص ٣٢١/ ٤٨٥/ ٦٥٤/ ٨٠٧/ وس ١٧/ ص ١٠٣/ ٢٦١/ ٤٢٨/ ٥٨٤/ ٧٥٩/ ٨٤٢ وس ١٨ ص ٧٠/ ٢١٤/ ٣٨٢/ ٥٠١/ ١٠٦٢ وس ١٩ ص ٦٨ بعنوان (الدكاترة والعبث بالتراث) .

٦ ــ انظر عن تحديد هذا الموقع (قسم شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وص ٢١٤ من كتاب « الجوهرتين » الذي حققته ونشرته ولايزال الموضع معروفا .

٧ ــ انظر مثلا (بُوانَة) : في كتاب الزمخشري ، و (الثُّلبُوت) في « معجم البلدان » .

٨ ــ انظر عن تحديد موقع حباشة « العرب » س ٢٠ ص ٢٨٩ .

٩ ــ ص ٨٢ .

١٠ ــ ص ٢٣٨ .

١١ ــ « العرب » س ٢ ص ٤٨١ ، ٤٨٤ ذو الحجة سنة ١٣٨٧هـ .

١٢ ــ منها :

١ ــ مقاطعة جازان تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في ٤٨٦ صفحة .
٢ ــ بلاد غامد وزهران للأستاذ على بن صالح الزهراني في ٣١٦ صفحة .
٣ ــ عالية نجد للأستاذ سعد بن جنيدل (٣ أجزاء) في ١٣٩٠ صفحة .
٤ ــ بلاد القصيم للأستاذ محمد العبودي (٦ أجزاء) في ٢٦٣٢ صفحة .
٥ ــ شمال المملكة تأليف حمد الجاسر (٣ أجزاء) في ١٣٦٨ صفحة .
٦ ــ المنطقة الشرقية تأليف حمد الجاسر (٤ أجزاء) في ١٩٩٨ صفحة .
٧ ــ معجم اليمامة للأستاذ عبدالله بن خميس (جزءان) في ١٢٦٢ صفحة .
٨ ــ المعجم الجغرافي المختصر للبلاد العربية السعودية تأليف حمد الجاسر في ١٥٦٠ صفحة ، يحوي (١٦١٠٦) هي أسماء المدن والقرى والهجر والموارد في المملكة إلى سنة ١٣٩٥هـ مع مقدمة وافية عن الاقسام في المملكة (الإمارات) .

٢ ــ أدخل فيه علم البلاغة فزاد من تعقيد الموضوع ، والبلاغة علم مستقل لا بأس في أن يصنع فيه كتاب مستقل : الجهود البلاغية . . . الخ .

٣ ــ أدخل كتباً هي خارج الموضوع ، وكأنه يعتمد على عنوانها أكثر من الرجوع إليها . ففي باب (جهود المستشرقين في تحقيق التراث اللغوي) يرد ص ٤١٠ : (ابن حجر العسلاني (يقصد العسقلاني) ٢٥١٩ ــ الدرر الكامنة . . .) ومعلوم أن « الدرر الكامنة » كتاب تراجم « وطبقات » وعنوانه الكامل : « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ولو كان الأمر كذالك ــ وما هو كذالك ــ لذكرنا « وفيات الأعيان » لابن خلكان بل « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » للسخاوي . . . وهكذا .

ويرد ص ٤١١ (الدينوري ــ أبو حنيفة ١٥٣١ ــ « الأخبار الطوال ») وهو كتاب في التاريخ .

ويرد في باب (علوم البلاغة) ، ضيف ، أحمد ١١٣٣ ــ مقدمة كدراسة بلاغة العرب ، القاهرة ، مطبعة السفور ١٩٢١ ــ ١٨٧ ص) وماهو بكتاب بلاغة ولكن الدكتور أحمد ضيف يدعو لإحلال كلمة (بلاغة) محل (الأدب) فكتابه « مقدمة لدراسة أدب العرب . . . »

ولوكانت المسألة مسألة اسم ، لطالبنا بكتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » (ط . القاهرة ١٩٢٤) والبلاغة منه في العنوان وليس في الدلالة والمحتوى .

على حين ذكر لجبر ضومط « الخواطر في المعاني والبيان » وصحيح العنوان بتمامه : « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » ، وله طبعة بيروتية بعد الطبعة القاهرية التي ذكرها وحدها .

كما ذكر ص٢١٨ كتاب أحمد حسن الزيات باسم « دفاعاً عن البلاغة » والصحيح : « دفاع عن البلاغة » واكتفى منه بـ « ط ٢ . : ١٩٦٧م » ولم يذكر ط ١ (١٩٤٥) .

٤ ــ ورد في أعمال المستشرقين الفرنسيين ــ (هربلو (ت ١٦٩٥م ٢٩٠٠ ــ المعجم : دائرة معارف شرقية) لم يذكر مكان الطبع أو تاريخه ، ويحدث هذا له كثيراً بسبب من (ضخامة) البحث ، ولكنه غير صحيح .

ثم ان كتاب هربلو (أو أربلو) لم يكن بالعربية ، وإنما بالفرنسية . . وكان المفروض أن ينص صراحة على اللغة التي وردت عليها أعمال المستشرقين . . وما كان منها خصوصاً باللغة العربية وإلا ثبت بلغته .

٥ ــ في باب (التراث تحقيقه وشرحه ونشره) ص ١١٨ ــ فاتته شروح لا تحصى للدواوين والمجاميع ، وإذا كان قد أغفلها عن عمد وذالك غير صحيح لأنه وضع لها عنوانا ، ولأنها أدخل بالجهود اللغوية من (البلاغة) . . . ولــم يرد شرح لأي ديوان .

ومن أبسط ما يلاحظ أنــه ذكر (الأخفش الأصغـر ٤٠٢ ــ كتاب الاختيارين . . .) وفاتته ــ فيما فاتته ــ شروح « حماسة » أبي تمام .

٦ ــ ذكر في باب (المعجم العربي) ص ١٧٣ (الهلالي ، عبدالرزاق ٧٨٦ ـ معجم العراق ، بيروت ١٩٥٦م ــ في جزءين) ــ وما « معجم العراق » بمعجم لغة .

٧ ــ قلت إن العمل من (الضخامة) بحيث ينوء بحمله فرد ، وأقل مايعني هذا ما يتعرض له الكتاب من فوات ، وما يقصر دونه من حصر ــ ولا أريد ان أدخل لعبة (الاستدراك) تاركها للمؤلف نفسه ، ولمن يهمهم الموضوع مباشرة ، وإلا لذكرت ــ فيمن ذكرت ــ محمد سرور الصبان في كتاب« المعرض » ، و« اصلاحات في لغة الكتابة والأدب » لعبدالقدوس الأنصاري . . . وقس على ذلك . . .

وإذا كانتِ مصر مشهورة جدًّا ، وان محمود تيمور مشهور كذالك ، ورد في الكتاب مراراً . . . ولكن كتابه « معجم الحضارة » كم يرد كتاباً . . . مع أنه مطبوع في القاهرة ، المطبعة النموذجية ١٩٦١ .

وذكر لمصطفى جواد « قل ولا تقل » ولكنه لم ينص على أنه الجزء الأول ، وذكر له « فقه اللغة » ولا أحسب ان له كتابا مطبوعاً بهذا الاسم .

٨ ــ قلت اني لم أرد لنفسي أدخلها في (لعبة) الاستدراك ، لأن ذالك عمل قائم برأسه ومع هذا أقول إني لم أر بين المجلات التي رجع المؤلف الفاضل إليها مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها اللغوي المشهور الأب انستاس ماري الكرملي !!

٩ ــ وفي فهرس الأعلام تجد ص ٥٤٤ : أمين ، أحمد . . . وهويرد كذالك في صلب الكتاب ست مرات . والأمر غير صحيح لأن (أمينا) ليس اسماً لوالد أحمد ، أو لقباً لأحمد ، وانما الاسم (أحمد أمين) اسم واحد لشخص واحد هو أحمد أمين . . .

١٠ ــ الكتاب مرة أخرى ، مهم ، ولكن موضوعه ضخم لا يتحقق النجاح فيه إلّا إذا (توزع) العمل فيه مختصون باللغة من كل قطر . . . ومن ثم تجمع النتائج المجزّأة في كتاب واحد يقوم عليه (محرر) وليكن حينئذ الدكتور عفيف عبدالرحمن . .

أما الآن ، وقد قام الدكتور عفيف عبدالرحمن بقسط كبير ، فالمطلوب أن (يتنادىٰ) المختصون باللغة من كل قطر للاستدراك . . ليتحقق للكتاب طبعة جديدة مكتملة أو أقرب إلى الاكتمال . . أما إعادة طبع الكتاب ــ كما جرى فعلاً ــ باشراف مؤلفه وحده ، فلن يغير من الحقيقة كثيراً ، ولن يملأ الثغرات ويستدرك الفوات .

ويقال مثل هذا في أي موضوع واسع يتعدى حدود القطر الواحد ويفوق طاقة الفرد الواحد . . وإلّا جاءت الأعمال ناقصة وَوُصفنا بأننا لا نحسن العمل الجمعي ولا ندرك قيمة توزيع المهام . ثم مازلنا بعيدين جداً عن كُنْهِ (المنهج) معنىً ومبنىً . . وعما آلت إليه الأعمال (الواسعة) في العالم (المتحضر) منذ أيام ديدرو . . .

د. علي جواد الطاهر

مـدن الواحــة وقــراها

لو ألقينا نظرةً من الجوِّ على واحة القطيف ومدنها وقراها لترآى لنا شريطٌ أخضر ، يمتد على الساحل من الجنوب إلى الشمال ، ورأينا كُتَلاً بيضاء تتخلل هذا الشريط ، تارة تكون على مقربةٍ من الشاطيء ، وتارة متناثرةً في وسطه ، ونرى إلى الشمال من هذا الشريط قطعةً منفصلةً منه ، وأجزاء أُخرى صغيرة متفرقةً من الناحية الغربية ، وقطعةً أخرى تتوسط خليج (كيبوس)، وتقع في الجهة الشرقية .

أما الشريط الأخضرُ فهي الواحةُ ببساتينها الغنّاء ، وظلالها الوارفة ، وأنهارها الجارية .

وأما ٱلْبُقَعُ البيضاء التي تختلف في كبرها وصغرها ، والتي تتخلل هذا الشريط فهي مُدُنُها وقراها ، حيث تقع (سَيْهَات) على الساحل في الطرف الجنوبي ، تليها (عُنَك)، ثم مدينة القطيف ، أما القرى فتقع في قلب الواحة ، وهى (ٱلْمَلَّاحَة) و(الجُشُّ) و(أم الحمام) و(حِلَّةُ مُحَيْش) و(الجارودية) و(الخويلدية) و(التوبي) و(البِحَارِي) و(القُدَيْح) و(العَوَّامِية).

وأما الجزء المنفصل فهي مدينة (صَفْوَى) وواحتها والتي تفصلها عن الشريط سبخة صَفْوى ، وتقع إلى الغرب بعض الواحات الصغيرة .

(كأُمّ الساهك) و(أبو معن) و(الدُّريدي) و(مشعاب) و(الآجام) وغيرها .

وأما الجزء العائم في وسط البحر فهي جزيرة (تاروت)، والتي تحولت إلى شبه جزيرة في الوقت الحاضر .

١ ــ مدينة القطيف

تعتبر هذه المدينة من أعرق المدن التاريخية ، وإذا أُطْلِق عليها اسم القطيف فهو

من قبيل إطلاق اسم الكل على البعض ، كما يطلق اسم الشام على دمشق ، ومصر على القاهرة ، فهذا الاسم يشمل جميع الواحة بما فيها من مدن وقرى ، شأنه شأن اسم ٱلْخَطّ الذي يطلق على المنطقة الساحلية بأسرها ، وعلى هذه المدينة بالذات ، وذكر الطبريُّ بأن أردشير بن بابك (٢٢٢ ــ ٢٤١م) مؤسس الدولة الساسانية قد بنى مدينة بهذا الموقع ، وسماها (فسا اردشير)[١] وهي من جملة المدن التي بناها للتحصينات العسكرية ، وأعتقد أنها هي القلعة نفسها ، وتقول الرواية الفارسية : إن أردشير ابتنى هذه المدينة وسماها (بتن أردشير)، لأنه بنى سورها من جثث أهلها الذين شقُّوا عصا الطاعة ، فجعل سافاً من السور لَبِناً وسافاً جثثاً[٢]، وقد شاهدنا ونحن صغار بعضَ الجماجم في قلب جوانب السور المنهارة ، وسألنا كبار السن . فأخبرونا بأن السور بُنِيَ بجثث الأحياء . وهذا الخبر مصداق للرواية الفارسية ، وهي تدل على أنَّ تلك المدينة هي القلعة ذاتها ، وكما توحي بذالك الأسماء التي عَلِقَتْ بها حتى قبل ان تزال[٣] فـ(الدروازة) اسم فارسي كان يطلق على كل بَوابَةٍ فيها ، كما أن اسم (الخان) الذي هو بمعنى النُّزُل ، أو بيت الضيافة ــ كان يطلق على أحدِ أحيائها ، وهو الواقع في الجهة الغربية منها ، ويبدو من تخطيطها السابق أن البلاط الملكي كان يحتل الرقعة التي تتوسط القلعة ، يليه في الجانب الغربي الجنوبي قصور الضيافة (حارة الخان)، كما تقع حظائر المواشي في الجهة الغربية الشمالية (حارة الزريب)[٤]، وتحيط بالبلاط الملكى الحدائق الغناء ودوالى العنب[٥] بَدْءاً من مجرى (الكريدى)[٦] المجاور لجامع المنارة ، وانتهاءً بفريق الوارش في الجهة الشمالية .

وكانت مدينة الخط معروفةً حتى بعد ظهور الإسلام ، كما تحدثنا أخبارُ الرِّدَّةِ[٧] ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دَمَّرَتْ عاصفةٌ هوجاءُ مدينة القطيف القديمة ، التي كانت تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة ، فانتقل سكانها إلى هذا الموقع ، الذي يسمى بمحلة الصيادين سابقا ، فعمروه وأرخوا هجرتهم بكلمة (حجره)، أي سنة ٢١٦هـ[٨]، ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير مدينة الزارة[٩]، أي سنة ٢٨٣هـ ، فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها .

ولمدينة القطيف مدخلان رئيسان ، أحد هما في الناحية الجنوبية ، وهو الذي يتجه إلى الدمام ماراً بعنك وسيهات ، وثانيهما من الناحية الشمالية حيث يخترق الواحة ماراً بالعوّامية ، وصفوى باتجاه رأسِ تَنُّورَةَ والجُبَيل ، كما يوجد لها طريق ثالث يتجه غربا حيث يتصل بالطريق الصحراوي الرئيسي وهو المؤدِّي إلى قرية الأجام .

ومدينة القطيف تتألف من عدد من الأحياء القديمة والحديثة ، مُتَّصِلٌ بعضها ببعض ، فالأحياء القديمة كانت تعتبر سابقا بحكم الضَّوَاحِي ، لوجود فواصل وأسوار بينها وبين القلعة ، وهذه الضواحي هي الأحياء الموجودة الآن بمحاذاة شارع الملك عبدالعزيز ، وهي الشويكة ، والدبابية والكويكب ، والشريعة وميَّاس والمدارس ، والجراري ، وباب الشمال[١٠]، وجميعها في منطقة السوق .

أما الأحياء الجديدة فقد امتدَّتْ من جميع الجهات ، لا سيما في الناحية البحرية ، وقد كان للانفجار السكاني بالاضافة إلى ازدهار الوضع الاقتصاديِّ وإنشاء صندوق التنمية العقارية ، ومشروع تملك البيوت في (ارامكو) أكبر الأثر في امتداد العمران ، وانبثاق الأحياء الجديدة ، فالتهم العمرانُ البساتينَ المجاورة في أول الامر ، الشيء الذي دعا المسؤولين إلى أنَّ يضعوا له حَداً ، خشية على التهام الرقعة الزراعية ، فعمدوا إلى شق شارع المحيط غربا لتحديد الرقعة المسموح بها في البناء فانبثقت أحياء جديدة باسم البساتين التيالْتَهَمَهَاالعمران ، كحيِّ البستان والبديعة ، وباب الساب ، والشماسية والوسادة والمدني ، والدوبج والجعيلي والشبيب والحر والفلاتية والامارة وغيرها وحين ضاقت تلك الرقعة عن استيعاب حركة العمران عمدت الدولةُ إلى دفن البحر ، فنشأت مناطق جديدة ، كالمنطقة البحرية الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، والدخل المحدود ، بالإضافة إلى مناطق بحرية أخرى دُفِنت ، وهي في طريقها إلى العمران ، كالمزروع ، وحي الحسين ، والناصرة والمنيرة ومشارِي والتركية ، حيث اتصلت بجزيرة تاروت .

وتعتبر مدينة القطيف المركز الإداري لجميع مدن الواحة وقراها ، ففيها مركز الإمارة والشرطة وخفر السوا حل ، والنجدة والمرور والمطافيء ، والهلال الأحمر ، ورئاسة البلدية ، ودائرة أملاك الدولة ، والمالية ، ومكتب الضمان الاجتماعيً ومكتب الشؤون الاجتماعية ، وفيها فرع لوزارة الزراعة ، والبنك الزراعي ، ومندوبية لتعليم البنات ، وفيها مستشفى مركزي حكومي ، ومستوصف للرعاية الصحية ، وعدد من المستوصفات الاهلية ، والعيادات الطبية ، ومركز للتدريب المهني ، ومعهد للمكفوفين ، ومدارس للبنين ، منها ١١ مدرسة ابتدائية وثلاث متوسطة ومدرسة ثانوية عامة ، ومدرسة ثانوية تجارية ، ومدارس لتعليم البنات ، منها ١٢ مدرسة ابتدائية وثلاث متوسطة ، ومدرستان ثانويتان ، ومعهد تمريض ، وآخر للخياطة ، كما يوجد فيها نادٍ رياضي ثقافي ، وجمعية خيرية ، وروضتان للاطفال .

وتتركز فيها أيضا الحركة التجارية ، حيث يوجد فيها عدد من فروع البنوك التجارية كبنك الرياض والأهلي التجاري ، والبنك العربي الوطني ، والبنك السعودي البريطاني ، والبنك السعودي الفرنسي ، والبنك السعودي الهولندي ، وبنك القاهرة السعودي ، وعدد من مكاتب الصرافة ، كما يوجد فيها عدد من الورش والمصانع للحدادة ، والألمنيوم ، والطابوق والبلاط والخلطة الجاهزه .

٢ ــ سيهات

بفتح السين ، وهو من الأسماء القديمة ، كقدم تاريخ هذه المنطقة ، وله نظائر من أسماء البلدان في الخليج العربى كقلهات وبنكات ، وهي تقع على الساحل مباشرةً على طريق الدمام ، وعلى بعد أربعة أكيال من مدينة القطيف ، وقد أكسبها موقعها (استراتيجية) مهمة ، فنمت نمواً سريعا ، فانتشر فيها العمران ، وتحولت هذه القرية إلى مدينة كبيرة ، حتى اتصلت من الناحية الجنوبية بالدمام بعد دفن البحر ، أما من الناحية الشمالية فاتصلت بعنك ، وفي الجهة الغربية تقع سيحتها المسماه باسمها ، فتحميها من رمال الصحراء[١١].

ويرى الاستاذ الشيخ حمد الجاسر أن هذه البلدة أقيمت على انقاض بلدة أَفْأَن[١٢] التي ذكرها المسعودي في كتابة التنيه والاشراف[١٣] وقد حاولت التقريب بين وجهة رأيه وبين النص فلم أره ينطبق على الموقع ، ووجدته بعيدا كل البعد .

وبحكم موقع هذه البلدة كان لها تاريخ سياسي حافل ، لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري ، وكانت من المدن المهمة المزدهرة منذ القدم ، وقد تغنَّى بها الشاعر جعفر الخطيُّ المتوفى سنة ١٠٢٩هـ .

هَلاَّ سَأَلْتَ الرَّبْعَ مِنْ سَيْهَاتِ عَنْ تِلْكُمُ الْفِتْيَانِ وَالْفَتَيَاتِ
وبَجَرِّ أَرْسَانِ الْجِيَادِ كَأَنَّهَا فَوْقَ الصَّعِيدِ مَسَارِبُ الْحَيَّاتِ
حَيْثُ المَسَامِعُ لاتَكَادُ تُفِيقُ مِنْ تَرْجِيعِ نُوْتِيٍّ وزَجْرِ حُدَاةِ

وحتى في أوائل هذا القرن كانت مزدهرةً اقتصاديا ، فقد وصفها لوريمر[١٤] بأنها أغنى منطقة في الواحة ، تملك ثلاثين قاربا لصيد اللؤلؤ ، وتتكون من ٦٠٠ منزل ، منها ٤٠٠ داخل السور، و٢٠٠ كوخ تقع خارجه ، وتملك حدائق النخيل .

وفي أيام ازدهارها كانت تُلْحَقُ بمركزها جملةٌ من القرى كالظهران ، وقد سمعت عن وثيقة قديمة تتضمن تملّك أحد مواطنيها نخلا بالظهران وموقعة من قاضيها التابع لسيهات .

غير أن هذه المدينة ضعفتْ أخيراً بفعل الغارات المتتالية عليها التي شنها الغزاة ، فتحولت إلى قرية فيما بعد ، ولكنها بعد اكتشاف النفط انتعشت من جديد ، وازدهرت اقتصاديا ، واتسع عمرانها ، بسبب انفتاحها وقربها من الدمام ، وأصبحت من المدن المهمة ، ونشأت فيها أحياء جديدة كحي الفردوس ، وحي السلام وحي النمر .

وتبعا لتقدمها العمراني اكتسبت أهميةً ، فأُنْشِئَ فيها مركزٌ للإمارة ، وآخر للشرطة والمرور ، وتتبعها أربع قرى في الوقت الحاضر ، ومجموع سكانها وصل إلى ٢٢٣٣١ نسمة[١٥] .

وفيها الآن اربع مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان متوسطتان ومدرسة ثانوية ، كما يوجد فيها للبنات سبع مدارس ابتدائية ومتوسطتان وثانويتان ، وفيها أيضا مستشفى حكومي ، وعدد من المستوصفات والعيادات الأهلية ونادٍ رياضى ثقافي ، وجمعية خيرية ، تعتبر من أنشط الجمعيات في المنطقة الشرقية ، وروضة أطفال ، ومطبعة وفرع لبنك الرياض ، وفيها حركة تجارية نشطة ، ومقاولون ورجال أعمال ، وعدد من الورش والمصانع لعل أهمها مصنع للورق (النايلون).

٣ ـ عُنَـــكُ :

بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو من الأسماء المرتجلة كما يقول ياقوت الحموي ، أي التي لاترجع إلى اشتقاق لغوي .

ويبدو أنه من الأسماء الكنعانية الموغلة في القدم كسيهات ، وتاروت وتوبي ، وغيرها من الأسماء القديمة التي حافظت على صيغها الأصلية ، والتي لها نظائر في القطيف ومنطقة الخليج .

ويرى الاستاذ حمد الجاسر أن اسمها مشتق من عنك الرمل تعقد وارتفع ، وعناك الرمل الكثير[١٦] ـ ولا أعتقد ان هذا الوصف ينطبق عليها كما رأيناها ـ فالتلال الرملية فيها كانت ضئيلة جدًّا ـ وهى المرتفعات التي يعتقد فيها انها تخفي تحتها أنقاض المدينة التاريخية ، وعلى العموم فهي واقعة في أرضٍ سبخة ، تقع على البحر مباشرةً ، وتحيط بها الواحة من جميع جهاتها الأخرى .

وعُنَكُ مدينة قديمة ، تتمتع بشهرة تاريخية ، ذكرها المسعودي في كتابه «التنبيه والإشراف»[١٧] فوصفها بأنها من مدن القطيف ، وفيها يقول الراجز

طَعْنُ غُلَامٍ لَمْ يَجِئْكَ بِـالسَّمَكْ ... وَلَمْ يُـعَلِّلْ بِـخَيَـاشِـيْمِ عُـنَـكْ

كما ذكرها الشاعر جعفرٌ الخطيُّ

فَسَقَى الْغَمَـامُ إِذَا تَحَمَّلَ رَكْبُـهُ ... تِلْكَ الرَّحَابِ الْفِيْحِ وَالْعَرَصَاتِ

وَاجْتَازَتِ الْمُزْنُ الْعِشَـارُ فَطَبَّقَتْ ... بِالسَّقْيِ مِنْ عُنُكٍ إِلَىَ بَنْكـَاتِ

ويُسْتَدَلُّ على ما حولها من مرتفعاتٍ وآثارِ عمران قديم على بقايا تلك المدينة المندثرة ، كما يوجد فيها قلعةٌ برتغالية على البحر ، اتخذها الأتراك مقرًّا لحاميتهم ، ومركزا للضبطية تعزيزا لحاميتهم في القطيف[١٨] .

ولكن هذه المدينة تضاءل حجمُها أخيرا ، وتحولتْ إلى حيٍ صغير ، يتكون من ٢٠ منزلا ، تسكنه عائلة الْعُلَيْوَات ، التي تمتهن صيد الأسماك ، وهي كما رأيناها ــ طبقا لما وصفه لوريمر في أواخر القرن التاسع عشرَ ــ حيٌّ صغير على الساحل ، وخلال أشهر الصيف يقطن بجوارهم أناس من بني خالد ، ومن بني هاجر ، ومعهم قليل من آل مُرَّة والعُجْمَان[١٩] ، وعند حلول فصل الخريف يرحلون إلى الصحراء هربا من الحُمَّى ، التي كانت منتشرةً في القطيف .

وتقع عُنَكُ على بعد ستة أكيال من مدينة القطيف وخمسة أكيال من سيهات ، إلَّا أنَّ هذه المسافات تضاءلتْ هذه الأيام بعد امتداد العمران ، فاتصلت بمدينة سيهات ، والميل الذي يفصل بينها وبين مدينة القطيف في طريقه إلى التلاشي ، وقد ساعد على انتشار العمران فيها وقوعُهَا على طريق الدمام الرئيس ، بالإضافة إلى الكثافة السكانية من القبائل التي استوطنتها ، وعلى رأسهم بنو خالد ، وقد كانوا قبلا يَحلُّونَ فيها صيفا ، هربا من لهب الصحراء ، وتتحول إلى قاع صفصف خلال بقية فصول السنة ، وحين تحضروا امتلكوا أراضيها وعمروها ، وأقاموا فيها بصورة دائمة ، فابتنوا البيوت والدارات (الفلل) والعمارات ، كما تطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية من بَدْوٍ رُحَّلٍ يمارسون رَعْيَ الأغنام والإبل ، إلى الاشتغال بالأعمال المدنية من تجارة ومقاولات ، ووظائف حكومية وأهلية ، إلى غيرها من الأعمال .

وحين انتشر فيها العمران أُقيم فيها مركز للبلدية ، وفتحت فيها مدارسُ للبنات والبنين ، ويوجد فيها الآن مدرستان ابتدائيتان للبنين ومدرسة متوسطة ، وثلاث مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، كما يوجدفيها حركة تجارية نشطة ، ففيها عدد من معارض السيارات وفيها مستوصف اهلي ونادٍ رياضي .

٤ ــ الشــويكة :

تصغير شوكة ــ وكانت قرية مسورة تحيط بها النخيل من كل جانب، على بعد كيلٍ من القلعة ، وهي كانت كما رأيناها طبقا لما وصف لوريمر[٢٠] ، تتكون من ٢٠٠ منزل معظمها من الأكواخ ، ويعمل أهلها بالفلاحة ، كما يوجد فيها بعض أنوال النسيج ، وتُلْحَقُ بها سيحة تسمى باسمها ، تروى من السيبان[٢١] وأشهرهاساب (أبوخمسة) وساب حميدة ، وهي القرية الوحيدة التي لاتوجد فيها عين .

أما الآن فقد تغيرت معالمها ، وامتدَّ إليها العمران ، واختلطت بالحاضرة ، وأصبحت تشكل الحيَّ الجنوبيَّ لمدينة القطيف ، وقد أُقيمت فيها العمارات والمتاجر ، كما يوجدفيها مستشفى القطيف المركزي .

٥ ــ ألـمَلَّاحَــةُ :

بفتح الميم وتشديد اللام منبت الملح كما يقول الفيروز آبادي، ولا أعرف من أين علقت بها هذه التسمية ، وهي قرية صغيرة ، محاطة بالنخيل ، تقع إلى الشمال الغربي من سيهات ، ووصفها لوريمر بأنها تتألف من ٥٠ منزلا مبنية بالطين والحجارة[٢٢] ثم تدهورت فتضاءلت ، ولكنها في السنوات الأخيرة اتسعت فانتشر فيها العمران ، والتهم البساتينَ المجاورة دونما تخطيط ، وتوجد فيها مدرسة ابتدائية .

٦ ــ الجِــشُّ :

بكسر الجيم ، ولعل صوابها الجَش بفتح الجيم ، كما وردت في معاجم اللغة ، وهي مشتقة من جَشَّ القومُ أي اجتمعوا أو تفرقوا ، أو أجشَّ المكانُ اجتمع نبته وحشيشه . وهذا أقرب إلى معناها ، إن لم يكن من الأسماء المرتجلة القديمة ، وما اكثرها في الخليج .

وتقع هذه القريةُ في الطرف الجنوبي الغربي من الوَاحة ، على مقربة من الـمَلَّاحة ، وأم الحمام ، ويخترقها الطريق المؤدي إلى الشارع الرئيسي ، وكانت قريةً مسورةً تتكون من ٢٥٠ منزلا كما وصفها لوريمر ــ بعضها من الحجارة والطين وبعضها خارج السور، ويوجد فيها ثلاثة ينابيع عذبة ، بجوار المسجد خارج سور القرية ، وتحصل على مياهها من ينبوع يُسَمَّى كعبة[٢٣] .

أما الآن فقد اتسع فيها العمران ، فألتهم البساتين المجاورة ، ويوجد فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة ، ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة .

٧ ــ أم ٱلحَمَــام :

بالحاء المهملة ، وكانت تسمى إلى عهد قريب بأم الخمام بالخاء المعجمة أو بأم خُمام حتى في السجلات الرسمية ، وكما جاء في كتاب « دليل الخليج » ــ ويبدو أنَّ هذا الاسم حديث العهد ، ولقصة هذه التسمية حكاية ، فيقال : إن الشعير كان يزرع في أرْضها بكثرةٍ ، حيث ينقل المحصول إلى القرية ، ويُدْرَسُ على أرضها الجبلية ، فكانت تتراكم في طرقاتها الأوساخ وٱلقَشُّ ، فيأوى إليها الحمام ليلتقط الحبَّ المتخلف ، ولكثرتها سميت بأم الحمام ، ولكن البعض استكثر عليها هذا الاسم الجميل ، فقال : إنَّ هذا الاسم لا تستحقه ، وكان أَحْرَى بها أَنْ تُسَمَّى بأم الخمام (أي الأوساخ) ، فغلب عليها الاسم الأخير ،وكان أول من أحيا الاسمَ الأول أَحَدُ علمائها الشيخ منصور المرهون ، وتمت له الغلبة على تسميتها بالاسم الأول .

وكانت مسوَّرة ــ كما وصفها لوريمر ــ على بعد ٣ أميال في الجنوب الغربي من القطيف ، تتكون من ٢٥٠ منزلاً من الحجر والطين ، أما خارجها فمن الأكواخ[٢٤] وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر على حساب البساتين التي حولها من جميع الجهات ، وهي واقعة على الطريق الريفي . ويوجد فيها ثلاث

مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، ومدرستان ابتدائيتان للبنات ومتوسطة وثانوية .

٨ ــ حِلَّةُ مُحَيْش :

اسم مركب من مضاف ومضاف إليه وحِلَّة بكسر الحاء معناها في اللغة المجلس والمجتمع أو مجموعة من البيوت لا تتعدَّى مئة بيت ، ومُحيش تصغير مِحَشٍ ــ بضم أوله وفتح ثانيه ــ معناها المكان الكثير الكلإ والخير ، كما في القاموس ، وقد يكون اسم علم . وهي قرية تقع في وسط النخيل ، على بعد ميلين عن مدينة القطيف ، ويربطها طريق معبد متفرع من الشارع العام في مدخل القطيف ،وكانت مسورة ــ كما يذكر لوريمر ــ تتكون من ١٣٥ منزلا ، بعضها خارج السور[٢٥] ، وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر شأنها شأن القرى الأخرى . وفيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة ، وفيها عدد من العيون أشهرها (أم عمار) التي تعتبر من أقوى العيون في واحة القطيف بعد عين داروش بِصَفْوَى .

٩ ــ الجارودية :

قد تكون منسوبة إلى الجارود بِشْرِ بن عَمْرٍو العبدي ، وقد تكون المعنية باسم أجارد من بلاد عبدالقيس ، كما يذكر ياقوت ، وتقع هذه القرية إلى الغرب من حلة مُحَيش ، وقريبة من بَرِّ البدراني[٢٦] وعلى بعد ميلين عن مدينة القطيف ، وتستقر على مرتفع جبلي ، وكانت مسورة تتكون من ١٥٠ منزلا معظمها من الحجارة والطين ، وبعضها أكواخ ، وبعضها يقع خارج السور[٢٧]وسيحتها تعتبر من أجود الأراضي الزراعية ، ويُسْقَى أغلبها من العيون البرية[٢٨] ، ومن عيونها الشهيرة عين الصَّدَّيْن ، التي اشتهرت بعذوبة مائها ، وهي تقع على مقربة من القرية ، ومنها عين القشورية العذبة ، التي تستقي منها الطبقة الثرية في مدينة القطيف . وفيها مركز للبلدية ، كما يوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

١٠ ــ الخويلدية :

مؤنث خويلد ، وهو من أسماء الأعلام ، قرية صغيرة تقع على بعد ميل من مدينة القطيف في الجهة الغربية الجنوبية ، وكانت مسورة تتكون من ١٥٠ منزلاً[٢٩] .

وقد ضاقت رقعتها في الوقت الحاضر عن استيعاب حركة العمران فالتهمت البساتين المجاورة دونما تخطيط ، وقد اشتهرت هذه القرية بإنتاجها الطين الخويلدي الذي يستخرج منه كميات كبيرة ، ويصدر منه للخارج ، والذي كان يستعمل بعد خلطه بصفار البيض لإزالة قشرة الرأس قبل ان يعرف (الشامبو) .

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ، ومدرسة متوسطة .

١١ ــ التُّــوبِي :

بضم التاء مُشْربة بفتح ، ويظهر من نطقهاالغريب أنها من الأسماء القديمة جدًّا كسيهات وتاروت ، وهي قرية تقع إلى الغرب من مدينة القطيف ، على مسافة ميل تقريبا ، ولها طريق متفرع من شارع المحيط الدائري ، وهي تقع بين سَيْحتي الخويلدية والبحَارِي[٣٠] ، وتحيط بها البساتين من كل جانب ، وكانت قرية مسورة صغيرة تتألف من ١٠٠ بيت ، وسكانها يقدرون بـ : ٤٠٠ نسمة ، وتعتبر سيحتها من أجود الأراضي الزراعية في الواحة ، وفيها عدد من العيون ، أشهرها عين القصير ، التي كانت تستخدم لاستحمام النساء لاسيما في حفلات الأعراس .

وقد أنجبتْ عدداً من الشعراء الممتازين ، منهم الشيخ جعفر الخطي ، والسيد محمد الفلفل ، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة ، ومدرسة ابتدائية للبنات .

١٢ ــ البِحَــارِي :

بكسر أوله نسبة إلى البحار جمع بَحْرٍ على غير القياس[٣١] وربما جاءت هذه النسبة إلى القرية لغلبة أعمال أهلها في البحر ، وصيد الأسماك قديما ، بالإضافة

إلى الزراعة ، حيث كانوا يملكون سبعة قوارب للصيد كما يذكر لوريمر[٣٢] ، وقد يكون اسمها محرفا عن بحرة ، وهي بلدة بالبحرين كما جاء في « القاموس المحيط » وتقع على الطريق العام المؤدي إلى العوَّامِيَّة وصَفْوَى ، وكانت على بعد ميل ونصف عن مدينة القطيف بتقدير لوريمر[٣٣] مسورة تتكون من مئة بيت ، إلاَّ أنَّ امتداد عمرانها وتوسع عمران مدينة القطيف أدَّيا إلى محو المسافة ، حتى أصبحتْ تشكل الطرف الشماليَّ منها ، شأنها شأن قرية الشويكة في الجنـــوب ، وتتبعها سيحة كبيرةٌ مترامية الأطراف ، وفيها عدد من العيون الجارية المشهورة ، كالرواسية ، وحَمَّام (أبو لوزة) والحَبَّاكة ، والقصاري ، ولقرب هذه العيون من الحاضرة اتخذت مراكز للاستحمام وأشهرها :

أ ــ حَمَّام (أبو لوزة) : ومياهه معدنية ، وقد أُقيم عليه عدد من المباني ، التي تعتبر من المعالم الأثرية ، ويقال : إن بناءها يرجع إلى العهد العثماني ، ويقال : إنها أبعد من ذلك بكثير ، وأن بناءها جدد غير مَرَّة ، وهذه المباني المتلاصقة تتكون من قبة كبيرة تغطي النبع الخاص باستحمام الرجال ، ولها مدخل لغرفة مستطيلة ، بنيت في جوانبها مصاطب لنزع الملابس ثم في الجانب الشمالي مباشرة يقع حَمَّامٌ للنساء ، وهو عبارة عن بركة متصلة بالنبع ، ويتألف من غرفتين ، وبجانبه من الشرق اصطبل للخيل والحمير ، التي كانت وسائط للنقل في ذلك العهد ، وإلى جواره مبنى مستطيل ، أُقِيم على المجرى ، وَمُقَسَّم لمحلاَّت صغيرة لاستعمال النوره ، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء فريضة الصلاة .

ب ــ الْحَبَّاكَةُ : وهي على بعد ٢٠ مترا تقريباً إلى الشرق من حَمَّام (أبو لوزة) وهي عين مكشوفة يستحم فيها الرجال ، وقد عمل في مجراها بركة كبيرة ، وأُقيم عليها مبنى لاستحمام النساء ، وإلى جوارها من الشرق حَيٌّ صغير مؤلف من الأكواخ يسمى فريق الحبَّاكة ، وعلى مقربة منه إلى الشمال تقع مقبرة الحباكة ، بقسميها الشرقي والغربي ، المقبرة العامة ، ومقبرة العابدات ، وبجانبها مسجدٌ يسمى باسمها ، ويكاد القسم الغربي يختص بدفن موتى بعض العائلات كآل المسلم ، وفيها مدفن الشاعر الشيخ حسن الدمستاني، وإلى الشمال من المقبرة عين

تسمى البِشْرِي ، وبجانبها مسجد ومبنى لتغسيل الموتى ، وحيٌّ صغير يسمى بفريق البشري .

ج ــ القصاري : عين واسعة مكشوفة مخصصة لاستحمام النساء ، تقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد ١٠٠ متر من حمام (أبو لوزة) .

د ــ الرواسية : عين قوية مكشوفة ، مخصصة لاستحمام الرجال ، وتقع على بعد ٥٠٠ متر من المقبرة غربا ، في الطريق المؤدي إلى قرية الآجام .

ولقرب قرية البحاري من القطيف أصبحت لا توجد فيها مدارس خاصة بها سوى مدرسة ابتدائية للبنات .

١٣ ــ القُدَيْح :

بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو تصغير قَدَح أي الاناء الفارغ[٣٤] أو القِدْح بكسر القاف سهم الميسر . وأعتقد أن هذا الاسم محرفا عن القَدِيح بكسر الدال بمعنى مايتبقى في أسفل القدر ، فيغرف بجهد كما تقول معاجم اللغة ، ولعلها سميت به لما يتجمع به في واديها سابقا من المياه الضحضاحة ، وهذه البلدة تقع إلى الغرب من قرية البحاري ، على بعد كيلٍ واحد وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب .

وصفها لوريمر بأنها قرية مسورة ، تقع على بعد ميلين ونصف من مدينة القطيف ، وتتكون من ٣٥٠ منزلا ، نصفها أكواخ ، والباقي من الحجارة والطين ، ويملك سكانها عشرة قوارب للصيد[٣٥].

إلاَّ أنها تدهورت أخيرا ، وهجرها سكانها وانتقلوا إلى النخيل ، ولم يتمسك بالبقاء فيها بصورة دائمة إلا عدد قليل من أهلها ، وكان هناك خلف السور من الجانب الغربي الجنوبي مُتَّسِعٌ من الأرض ، يسمى الوادي ، يستعمل في الصيف أفْدِية[٣٦] لجمع الغلال وتجفيف التمور ، وفي الشتاء يتحول إلى مستنقع كبير أشبه شيء بالبحيرة الواسعة ، ولكنها سرعان ماتجف حينما تهب الرياح الموسمية ، فتتحول إلى مملحة ، يستخرج منها كميات كبيرة من الملح . وإلى الغرب منه

بجوار النخيل كان هناك موضعٌ يستخرج منه الطين القُدَيْحِيُّ الأبيض على شكل منجم ، حيث يستعمل لغسل الملابس ، قبل انتشار استعمال الصابون . وإلى الجنوب تقع قرية (رسالة) وقد اندمجت فيها حين اتسع العمران فاندرس اسمها .

أما الآن فقد تغيرت هذه الصورة فاتسعت البلدة بصورة مذهلة ، وضاقت عن استيعاب حركة العمران ، فامتلأ الوادي بالمساكن والأبنية ، دونما تخطيط ، والتهمت ماحولها من البساتين المجاورة ، وساعد على ازدهارها انتعاشُ الحياة الاقتصادية فيها ونشوء طبقة من رجال الأعمال والتجار والموظفين .

وتوجد فيها حركة أدبية نشطة ، وظهر فيها أدباء وشعراء ، وهي موطن العلامة الشيخ علي القُديحي صاحب كتاب « أنوار البدرين » والشيخ أحمد بن الشيخ محمد صالح القُديحي وله ديوان شعر مطبوع ، والعلامة الشيخ حسين القُديحي ، وهم من أسرة علمية تتبوأ مكانتها الاجتماعية في البلدة .

ويوجد فيها مركز للبلدية ، وجمعية خيرية نشطة ، ونادٍ رياضي ، كما يوجد فيها أربع مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرستان متوسطتان ومدرسة ثانوية ، بالإضافة إلى ثلاث مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، ويرجع السكان نسبهم إلى مضر ، وينسبون مؤسساتهم الاجتماعية إليها ، والمعروف أن مضر مسكنها بالحجار[٣٧] .

١٤ ــ العوَّامِيَّة :

نسبة إلى العوام ، ويوجد في تاريخ المنطقة علمان بهذا الاسم أحدهما أبو الحسن ابن العوام زعيم الأزد وأمير الزَارة [٣٨] والثاني العوام بن محمد بن يوسف الزجاج ، ونرجح أن تكون منسوبة إلى الأول ، وربما اتخذها ضاحيةً له لقربها من مدينة الزارة ، وإن كان مؤلف كتاب « أنوار البدرين » يذهب إلى أن أول من عمرها وسكنها أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فنسبت إليه [٣٩] ،

وهي تقع إلى الشمال من الْقُديح ، على طريق صَفْوَى وعلى بعد ثلاثة أميال من مدينة القطيف في الجهة الشمالية الغربية .

ويظهر أنَّ هذه البلدة كانت إحدى ضواحي مدينة الزارة ، التي كانت حاضرة للمنطقة ، والتى دمرها أبوسعيد الجنَّابي عام ٢٨٣هـ حين استعصت عليه في بداية حركته ، فانتقل إليها مركز الثِّقَلَ ، وعُمِرَتْ على حساب تدمير تلك المدينة ، ومازال هناك بالقرب منها حَيٌّ بهذا الاسم ، في الناحية الجنوبية الشرقية ، ويتكون من مجموعة أكواخ ، يدعى (فريق الزارة) ويعتقد أنه جزء من موقع الزارة التي اندرست ، واختفت آثارها ، وطمرتها مزارع النخيل ، إذْ لم نجد لها ذكراً بعد ذالك في كتب التاريخ ، ويقول صاحب كتاب « أنوار البدرين » : أنَّ مدينة الزارة بقيت خرابا ، ثم صارت نخيلا وأشجارا وأنهارا ، تبعا للعَّوامية[٤٠] .

وتقع على الطريق الرئيس المؤدِّي إلى صَفْوَى ، ووصفها لوريس قبل ثمانين سنة بأنها قرية مسوَّرة ، تتكون من ٣٠٠ منزل وأنها على بعد ثلاثة أميال شمال غرب مدينة القطيف ، ويملك سكانها خمسة قوارب لصيد اللؤلؤ[٤١] .

أما في العهد الحاضر فقد اتسعت هذه المدينة ، وأصبحت مترامية الأطراف ، وامتدَّ العمران إلى البساتين المجاورة دونما تخطيط ، شأنها شأن القرى الأخرى في الواحة ، حتى أصبحت عدداً من الأحياء كالحميمة والزارة والكوع والبويب والمنيرة وغيرها .

وقد تبوأت هذه البلدةُ مكانةً اجتماعية خاصة ، ربما تكون ذات جذور عميقة ، ترجع إلى أيام كانت فيه الزارة عاصمة لهذه المنطقة ، وذالك باستمرار المصاهرة بين الأسر العريقة في كلتا البلدتين القطيف والعوامية ، بالإضافة إلى إنجابها عدداً من العلماء والأدباء كالشيخ محمد بن نمر ، والكاتب القصصي محمد حسن بن نمر ، ومشاطرتها سكنى بعض الشخصيات البارزة كالعلامة الشيخ على حسن على الخنيزي ، والعلامة السيد ماجد العوَّامي بحكم زواجهما منها .

ويوجد في هذه البلدة عدد من المؤسسات الاجتماعية ففيها جمعية خيرية ، ونادٍ

رياضي ، كما يوجد فيها اربع مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية بالإضافة إلى أربع مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية .

أما الأجزاء المنفصلة عن هذا الشريط فهي :

١٥ ــ صَفْوَى :

بفتح أوله وتسكين ثانيه بألف مقصورة أما في عهد ابن المقرب[٤٢] فتنطق بألف ممدودة ، كما جاء في شعره .

وَالْخَطّ من صَفْوَاء حَازُوهَا فَمَا أَبْقَوْ بِهَا شِبْرًا إِلَى الظَّهْرَانِ
نَزَلُوا على صفواء صُبْحًا وابْتَنَوْا فيها الْقُبَابَ وأَيْقَنُوا بِأَمَانِ

وفي عصر المسعودي المتوفي سنة ٣٤٥هـ تعرف بصفوان ، وكان يسكنها بنو حفص بن عبدالقيس[٤٣] ومن المحتمل أن يكون اسمها (الصفا) سابقا وهو اسم تردد ذكره في الشعر العربي وهو من أسماء المواقع في هذه المنطقة ، وقد تعرض اسم هذه البلدة للتغير غير مرة ، ومع هذا فإن جميع المعاني واحدة وهو الحجر الصلد الضخم أو الصخر الأملس .

وتقع مدينة صَفْوَى إلى الشمال من مدينة القطيف على بعد خمسة عشر كيلا ويصلها بالواحة طريق معبد يمر بالعوامية ، وتقع واحتها بمحاذاة الساحل شرقي المدينة ، وتفصلها عن سيحة العوامية من الجنوب سبخةٌ واسعة ، تسمى (سبخة صَفْوَى) وإلى الشمال منها تقع مقبرة جاوان الشهيرة ، وهي من المواضع التي تزخر بالآثار ، وإلى الغرب منها مرتفع يسمى حزم صَفْوَى ، وقد امتلأ بالعمران في الوقت الحاضر ، كما اتسعت مدينة صَفْوَى من جميع الاتجاهات ، فالتهم عمرانها ماجاورها من الأراضي الزراعية حتى أصبحت من المدن المهمة في واحة القطيف، وتقع عين (داروش) الشهيرة وسط المدينة ، ويقال إنها سميت باسم الملك دارا (داريوس ٥٢١ ــ ٤٨٥ ق.م) حين نزل بصفوى[٤٤] وهي أقوى عين في واحة القطيف ، كان يتفرع منها سبعة أنهر ، لا تقل في قوتها عن عين (أم سبعة) في

الأحساء وتسقى معظم واحة صَفْوَى التي تبلغ حوالي خمسين الف نخلة ، ولا يبعد أنها المعنية بعين مُحَلِّم ، واذَا أخذنا في الاعتبار أن أسماء هجر والخط والبحرين كانت تطلق على المنطقة كلها[٤٥] فلا يبعد أن تكون الصفا هي مدينة صفوى نفسها ، حيث كانت تقع سابقا غربي المنطقة الزراعية على حافة الصحراء ، ولا ننسى أن حزمها كان محطة لقبائل البادية منذ قديم الزمان ، فلا غرابة أيضا إذا كانت مشهورة عندهم ، وتردد ذكرها كثيرا في أشعارهم .

وقد وصفها لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأنها قرية كبيرة مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا ، على بعد ثمانية أميال من مدينة القطيف ، وهي آخر قرية في شمال الواحة ، وتقع في الطرف الغربي للمنطقة الزراعية[٤٦] ، ويبدو من سياق وصفه بأنها متصلة بسيحة العوامية ، ثم فصلتها رمال الصحراء ، وربما كانت هناك عين تسقي هذه الرقعة ثم طمرتها الرمال ، وأصبحت يبابا ، شأنها شأن المناطق الغربية في الواحة .

وقد انتعشت هذه البلدة منذ أَنْ أُنشِيءَ الخطُّ الذي يمر بها والذي يصل بين الظهران ورأس تنورة ، فاكتسبت موقعا (استراتيجيا) لقربها من مصافي النفط ، فاتسع عمرانها ، وأصبحت من المدن المهمة في المنطقة ، فأنشيء فيها مركز للامارة والشرطة وبلدية ومحكمة ، ودائرة لكاتب العدل ، وبموجب التقسيم الإداري أصبحت مركزاً تتبعها اربع عشرة قرية ، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٠هـ واحدا وعشرين الف نسمة ، وهي الآن أضعاف مضاعفة بعد أن استوطنت فيها بعض القبائل .

ويوجد فيها الآن حركة تجارية نشطة ، وقد فتح فيها فرع لبنك الرياض ، كما يوجد خمس مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرستان متوسطتان ، ومدرسة ثانوية ، كما يوجد فيها عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنات ، بالإضافة إلى الأنشطة الاجتماعية من وجود جمعية خيرية ونادٍ رياضي .

وقد انجبت هذه البلدة علماء وأدباء بارزين كالعلامة الشيخ محمد صالح

الصفواني قاضي الأوقاف والمواريث الأسبق ، والكاتب الكبير الأستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة « اليقظة العراقية » .

١٦ ــ جزيرة تاروت :

وهذا الاسم يعتبر من الأسماء القديمة ، التي يعتقد بأنها فينيقية ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اسمها في الأصل (عشتاروت) حذف منه المقطع الأول ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين[٤٧] وتردد ذكرها في كتب المؤرخين الاغريق فسموها (تيروس TARRUS)، أما بطليموس الجغرافي اليوناني فسماها (تارو) بحذف التاء الأخيرة (TARO)، وهو قريب من لفظها الحالي .

و(عشتاروت) اسم آلهة الاخصاب والجمال والحب عند الساميين ، وهي أهم آلهة عند الفنيقيين ، وهي تماثل (افروديت) الأغريقية[٤٨] وقد اكتشفت لها تماثيل في الجزيرة ، وكان لها معبد ، أقيمت على أنقاضه القلعة البرتغالية في مدينة تاروت ، وكانت هذه الجزيرة موطنا للفينيقيين قبل نزوحهم إلى شواطيء البحر الأبيض المتوسط ، فقد نقل الأب مرتين اليسوعي في كتابه « تاريخ لبنان » عن بعض مؤرخي الأغريق بأن أهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بأنهم هم الذين أسسوا صور وأرواد[٤٩] ولا تخلو هذه الجزيرة من آثارهم ، فقد عثر منذ سنوات في أحد بساتينها على تمثال من الذهب الخالص للالهة (عشتاروت) كما اكتشفت في هذه الجزيرة آثار مهمة ، يرجع بعضها إلى عصر السلالات الأولى لبلاد مابين النهرين ــ أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ سنة ــ ويعود بعضها إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة (الموهنجو دارو) على نهر السند ، وحضارة (أم النار) التي قامت بالمنطقة الجنوبية في الخليج العربي ، والتي تم أكتشاف بقاياها في (أبوظبي) بواسطة البعثة الدنمركية سنة ١٩٦٦م[٥٠] كما عثر فيها على آثار تنتمي إلى حضارة العُبيد ، وحضارة (باربار)[٥١] ، ويوجد فيها الآن مواقع أثرية ، ومقابر قديمة تم اكتشافها مؤخرا ، وسنتحدث عنها في الفصل التالي (المواقع الأثرية والآثار) ، وأهم المعالم الأثرية البارزة فيها قلعتان أثريتان ، إحداهما في مدينة تاروت ، وقد بنيت على

أنقاض هيكل (عشتاروت) بالقرب من عين الحمام ، والثانية في دارين في الجنوب الشرقي من الجزيرة على الساحل .

وتَرَدَّدَ ذكر هذه الجزيرة في كتب جغرافي العرب ، فوصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجريِّ بأنها بلدة في الشرق من القطيف ، تبعد عنها بنصف مرحلة ، ينحسر البحرُ مابينها وبين القطيف في حالة الجزر ، وتصبح جزيرةً في حالة الْـمَدِّ ، وفيها كروم تنتج العنب المفضل[٥٢] ولعل ذالك راجع إلى خصوبة تربتها المتميزة عن أراضي الواحة ، وتقع الأراضي الزراعيةُ في الجهة الغربية والشمالية منها ، وكان بها من النخيل قديما حوالي مئة ألف نخلة ، لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى ستين ألف نخلة ، وهي في تناقص مستمر ، وتُرْوَى كلها سابقا من مصدرين هُما عين الحمام الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من قلعة تاروت ، وعين الفرسان الواقعة على مسافة نصف ميل منها ، ومياههما عذبةٌ ساخنةٌ ، تزودان سكان الجزيرة بمياه الشرب كما يقول لوريمر[٥٣] وقد انتابهما الضعفُ في الآوِنَةِ الأخيرة ، فَعُوِّضَ نقصُ الريِّ بالآبار الارتوازية ، وبسبب حفر هذه الآبار انتشرت الزراعة في الجهة الشرقية من الجزيرة ،

وتقع جزيرة تاروت في قلب خليج القطيف ، أو خليج (كيبوس) أو المسمى حديثا بخليج تاروت ، على بعد ستة أكيال من مدينة القطيف إلى الشرق ، وتبلغ مساحتها ستة أكيال من الجنوب إلى الشمال ، ومثلها من الغرب إلى الشرق ، وكانت في سالف عهدها جزيرةً يحيط بها البحر من كل جانب ، أما في حالة الجزر فينحسر الماءُ في الجهة الغربية منها ، وتستعمل وسائل المواصلات البرية بينها وبين القطيف إلا من خور قليل العمق يسمى (المقطع) لا يتجاوز عمقه متراً واحداً . أما في حالة المدِّ فلا سبيل إليها الا باستخدام السفن .

وتتخلل سواحلها بعضُ الخلجان والرؤوس الصغيرة ، وينحسر البحر عن شواطئها في حالة الجزر ، باستثناء الطرف الجنوبي منها ، فهو عبارة عن رأس داخل في البحر، والذي يقع فيه مرفأ دَارِيْن ، أشهر مرافيء شبه الجزيرة العربية ، فهو الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن في حالتي المدِّ والجزر ، وقد اشتهر هذاالمرفأ منذ

القدم ، فقد مرَّ عليه أحد قادة الاسكندر المقدوني عند عودته من الهند ، بعد أن زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج أثناء جولته الاستطلاعية ، وتقول الرواية : إنه عَرَّجَ على جزيرة (نيرين) ويعتقد أنها دَارِين ، كما حَظِيَ هذا المرفأ بشهرة واسعة في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي .

وصفه ياقوت بأنه فرضة يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليه دَارِيٌّ ، قال الفرزدق :

كَأَنَّ تَرِيْكَةً مِنْ مَاءِ مُزْن وَدَارِيٌّ الذَّكِيِّ مِنَ الْمُدَامِ

وجاء في « القاموس المحيط » داري : العطَّارُ منسوب إلى دَارِيْنَ ، فرضةٍ بالبحرين ، بها سوق يحمل إليها المسك من الهند .

ويعتبر اسمها من الأسماء القديمة كتاروت وسيهات ، وقد حاول بعض الباحثين أن يتأول معناها فزعم انها جمع سالم لدار ، وانها تُرْفع بالألفّ وتنصب وتجر بالياء ، أو أن المقطع الأخير (ين) أُلْحِقَتْ بها كأداة تعريف في اللغة الحِمْيَرِيَّةِ (أي الدار) كما فعلوا في تأويل لفظ البحرين[٥٤] أو أنَّ معناها باللغة الفارسية (عتيق) حسب ماروى الاصمعي أنَّ كسرى سأل مَنْ بَنَى هذه القرية ؟ فأجابوه : دارين أي قديم[٥٥] .

وقد تمتعتْ دَارِينُ بشهرة فائقة في العصور الخالية ، فكانت محطَّ الأنظار من طُلَّاب الثروةِ ، وقد عاشتْ فترة رخاءٍ ، وازدهارٍ كبيرين ، إذْ كانت السفنُ ترد إليها من الهند محملة بالتوابل والمنسوجات ، والسيوف الهندية ، والمسك والبخور ، والأحجار الكريمة والعاج والخشب الفاخر النادر ، ومن الصين محملة بالحرير والمنسوجات الحريرية والغضار ، ومن بلاد العرب الجنوبية محملة بالْمُرِّ واللُّبَان ، والأفاوِيْهِ والبرود اليمانية ، والعاج الوارد إليها من سواحل افريقيا الشرقية ، ثم تُعيد تصديرَها إلى جميع أنحاء العالم ، ومنها كان أهل البادية وسكان أواسط شبه الجزيرة العربية يفدون إليها ، فيبتاعون معظم حاجاتهم ، فتمُّر قوافلهم عَبْرَ

الدهناء في طريقها إلى الأحساء والقطيف ، ثم تعبر الجزيرة عبر المياه الضحلة ، وفي ذلك يقول الأَعْشَى (؟) :

يَمُرُّونَ بِالدَّهْنَا خِفَافاً عِيَابُهُمْ وَيَرْجِعْنَ مِنْ دَارِيْنَ بُجْرَ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينِ أَلْهَى النَّاسُ جلُّ أُمُورِهِمْ فَنَذْلاً زُرَيْقَ المالَ نَذْلَ الثَّعَالِبِ

ودارِيْنُ هي إحدى قرى جزيرة تاروت الأربع ، التي ذكرها (لوريمر) فوصفها بأنها قرية محمية بقلعة مربعة ، تتكون من مئة منزل للسادة ، ومعظم سكانها من بني خالد ، مع قليل من الجنيدات ، ولا يوجد بها حدائق ولا زراعات ، ويملك السكان خمسة عشرة قاربا لصيد اللؤلؤ ، كما أنَّ قرية تاروت مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا ، وهي أكثر كثافة سكانية من بقية القرى ، وتقع في وسط الجزيرة ، وكثير من منازلها خارج السور ، ويزرع بها النخيل بكثرة ، وأشجار الفاكهة ، ويعمل أهلها في الغوص لاستخراج اللؤلؤ وتجارته ، وبعضهم بالزراعة .

وتأتي بعدها قرية سَنابس ، وتقع على الساحل الشرقي ، وتتكون من مئتي منزل ، وهي غير مسورة ، وليس بها حدائق نخيل ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ والسمك ، ويوجد فيها ٦٨ قاربا لصيد اللؤلؤ .

أما القرية الرابعة فهي الزَّوْرُ ، وتسمى فنية ، وتقع على الساحل الشمالي للجزيرة ، وتتكون من ٤٠ منزلا ، وبها بعض الحدائق التي تُرْوَى من عين تاروت ، وسكانها من مهاجري (أبو ظبي) من قبيلتي (بوفلاسه)(وبني ياس) ويعملون بصيد اللؤلؤ ، ولديهم سبعة قوارب كما أن مجموع سكان الجزيرة في عهده كما يقول لايزيدون على أربعة آلاف نسمة[٥٦] .

أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت تلك المعالم القديمة للجزيرة ، فقد دفن البحر في الجهة الغربية المواجهة لمدينة القطيف ، فاتَّصلت بها ، وأصبحت تلك الأراضي التي يغمرها البحر سابقا مناطق سكنية ، فقامتْ في الغرب مدينة ذوي (الدخل المحدود) ومناطق في طريقها إلى العمران ، كالمنطقة التركية والمنيرة والمزروع

والناصر ، حتى انتفت صفة الجزيرة عنها ، وتحولت إلى شبه جزيرة ، لِاتّصالها بالبر من الجهة الغربية ، ويربطها الآن بمدينة القطيف شارع معبد ، منور بالكهرباء ، ذو اتِّجاهَيْن ، يسمى (شارع أحد) وعند مدخلها توجد مصانع (الالمنيوم) والحدادة والطابوق ، وورش إصلاح السيارات ، كما ترتبط قراها بشوارع معبدة ، فيشق وسطها شارع رئيسيٌ يمر بمدينة تاروت ، حيث السوق التجاري ، ويجتازها إلى الربيعية ــ وهي مدينة حديثة ــ ثم يصل إلى سنابس ، وبعدها ينعطف إلى الجنوب ، وينتهي إلى دارِيْن ، كما يوجد شارع من الغرب يربط دَارِيْنَ بتاروت ، وآخر بسنابس والزور ، ويتجه غربا ، ويلتقي الشارع العام بالقرب من مدخل الجزيرة ، وتبعا لنموّ السكان وانتشار حركة العمران فقد زحفت المباني في بلدة تاروت على البساتين المجاورة ، فتكونت أحياء جديدة ، كالخارجية والدشة والأطرش والحوامي ، والوقف وأرض الجبل ، وكذلك الأمر في سنابس ودارين والربيعية .

وتاروت تعتبر من المراكز العلمية والثقافية في القطيف منذ القدم ، فقد أنجبت بيوتا علمية كآل سيف وآل معتوق وآل الصفار ، وظهر فيها علماءُ مجتهدون أمثال الشيخ عبدالله المعتوق ، وشعراء مبرزون أمثال عبدالمحسن التاروتي ، وحسن التاروتي ، ومحسن الملهوف التاروتي .

ونظراً لأهمية الجزيرة فقد أُقيم فيها مركز للامارة والشرطة ومحكمة شرعية وبلدية ، وفتح فيها فرع لبنك الرياض ، كما يوجد في الجزيرة سبع مدارس ابتدائية ، ومدرستان متوسطتان ، ومدرسة ثانوية وكلها للبنين ، بالإضافة إلى عشر مدارس ابتدائية وأربع متوسطة ، ومدرستان ثانويتان للبنات . ويوجد فيها نشاطات أجتماعية ، ففيها جمعيتان خيريتان إحداهما في تاروت والأخرى في دارين ، وفيها ثلاث نوادٍ رياضية في تاروت وسنابس ودارين .

١٧ ــ الآجـــام :

يمكن أن تكون في الأصل جمع أَجَمَةٍ ، وهي منبت القصب الملتف أو أنَّ أصلها

الأوجام كما ينطقها الآن أهلها ، وهي جمع الْوَجم (بتسكين الجيم أو تحريكها) ومعناها كما يقول صاحب « القاموس » حجارة مركومة على الآكام . أو أبنية يُهْتَدَى بها في الصحاري ، وهذا المعنى يناسب وضعها الحالي ، إذْ تحفُّ بها الصحراءُ من كل جانب ، ولعل لِاسْمِها صلة بالآجاميين ، الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧هـ فانتظموا في جيشه ، وعرفوا بالآجاميين ، وكانوا قبلا من سكان الآجام والطفوف من أعمال الكوفة ، كما يذكر المسعودي[٥٧] .

وتقع الآجام في الصحراء في الجهة الغربية من الواحة ، على بعد تسعة أكيال من مدينة القطيف ، وإلى الشرق من هذه القرية منخفضٌ من الأرض ، تصب فيه فضلات مياه الأراضي الزراعية ، على غِرار بُحَيْرَةِ الأصفر في الاحساء ، وينبت فيه الحلفاء والقصب ، ولعل لاسمها صلة بهذا الموقع ، كما يوجد بها مزار ينسب لأحد الأنبياء ، والقرية كانت مسورة ــ كما وصفها (لوريمر) تتكون من ٥٠ منزلاً من الحجر والطين ، وتقع في وسط المنطقة الزراعية ، التي يغلب فيها زراعة النخيل[٥٨] .

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

١٨ ــ أُمُّ السَّاهِك :

والساهِك ــ لغة ــ الرَمَدُ وحكة العين ، وربما سميت بهذا الاسم لوقوعها في أرض رملية ، تثير أتربتها الرياحُ الساهكة ، أي العواصف ، فتسبب الرمد وحكة العين ، وتقع هذه القرية إلى الغرب الشمالي من صَفْوَى على بعد ثلاثة أكيال منها ، وكانت منعزلة في الصحراء . أما الآن فقد أوشكت أن تختلط بمدينة صَفْوَى .

ذكرها (لوريمر) فوصفها بأنها قرية تتكون من ٦٠ منزلاً ، وتقع في منطقة زراعية[٥٩] .

وفيها الآن مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

١٩ ــ أَبُو مَعْــن :

قرية تقع إلى الشمال من أُمِّ الساهِك ، على مقربة منها ، في سبخة الرياس ، وهي منطقة زراعية يسكنها خليط من القبائل ، وفيها مدرسة ابتدائيةللبنين .

٢٠ ــ الدريدي :

نسبة إلى دريد ، وهو من أسماء الأعلام العربية ، قرية ذات نخل تقع على مقربة من أُمِّ الساهِك إلى الجنوب ، وتبعد عن صَفْوَى بنحو عشرة أكيال وهي واقعة في حزم ــ أي مكان مرتفع ــ فتسمى أحيانا حَزْم الدريدي[٦٠] ذكرها (لوريمر) فعدها من مياه واحة القطيف .

٢١ ــ شــعاب :

بفتح أوله وثانيه ــ قرية ذاتُ نخل من قرى القطيف ، تقع في الجنوب الشرقي من رأس القُلَيْعة وشمال جاوان وصَفْوَى .

وهناك واحات أُخرى صغيرة ، أو مراكز مياه قليلة الأهمية ، من بقايا الواحات التي كانت تزخر بها صحاري البيضاء ، كالرّويحة والنابية والفاقعة والعبا ، والعلاء ، منتشرة في الصحاري المجاورة ، وتابعة إداريا لمراكز إمارة منطقة القطيف .

وقد جاء في بيان (مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني) لتقسيم الإمارات في المنطقة الشرقية الصادر عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) بأن للقطيف ١٩ قرية وتسعة موارد ولصفوى ١٤ قرية ولسيهات ثلاث قرى . وهذا العدد من القرى شامل لجميع الضواحي والقرى التابعة لكل مدينة ، حسب تقسيم مراكز الإمارات في ذالك الحين .

ومن الملاحظ أنَّ جميع قرى القطيف كانت قديما مؤسسة على أراضٍ صخرية ، ولعلها اختيرت هذه المواقع للسكن لتكون بمنأًى عن رطوبة الواحة ، لاسيما في فصل الشتاء ، كما أنها كانت محاطة بأسوار ذات أبراج على شاكلة قلعة القطيف ،

لتكون مراكز دفاعية للسكان ، لتحميهم من سطو البدو وغاراتهم المتتالية ، في الأيام الغابرة ، أما الآن فقد أُهْمِلَ شأنُها لاستتباب الأَمْن في ربوع هذه المنطقة ، كما هو الشأن في سائر أنحاء المملكة ، فانمحت معالمها وتخطاها العمران .

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضاً ازدهار الحركة العمرانية في مدينة القطيف وضواحيها على السواء ، فضاقت مساحَتُها القديمة المحاطة بالأسوار عن استيعاب هذه الحركة العمرانية فأخذت المباني تلتهم المساحات المجاورة ، والبساتين القريبة ، والمناطق البحرية ، فقامت أحياءٌ سكنية جديدة ، تزخر بالدارات الحديثة ، والأبنية المسلحة ، وكان لمشروع (صندوق التنمية العقارية) في منح القروض الطويلة الأجل(٦١) أعظم زخم في انتشار الحركة العمرانية ، وانبثاق الأحياء السكنية الجديدة .

ولوزارة المواصلات في فتح الطرق وتبليطها ، وربط القرى بالمدن ، أكبرَ دَوْرٍ في تسهيل المواصلات وتحديث المنطقة ، ولا ننسى دور وزارة الشئون البلدية والقروية في العناية بتجميل المدن ، وتبليط الشوارع الداخلية وتنويرها .

ولقد تغير بالفعل الوجه الكالح لهذا البلد القديم ، بعدأن دخلت الكهرباء في كل مدينةٍ وقرية ، وكذالك الخطوط الهاتفية ، وبعد أَنْ قام مشروع هندسة المجاري ليشمل المدن والقرى . وكل ذالك من جملة المشاريع الحيوية التي جعلت البلاد تخطو خطوات نحو التقدم والازدهار .

القطيف/محمد سعيد المُسْلم

الحـــواشي

(١) الطبري ج ١ ص ٤٨٠

(٢) المفصل ج ٢ ص ٦٣٣

(٣) هدمت عام ١٤٠٥هـ بعد ان انتزعت ملكيتها من الأهالي ، وكنا نود لو بقيت القلعة بأسوارها وأبنيتها ومنارتها وجامعها القديم ، وأعيد ترميم ماتهدم من تلك الآثار ، وجعلتها الدولة مرفقاً سياحياً ، على غرار القلاع الأثرية في القاهرة ودمشق وحلب .

(٤) الزريب تصغير زرب : موضع المواشي .

(٥) كان اسم الدالية يطلق على كل بستان داخل القلعة ومعناها شجرة الكرم .

(٦) هو المجرى الأصلي ، ويرفد الماء إليه خلال قناة تخترق جدار السور من ساب الدويج ، ويسقي بساتين القلعة مرتين في الأسبوع مرة صباح يوم الخميس والأخرى ليلة الثلاثاء ، وقد شاهدنا بعض النخيل بجواره كانت قائمة .

(٧) الطبري ج ٢ ص ٥٢١ ذكر أنَّ الحطم بن ضبيعة استغوى الخطَّ ومن فيها من الزط والسيابجه .

(٨) وهي بحساب الأبجدية ح ٨ + ج ٣ ر ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦ .

(٩) مدينة الزارة مشهورة في التاريخ الإسلامي ، وكانت حاضرة القطيف وكانت تقع بالقرب من العوامية وقد خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه .

(١٠) سنتحدث عن هذه الأحياء في الفصل التالي .

(١١) لكل قرية مجموعة من البساتين ملحقة بها ، تسمى سيحه (لريّها سيحا من العيون) ولا تفصلها عن السيحة الأخرى إلا فواصل وهمية ، وهذا الاصطلاح متعارف عليه . حتى في السجلات الرسمية للدولة .

(١٢) المعجم الجغرافي ج ١ ص ١٦٣ .

(١٣) ص ٣٤١ وقد وصفها المسعودي بأنها سبخة طولها ٧ أميال وهي على بعد يومين من الساحل وان بها ماء ونخيل ، وهي متاخمة للاعباء (العبا) ، وهذا الوصف ينطبق إلى حد بعيد على سيحة الرياس ، فهي متاخمة للعبا إلى واحة أبي معن ، وهي سبخة كبيرة جداً واقعة في الصحراء بعيدة عن الساحل ، بخلاف سبخة سيهات الواقعة مباشرة على ساحل البحر .

(١٤) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .

(١٥) احصاء عام ١٣٩٤هـ وقد تضاعف هذا العدد فيما بعد .

(١٦) المعجم الجغرافي ج ٣/١١٩٥ .

(١٧) التنبيه والإشراف ص ٣٤١ .

(١٨) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٠ .

(١٩) المصدر السابق ج ٥/١٨٨٦ .

(٢٠) المصدر السابق ج ٥/١٨٨٦ .

(٢١) جميع ساب ، وهو نهر صغير ترفده مبازل النخيل التي تسقى من العيون .

(٢٢) المصدر نفسه ج ٥/١٨٨٤ .

(٢٣) دليل الخليج ٥/١٨٨٢ .

(٢٤) المصدر السابق ٥/١٨٨٣ .

(٢٥) المصدر السابق ٥/١٨٨٤ .

(٢٦) يعتبر المدخل البري لمدينة القطيف في الزمن الغابر ، ومنه المنطلق لقوافل الحجاج قبل ان توجد وسائل النقل الحديثة .

(٢٧) المصدر السابق ٥/١٨٨٢ .

(٢٨) كانت توجد أكثر من ١٥٠ عينا طمرتها الرمال .

(٢٩) المصدر نفسه ٥/١٨٨٣ .

(٣٠) حدد موقعها الشيخ الجاسر في معجمه ١/٢٩٦ بأنها تقع بين مدينة القطيف والجارودية ، وهو من جملة الأخطاء التي وقعت في معجمه ، والتي تحتاج إلى تصحيح .

(٣١) القاعدة اللغوية بأن الجموع لا ينسب إليها إلا اذا غلبت كأنصارى .

(٣٢) دليل الخليج ١٨٨١/٥ .
(٣٣) المصدر نفسه ١٨٨١/٥ .
(٣٤) القدح في اللغة الاناء الفارغ فاذا امتلأ سمي كأساً .
(٣٥) دليل الخليج ١٨٨٥/٥ .
(٣٦) جمع فدا المكان أو الأوعية التي تجمع فيها التمر أو الحنطة أو الشعير .
(٣٧) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٢٢ . صبح الأعشى ٣٣٩/١ العبر ٣٠٥/٢ الجمهرة ٢٣٢ .
(٣٨) ساحل الذهب الأسود ص ٥٢ .
(٣٩) دليل الخليج ١٨٨٠/٥ .
(٤٠) أنوار البدرين ص ٢٢٧ .
(٤١) المصدر السابق ص ٢٧٧ .
(٤٢) توفي سنة ٦٢٩هـ .
(٤٣) التنبيه والاشراف ص ٣٤٠ .
(٤٤) المعجم الجغرافي ج ٦٥٩/٢ .
(٤٥) قد يكون اسم هجر يطلق في ذالك العهد على المنطقة كلها كما كان اسم الاحساء يطلق إلى عهد قريب على المنطقة التي تمتد من الكويت حتى قطر وكانت بلاد هجر تطلق على القطيف والاحساء وجزيرة أوال كما يقول ابن خلدون العبر ج ٣٠١/٢ .
(٤٦) دليل الخليج ج ١٨٨٥/٥ .
(٤٧) العرب قبل الإسلام . د. جواد علي ج ١٤١/١ .
(٤٨) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٣ .
(٤٩) صور مدينة ساحلية في لبنان أسسها الفينيقيون في الألف الثالث قبل الميلاد أما أرواد فهي جزيرة على بعد ثلاثة أكيال من شاطىء طرسوس في سورية وبالمقابل يوجد في الخليج صور بعمان وعراد بجزيرة البحرين .
(٥٠) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية الذي أصدرته إدارة المتاحف والآثار ص ٣٧ .
(٥١) منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق.م ص ١٤٠ .
(٥٢) تقويم البلدان ص ٧ .
(٥٣) دليل الخليج ٢٤٤٥/٧ .
(٥٤) المعجم الجغرافي ٢٠٥/١ ــ ٢٠٩ .
(٥٥) المصدر السابق ج ٦٥١/٢ ــ ٦٥٢ .
(٥٦) دليل الخليج ج ٢٤٤٦/٧ ــ ٢٤٤٧ .
(٥٧) التنبيه والاشراف ص ٣٣٩ .
(٥٨) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٣ .
(٥٩) المصدر السابق ١٨٨٥/٥ .
(٦٠) المعجم الجغرافي ٤٨٦/٢ .
(٦١) يسدد القرض على أقساط سنوية لمدة خمس وعشرين سنة بدون فوائد بل يحسم من كل قسط نسبة ٢٠٪ تشجيعا للمقترض على انتظام التسديد فإذا رغب في سداد القرض فيحسم له نسبة ٣٠/ من أصل القرض .

معركة عنيزة ضدحملة خورشيد

بين المصادر النجدية والوثائق التركية المصرية

تمهيد : تعتبر حملة (خورشيد باشا) على نجد أهم حملات محمد علي باشا ــ حاكم مصر ــ على دولة الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود عام ١٢٥٤هـ ــ ليثأر من هزيمة حملة إسماعيل بك ومعه خالد بن سعود في الحوطة والحريق عام ١٢٥٣هـ[١] . وليقضي على الدولة السعودية الثانية في الجزيرة العربية . فقد وصل خورشيد بحملته (الحناكية) حيث وفد عليه كثير من رؤساء قبائل شَمَّر وحرب وعنزة وعُتَيْبَةَ وقحطان وسُبيع ، معلنين ولاءهم وطاعتهم[٢] له خصوصا بعد الحملات التأديبية التي شنتها قوات خورشيد ضدهم ، حيث أرسل خورشيد قوة بقيادة (حسن اليازجي) لقتال القبائل حول الحِنَاكية ونهبها . وأمرهم أن يأتوا إليه بآذان من يقتلونهم ، كدليل على صدق عملهم . وتذكر الوثائق أن (خورشيد) وصله ثمانون من آذان المقتولين ، وأنه أرسلها إلى المدينة وسُجّلَتْ في ديوانها [٣] ، وهذا العمل يُرِينا بعض ما صاحب الحملات المصرية من وحشية .

وفي صفر ١٢٥٤هـ (أواخر ١٨٣٧م) بدأ (خورشيد) سيره بحملته من الحناكية إلى منطقة القصيم ، وفي تقرير بعثه خورشيد إلى حكومته في القاهرة عن طريق سيره من الحناكية إلى عنيزة ــ يُذْكَرُ أنه قسم جنوده إلى فرقتين أو قسمين ، كل قسم يغادر الموضع قبيل وصل القسم الآخر . ويعلل (خورشيد) ذالك بقوله : (حتى لا يزدحم العسكر على الماء وعلى الطريق) ويُذْكر أنهم عسكروا في قرية (الرُّوَيْضةِ) ــ شمال الرَّسِّ ــ لعذوبة مائها ، وكثرة الكلإ والمراعي حولها . ثم نزلوا (الشَبيبيَّة[٤]) ثم توجهوا إلى (عُنيزة) وقبل وصولهم إليها وفد على خورشيد عبدالعزيز بن محمد آل أبو عُليَان أمير بريدة ، ومعه أمراء قُرى القصيم يطلبون الأمانَ ويقدمون له الطاعة التامة .

أما أمير عنيزة يحيى بن سُلَيْمٍ فَيُذْكَرُ أنه لَمْ يَأتِ لأنه خائف من مَغَبَّةِ ما عمله

من مخالفة ــ دون ذكر نوع هذه المخالفة[٥] ــ بل أرسل أخاه بدله ، طالبا الأمان ، ولكن خورشيد ردَّهُ وأمر أن يأتي يحيى بنفسه . وفعلا جاء يحيى مع كبار أهل عنيزة طالبين الأمان . ثم سار خورشيد ودخل عنيزة في يوم ٢٠ صفر عام ١٢٥٤هـ ونصبوا الخيام في المعسكر خارج البلد[٦] .

معركة عنيزة :

لم تمض ثلاثة أيام على وصولهم حتى حصلت معركة بينهم وبين أهل عنيزة ، راح ضحيتها عدد من القتلى من الطرفين . وقد أوردها بعض مؤرخي نجد وأهمهم ابن بشر بصورة غير التي أوردتها الوثائق .

فابن بشر يذكر أن سبب ذالك هوأنه سُرِق لخورشيد باشا وهو مُعَسْكِرٌ في عنيزة عُمانِيَّتَانِ من الإبل ، فأتهموا بذالك أهل عنيزة ، ووضع خورشيد حرساً في الليل فصادفوا رجلاً خارجاً إلى مزرعته فأمسكوه هو ووالده وقتلوهما . فعلم بذالك أمير عنيزة يحيى السليم . فأمر أَنْ تُرْمىَ جثتهما عند خيمة خورشيد ، ليراها ، ويتأكد مما فعله جنده ، ثم جاء أمير عنيزة إلى خورشيد ومعه سلاحه ــ كالعادة ــ فلما أراد الدخول على خورشيد نزع حُرَّاسُ خورشيد السلاحَ من على يحيى ، لأن العادة عندهم عدم الدخول على القائد أو الزعيم بسلاح ، فظنَّ خادمُ يحيى أن معنى ذالك أَسْرُ الأمير وقتله ، فهرب إلى البلد وصاح : أميركم قتل !! وكان هناك عدد من العسكر في داخل سوق عنيزة ، يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كُلَّ من وجدُوا منهم . وعلم يحيى السُّلَيم ، بالأمر ، وهو عند خورشيد باشا ، فاحْتال ، وهرب إلى داخل البَلد فوصلها بسلام . ثم نهضت العساكر فقتلوا من وجدوه من الأهالي خارج سور عنيزة ، وحاصروا قصر الضَّبَط ، وقتلوا من فيه من أهل عنيزة ، وعددهم خمسون ، بينما قتل الأهالي من العسكر تسعين رجلا . واستمرت الحرب بين الطرفَيْنِ ثلاثة أيام ثم وقع الصلح بينهم[٧] .

أما الوثائق[٨] فترويها بصورة أخرى ، بناء على التقرير الذي أرسله خورشيد باشا إلى حكومته في القاهرة . حيث ذكر أنه في اليوم الثالث لنزولهم عنيزة نزل

جنديٌّ من الترك إلى سوق عنيزة داخلَ البلد ، فحصل بينه وبين أحد البادية نزاعٌ من أجل كَرْمٍ (عنب) أدَّى إلى قيام الجنديِّ بقتل هذا البدوي ، فما كان من أهل البلد إلا أن قاموا وقتلوا الجنديَّ التركيَّ . وبهذا شب القتال بين أهل البلد وباقي العسكر، وأغلقوا أبوابها، وبادروا إلى أسلحتهم، واحتلوا السور، والبروج المحيطة به، عند ذالك أمر خورشيد بنصب ثلاثة مدافع في ثلاثة أمكنةٍ، وأمام ثلاث جهات في عنيزة أحدها أمام (الباطن[٩]) والثاني أمام (قصر الصفا) . والثالث في مكان لم يعينه ، كما قام بعض الفرسان باحتلال بعض البساتين وبروجها . ونشب القتال بين الطرفين ، وأخذت المدافع تضرب سور المدينة بعد أن قام الأهالي بإطلاق النار من بنادقهم على العسكر ، واستمر ذالك يومين وليلةً ، ويُذْكَرُ أن أهل البلد كانوا يحاولون الخروج من السور ، والهجوم على العساكر فتتلقاهم الفرسان الذين في البساتين القريبة من السور فتجهز عليهم . ثم يذكر أن القتال أسفر عن قتل مئة قتيل من أهل البلد ، قتلوا عند خروجهم ، وعن مئتي قتيل قتلتهم المدافع ، كما انهدَّتْ بعض البروج ، وجزء من السور ، وأنه أراد تدمير البلد بكامله لكنه تراجع لأن البلدة مركز تجاريٌّ كبير في المنطقة ، يختلف إليه التجار من بغداد والشام ، ويقصده الأعراب ببضائعهم ، وفي تدميره خسارة على هاؤلاء من ناحية ، وضرر على طريق إمداد الحملة بِالْمُؤَنِ والذخيرة . ثم يذكر أن أهل البلد لم يلبثوا أن طلبوا الأمان فأجيب طلبهم ، بعد أن قتل من العسكر اثنا عشر قتيلا وثمانية عشر جريحا[١٠] .

ملاحظات على الروايتين :

وهكذا نرى تباين الروايتين خصوصا في سبب القتال وعدد القتلى[١١]. ولنا على الروايتين عدة ملاحظات :

١ ــ أن السبب الذي ذكره ابن بشر لنشوب القتال قد يكون أكثر قبولا . فمن المرجح أن خُورشِيدَ في تقريره حاول أن يُبَرِّئَ نفسه من أن تكون له يدٌ في نشوب قتال بسبب سرقة عُمَانِيَّتَيْنِ له ، فاختلق هذا السبب أمام حكومته في القاهرة .

٢ ــ أن تقدير خورشيد لعدد القتلى غير مطابق للحقيقة ، إذْ من المرجح أنه يحاول زيادة عدد قتلى عَدُوِّهِ وتقليل عدد قتلاه في تقريره الذي سيرفعه إلى حكومته .

٣ ــ تدل الواقعة وتفصيلاتها في الروايتين معاً على أنَّ سُكَّانَ المنطقة هناك لم يكن خضوعهم للحملات المصرية جُبْنَا بقدر ما هو سير في الطريق الأسلم لهم[١٢] ولمنطقتهم ، وعدم الدخول في حرب معها معروفة نتائجها لصالح عدوهم لكثرة عدده وعتاده .

٤ ــ دلت الوثيقة على ما تتمتع به منطقة القصيم عامة ومدينة (عنيزة) خاصة من حركة تجارية واسعة لم تنقطع حتى في ظروف مجيء الحملات المصرية ، وانعدام قيام سلطة مركزية وطنية .

ما بعــد المعــركة :

ومهما يكن من أمر فقد مكث خورشيد في (عنيزة) مدة طويلة ، تقدر بخمسة أشهر استطاع فيها جَلَوِي بن تركي ــ أخو الإمام فيصل ــ من الهرب إلى أخيه فيصل في (الدِّلَم) بعد أن أستأذن خورشيد في الذهاب إلى بريدة لبعض حاجته ، فأذِنَ له ، ومن هناك اتجه فوراً إلى أخيه في الدلم ، ليطلعه على حقيقة الأمر ، وأن خورشيد باشا عازم على محاربته[١٣] .

وتتابعت الوفود على خورشيد في عنيزة تعلن ولاءها وطاعتها[١٤] له وكان من ضمن هاؤلاء وفدُ جبل شَمَّر بزعامة أميره عبدالله بن علي بن رشيد ، الذي جاء إلى خورشيد ــ بعد استيلائه على الإمارة من عيسى بن علي ــ الأمير السابق ــ مقدما له الطاعة ومُبْدِياً كامل استعداده لمساعدة حملته . وقبل خورشيد منه ذالك وأقره على إمارة حايل[١٥] ، وكان ذا فائدة له في توفير العديد من الإبل كوسائل نقل مهمة للحملة . يقول ويندر (Winder) بأن مشكلة الحصول على الإبل كوسائل للنقل هي شغل المصريين الشاغل بالنسبة لغزو نجد .

ورجع عبدالله بن رشيد من عند خورشيد محملاً بالهدايا ، وضامِناً إمارة حايل

له ، لكن حدث أن تعرض لابن رشيد ومن معه قوةٌ من أهل بريدة ، أرسلها أميرها عبدالعزيز بن محمد آل أبو عليان ، فنهبت ما معهم من أموال ، وقتلت منهم ستة رجال . واستطاع عبدالله بن رشيد الهرب ، راجعا إلى خورشيد في عنيزة الذي كساه ، وأهدى له مرة ثانية ، فرجع إلى بلاده[١٧] . ويعتبر هذا أول تصادم مسلح بين القصيم وعبدالله بن رشيد ، تطور فيما بعد إلى نشوب معركة بين الطرفين هي معركة (بقعا) في جمادى الأولى عام ١٢٥٧هـ والتي انتصر فيها ابن رشيد على أهل القصيم .

لقد بقى خورشيد في عنيزة طوال الأشهر الخمسة ، وهو يستقبل الوفود المختلفة من الحاضرة والبادية ، كما هيأ المدينة لكي تصبح قاعدة خلفية للجيوش المصرية في نجد ، وأستغلَّ خورشيد بقاءه هذه الفترة الطويلة في عنيزة في إعادة بناء بعض حصونها المخربة لتستقر فيها حاميته ، وبقي أثر أحد هذه الحصون يحمل أسم (حصن خورشيد) إلى عهد قريب ١٩٢٥/١٣٤٤هـ[١٨] .

د. محمد بن عبدالله السلمان

كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم/قسم التاريخ

المصـــادر والمراجـــع

أولا ــ المصادر غير المنشورة :

١ ــ الوثائق : (موضحة في الهوامش)

٢ ــ الذكير ، مقبل ، « تاريخ نجد » مخطوط في كلية الآداب جامعة بغداد رقم ٥٦٩ .

٣ ــ الفاخري ، محمد بن عمر : تاريخ الفاخري جمعه ونسخه عبدالرحمن بن ناصر . مكتبة جامعة الملك سعود رقم ٤٨ .

ثانياً ــ المصادر والمراجع المنشورة :

١ ــ ابن بشر ، عثمان : « عنوان المجد في تاريخ نجد » تعليق عبدالرحمن آل الشيخ . الطبعة الثانية ١٣٩١هـ نشر وزارة المعارف السعودية .

٢ ــ عبدالرحيم ، عبدالرحيم عبدالرحمن (الدكتور) : « محمد علي وشبه الجزيرة العربية » (١٢٣٤ ــ ١٢٥٦هـ /١٨١٩ ــ ١٨٤٠م) الطبعة الأولى ١٩٨١م .

٣ ــ العبودي ، محمد : « معجم بلاد القصيم » . نشر دار اليمامة بالرياض . الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

٤ ــ ابن عيسى ، ابراهيم : « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم » . نشر دار اليمامة بالرياض . الطبعة الأولى .

٥ ــ الفاخري ، محمد بن عمر : « الأخبار النجدية » دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله الشبل . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بدون تاريخ) .

ــ المراجع الأجنبية :

1 - Musil (Alios) .
Northern Nejd, New York 1928.
2 - Philby (H.S. & J.B.)
Arabia of the Wahabis, London 1977.
3 - Winder
Saudi Arabia in the Ninteenth Century, New York 1965.

الحـواشي :

(١) انظر عن هزيمة اسماعيل بك ومعه خالد بن سعود في الحوطة والحريق في ابن بشر « عنوان المجد » جـ٢ ص ٩٣ .

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، « محمد علي وشبه الجزيرة العربية » ص ٣٠٣ ومحفظة رقم (٢٦٤) عابدين وثيقة (٢٠٨) .

(٣) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٢) عابدين وثيقة رقم ٢٦٦ من خورشيد باشا إلى محمد علي في ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ .

(٤) تقع الرويضة شمال الرس . وتقع الشبيبية غرب عنيزة أنظر « معجم القصيم» ٣/١٠٧٩ و١١٩٦ .

(٥) لعل المقصود بالمخالفة قتل يحيى السليم عبدالله الجمعي الموالي للمصريين في عنيزة عام ١٢٣٩هـ وتولي إمارة عنيزة . أنظر ابن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» ص ١٥٣ .

(٦) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٤) عابدين وثيقة رقم (٢٠٨) زرقاء من خورشيد باشا إلى ــ الباشا السر عسكر في ٤ ربيع أول عام ١٢٥٤هـ ومحفظة (٢٦٤) وثيقة ١٢٩ حمراء .

(٧) أنظر ابن بشر جـ٢ ص ١٠١ و١٠٢ ومقبل الذكير : «تاريخ نجد» (مخطوط) ورقة ٦٦ . والفاخري : «الأخبار النجدية» تحقيق د. عبدالله الشبل ص ١٧٤ . وفي المخطوطة حوادث ١٢٥٤هـ .

(٨) الوثيقة السابقة رقم (٢٠٨) زرقاء .

(٩) كذا بالأصل وصحتها (البويطن) أحد أحياء مدينة عنيزة حتى الآن .

(١٠) الوثيقة السابقة رقم (٢٠٨)زرقاء .

(١١) يورد المؤرخ (وايندر) حصرا مخالفا في عدد القتلى من الجانبين فيذكر أنهم يتراوحون بين ١٤٠ ــ ٤١٨ . أنظر Winder, Saudi Arabia p. 198 أما الفاخري فيوافق ابن بشر في جعل قتلى العسكر (٩٠) وقتلى عنيزة (٥٠) انظر محمد الفاخري «الأخبار النجدية» ص ١٧٤ .

(١٢) ورد في وثيقة أخرى أن أهل عنيزة سيثورون إذا كلفوا بأقل شيء . وقد اطلق خورشيد على سور عنيزة ألف قذيفة فلم ينهدم سوى جانب من السور الذي يتراوح عرضه بين ٣ ــ ٤ أذرع من الطين المصبوب . محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٦٠) حمراء .

(١٣) ابن بشر جـ٢ ص ١٠٣ . ومحفظة (٢٦٢) وثيقة (٢١٨) .

(١٤) محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٤٠) زرقاء .

←

قصيدتان بائيتان جديدتان
لعَدِيّ بن الرقاع العامِليّ

نشرت مجلة « العرب » الغرّاء (س ٢١ ص ٢٤٢) قصيدتين لعَدِيّ بن الرِّقاع . وقد أثار نشرهما تساؤلات كثيرة عن مصدرهما من سائر البلدان العربية والإسلامية .

وأُحِب هنا أن أُشير إلى أنّ القصيدتين من ديوانه المخطوط بشرح أبي العباس ثعلب المتوفي سنة ٢٩١هـ .

وقد وفقنا الله تعالى فحصلنا على هذه المخطوطة وهي تضمّ تسعاً وعشرين قصيدةً فيها أكثر من ألف بيت .

وقمنا ، أنا وأخي الدكتور نوري القيسي ، بتحقيق هذا الديوان ولم ندفعه إلى المطبعة إلّا قبل شهر واحد لأسباب نُحْجِمُ عن ذكرها .

واليوم أهدي قصيدتين بائيتين جديدتين إلى أخي حمد الجاسر حفظه الله تعالى راجياً له الصحة التامة ولمجلة العرب الغرّاء دوام التقدم والازدهار .

والقصيدتان هما الأولى والثانية في الديوان المخطوط ، وقد خلط بينهما مَنْ تصدَّى لجمع شعر عدي بن الرِّقَاع إذ وقف على سبعة أبيات منهما ، بينما تقع الأولى في أربعة وعشرين بيتاً ، وتقع الثانية في أربعة وأربعين بيتاً .

---

(١٥) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٢) وثيقة (١١٩) . ابن بشر ٢/١٠٢ ــ ١٠٣ و Musil, Northern Nejd p. 272 .

(١٦) محفظة ٢٦٢ وثيقة (١٨٩) وانظر Winder , Op. cit p. 198 .

(١٧) ابن بشر جـ ٢ ص ١٠٣ . ويذكر أنه وفد على خورشيد في عنيزة زعيم مُطير محمد الدُّويش وزعيم سُبيع فهد الصُّيَيْفي ، وأمير سُدَيْر أحمد السديري .

(١٨) الوثيقة السابقة (٢٠٨) زرقاء و . Philby : Arabia of the Wahabis p. 170 وانظر عن معركة (بقعا) ابن بشر جـ ٢ ص ١١٧ .

والحمد لله أولاً وآخراً إنّه نِعْمَ المولى ونِعْم النصير؟

بغداد ــ كلية الآداب بجامعة بغداد د. حاتم صالح الضامن

قالَ عَدِيُّ بن الرِّقاعِ العامِلِيّ :

١ لِمَنِ الدَّارُ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ هاجَتِ الشَّوْقَ وعَيَّتْ بِالْجَوَابِ
٢ لم تَزِدْكَ الدَّارُ إلاَّ طَرَباً والصِّبَا غَيْرُ شَبِيْهٍ بالصَّوَابِ
٣ مَوْضِعُ ٱلأَنْضَادِ لأْياً مَايُرَى وَرَمَادٌ مِثْلُ كُحْلِ الْعَيْنِ هَابِ
٤ صَدَّ عَنْهُ السَّيْلَ مَجْرىٰ تَلْعَةٍ خُدُدٌ بَاقٍ كَأُخْدُوْدِ الْكِرابِ
٥ ضَرَبَتْهُ سَلْفَعٌ مَمْلُوكَةٌ بِغُرابِ الْفَأْسِ فِي وَجْهِ التُّرَابِ
٦ تَدْفَعُ السَّيْلَ بِهِ حتى جرَى صَحْصَحانيٌّ الصَّحَارِي وَالرِّكَابِ
٧ وَبِهَا قَدْ كَانَ فِيْهَا سَاكناً أَهْلُ أَنْعَامٍ وَخَيْلٍ وقِبَابِ
٨ وَرَعَابِيْبُ حِسَانٌ كَالدُّمَى لاَ يُنِلْنَ الشَّيْبَ لَذَّاتِ الشَّبَابِ
٩ فَذَرِ اللَّهْوَ لِمَنْ يَلْهُو بِهِ وَاكْسُ أَقْتَادَكَ جَوْناً ذَا هِبَابِ
١٠ حَمَلَتْهُ بَازِلٌ كَوْدَانَةٌ فِي مِلاَطٍ وَوِعَاءٍ كَالْجِرَابِ
١١ سَنَةً حتَّى إذَا مَا أَحْوَلَتْ وَضَعَتْهُ بَعْدَ عَرْفٍ واضْطِرَابِ
١٢ جَلْدَةً لَمْ يَتَخَوَّنْ دَرَّهَا سُوْءَ تَصْرِيْمٍ وَلاَ جَهْدُ احْتِلاَبِ

١٣ فَفَلَتْهُ دِرَرًا حتَّى بَدَا سَامِقاً يَعْلُو مَصَاعِيْبَ السِّقَابِ
١٤ جَذَعاً يَسْتَكْبِرُ الشَّوْلُ لَهُ مُفْنَقاً كَالْفَحْلِ يَعْمَى بِاللِّعَابِ
١٥ ثُمَّ أَثْنَى وَهْوَ شَهْمٌ مُصْعَبٌ فَرَدٌ يُذْعَرُ مِنْ صَوْتِ الذُّبَابِ
١٦ فَخَلاَ سِتَّةَ أَيَّامٍ بِهِ رائِضٌ يَعْدِلُ أَضْغَانَ الصِّعَابِ
١٧ فِي خَلاءِ الأَرْضِ حَتَّى قَادَهُ تَبَعَ الْمُهْرِ بِمَنْحٍ واجْتِلاَبِ
١٨ قَلَّما حَمَّلَهُ مِن رَحْلِهِ غَيْرَ أَقْتَادٍ ونِطْعٍ وقِرَابِ
١٩ يَرْقُبُ الشَّخْصَ بِتَالِي طَرْفِهِ بَعْدَمَا يَنْضُو مَعَانِيْقَ الرِّكَابِ
٢٠ نِعْمَ قُرْقُورُ الْمَرَوْرَاتِ إذَا غَرِقَ الْحِزَّانُ فِي آلِ السَّرَابِ
٢١ كَمُدِلٍّ ظَلَّ فِي عَانَتِهِ بِصُوَى الرِّجْلَةِ شَرْقِيَّ غُرَابِ

٢٢ صـائِـمٌ يَـقْـصِـمُ أَدْنَـى أَمْـرِهِ قد بَرَى جَبْلَتَهُ عَسْفُ الرِّقابِ
٢٣ أَبِـمَـاءِ السِّرِّ يَـسْـقِـيْـهِـنَّ أَمْ يَـرِدُ الْحَيَّ إلى وَجْـهِ الإيَـابِ
٢٤ ثُمَّ قَفَّـاهُـنَّ مَحْبُـوكُ الشَّـوَى أَصْحَـلٌ فِي أُخْـدَرِيَّـاتٍ لِهَـابِ

وقال عَدِيّ أيضاً :

١ لِـمَنِ الـدَّارُ مِثْلُ خَطِّ الْكِتابِ بِـالْمَراقِيـدِ أَوْ بِـذِكْـرِ الْعِقَـابِ
٢ جَـرَّتِ الرِّيْحُ فَوْقَهـا مُـذْلَعِبًّـا مِنْ أَهَـابِيَّ تَـرْتَـمِي بِـالـتُّرَابِ
٣ لَيْتَ لِي جِيـرَةً كَـآلِ خُلَيْـدٍ حَسْبِي الذي مَاتِعي الأَحْسابِ (؟)
٤ بَـذَلُوا الْـمَاءَ يَـوْمَ جِئْنَـا وحَيَّـوْا وسَقَـوْنَـا عـلى مَنَـاقِي الـرِّكَـابِ
٥ ظَاهِرُو الأُنْسِ والْعَفَافِ إذَا مَا لُـزِّبَـيْنَ الْبُيُـوتِ بِـالأَطْنَـابِ
٦ وَرَأَيْتُ الـدُّخَانَ يَنْسِـلُ قُـدْمـاً نَسَلَ الذِّئْبِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ
٧ عَـادَ لِلقَلْبِ مِـنْ رُوَيْـمَـةَ رَدٌّ بَعْـدَ صَـرْمٍ مُبَـيِّنٍ واجتنـابِ
٨ وسَبَتْـهُ بنـاصِـعِ اللَّوْنِ حُـرٍّ وَثَـنَـايـاً مُـفَـلَّجـاتٍ عِـذَابِ
٩ دُمْيَـةٌ شَـافَهـا رِجَـالٌ نصَـارَى يَـوْمَ فَتْحٍ بِـمَاءِ كَنْـزٍ مُـذَابِ
١٠ أو مَهَـاةٌ تَبَلجَ اللَّيْـلُ عَنْهَـا باللِّوَى بَيْنَ عَـالِجٍ فَـالْجَنَابِ
١١ وإذا الـنَّـاشِئُ الـرِّفَـلُّ رآهَـا لَجَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ فِي التَّصَابِي
١٢ بَيْتَنَـا تَـزُورُ صَـرْعَى نُعَـاسٍ عَـرَّسُـوا مَـوْهِنـاً بِـأَرْضٍ يَبَـابِ
١٣ فَتَـرَى الْغِـرَّ بِـالْـمَنَـاكِبِ يَكْبُـو شَهْوَةَ الْقَوْمِ كَـالْأَمِيْمِ الـمُصَابِ
١٤ هُجَّـداً فَـاتِـرِي الْعُيُـونِ تَـرَاهُمْ كَالشَّمَالَى وَمَا انْتَشَـوْا مِنْ شَرَابِ
١٥ راعَهُمْ بَعْـدَ رَقْـدَةٍ رَقَـدُوهَـا دَعْوَةٌ مِنْ صَمَحْمَحٍ غَـيْرِ كَابِ
١٦ قَدْ فَشَا فِي مُضْمرِ الغِسْلِ منهُ وَضَحُ الشَّيْبِ بعْدَ غَضِّ الشَّبَابِ
١٧ قَـدْ دَعَـاهُمْ حتىَ تَفَلَّل لأْيـاً صَوْتُهُ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فِي النِّقَابِ
١٨ مَـائِـلاً رَأْسُـهُ نُعَـاسـاً يُنَـادِي ثُمَّ يَعْيَـا لِسَانُـهُ بِـالْجَـوابِ
١٩ عَشِقَ الكَـرمةَ الَّتِي اسْتَنْكَحَتْـهُ فَهْـوَ يُنْصَى بِـرَأْسِـهِ وهْـوَ آبِ
٢٠ فَـاتَّقَوْا ظَـاهِـرَ الْحَصَـا بِـرِحَـالٍ مُثْبَتَـاتٍ عَـلَى ظُهُـورِ الرِّكَـابِ
٢١ فتَحَـزْحَـزْنَ إذْ سَمِعْنَ وَغَـانَـا جَـزَعـاً أَوْ تَـيَسُّراً لِـلْهِـبَـابِ

٢٢ ضَامِرَاتٍ عَلَى ذَخَائِرَ كَانَتْ جِرَّةً يَأْتَدِمْنَهَا بِاللُّعَابِ
٢٣ يَبْتَدِرْنَ الْقِيَامَ يَجْمُزْنَ قُدْماً ثَانِيَاتٍ وَهُنَّ غَيْرُ صِعَابِ
٢٤ قَدْ شَهِدْتُ الْجِيَادَ يَخْرُجْنَ فَوْتاً مِن غُبَارٍ مُجَلَّلٍ مُنْجَابِ
٢٥ سَاطِعٍ يَصْطَنِعْنَ مِنْهُ ذُيُولاً كَمُلاَءِ الْعِرَاقِ ذِي الهُدَّابِ
٢٦ ضَرَبَتْهُ الرِّيَاحُ فَاغْتَصَبَتْهُ جَلَدَ الْأَرْضِ وَقْعُ صُمٍّ صِلاَبِ
٢٧ جَانِحَاتٍ كَأَنَّهُنَّ رِجَالٌ مُسْتَغِيرُونَ طَارِحُو الْأَسْلاَبِ
٢٨ فَوْقَهُنَّ الْمُسْتَلْئِمُونَ قُعُوداً يَسْتَحِثُّونَهُنَّ بِالْأَحْقَابِ
٢٩ بَيْنَ أَيْدِي عَرَمْرَمٍ ذِي دُرُوْءٍ جَحْفَلٍ فِيهِ رَايَةٌ كَالْعُقَابِ
٣٠ تَحْتَهَا وَاحِدٌ وَعِشْرُوْنَ كَعْباً رُدَنِياً وَمُذْلَقٌ كَالشِّهَابِ
٣١ وَكُمَاةٌ كَسَتْهُمُ الْحَرْبُ بَيْضاً وَسَرَابِيلُ كُسِّرَتْ لِلضِّرَابِ
٣٢ مِنْ بَنِي قَاسِطٍ وَأَبْنَاءِ زُهْدٍ ذَانِكَ الْمِخْلَبَانِ ظُفْرِي وَنَابِي
٣٣ [..] طَوَتْ طَلَّتِي إِلَى أَرْضِ قَوْمِي وَشَجَاهَا تَقَلُّبِي وَاغْتِرَابِي
٣٤ وَتَمَنَّتْ ..... أَنْ يَكُونُوا بِالْمُعَيَّنِ أو بِوَادِي الذِّئَابِ
٣٥ بَعْدَمَا حَرَّتِ الْمِيَاهُ وَقِظْنَا وَالْمُنَى لَيْسَ مِنْ أُمُورِ الصَّوَابِ
٣٦ لَوْ تَقَدَّمْتِ أَمْسِ كُنْتِ شَفِيعاً وَتَأَخَّرْتِ أَشْهُراً فِي الْعِتَابِ
٣٧ سَوْفَ يَكْفِيكِ بَعْدَهُم إِذْ نَأَوْنَا سَنِمَاتٌ قَنَاعِسٌ كَالْهِضَابِ
٣٨ طَرِفَاتٌ إِذَا اسْتَبَحْنَ مَكَاناً صَاحَ فِيهِنَّ يَافِعٌ كَالْغُرَابِ
٣٩ حَبَشِيٌّ يُلاَعِبُ السَّقْبَ مِنْهَا فَرَحاً أَنْ يَعَضَّهُ بِالثِّيَابِ
٤٠ يَمْتَطِي كُلَّ صَعْبَةٍ وَذَلُولٍ سَمِنٌ خَالِدٌ عَلَى الْأَصْلاَبِ
٤١ فَتَرَاهُنَّ بُدَّناً رَهِلاَتٍ وَارِمَاتِ الشُّطُوطِ غُلْبَ الرِّقَابِ
٤٢ فَرَعَتْ شَابِكاً فَبَطْنَ شُهَيْبٍ حَيْثُ مَجَّ الرَّبِيْعُ مَاءَ السَّحَابِ
٤٣ وَإِذَا بَرَكَتْ تَلَجْلَجَ مِنْهَا سُرَرٌ يَقْتَحِمْنَ حُرَّ التُّرَابِ
٤٤ فِي دِيَارِ الْعَزِيْزِ مِنْ أَرْضِ كَلْبٍ بَيْنَ أَحْيَاءِ عَامِرٍ وَجَنَابِ

اليهودية في اليمن: جذورها وثقافتها وأدبها

روبين أهروني ٢٢٧ص

[منشورات مطابع جامعة انديانا ، الولايات المتحدة

سنة ١٩٨٦ (باللغة الانجليزية)]

إذا رجعنا إلى أمهات كتب التاريخ اليمني باللغة العربية نكاد لا نجد فصلاً واحداً عن الجالية اليهودية اليمنية ، بل قَلَّ من يأتي على ذكر اليهود من المؤرخين اليمنيين إلا عرضاً ، بمناسبة حادث أو واقع ، ولذا فإن لكتاب روبين أهروني أهمية ليس فقط بالنسبة إلى اليهود بل أيضاً بالنسبة إلى اليمنيين أنفسهم ، لأنه يلقي أضواء على تاريخهم ، ويتحدث عن أقدم جالية من أهل الذمة في الجزيرة العربية أُمِّتِ اليمن قبل الميلاد ، وعاشت وازدهرت خلال ألفي سنة ، ثم نزح معظم أفرادها إلى فلسطين ، وآثر العدد القليل منها البقاء في مسقط رأسه ، فلايزال يعيش منها نحو ألفي نسمة في ظلال الجمهورية العربية اليمنية .

إنَّ لِكِتَابِ (روبين أهروني) أهمية تاريخية أكيدة لأن المؤلف استقى جلّ معلوماته من الوثائق العبرية ، بالإضافة إلى المؤلفات العربية والغربية ، فكشف عن معالم مجهولة من الحياة الثقافية والدينية في جنوب الجزيرة العربية . ولكن من دواعي الأسف الشديد أنه لم يحرص على الأمانة التاريخية ، بل اتبع هواه ، وانقاد للعاطفة الدينية في موضوع يحتاج إلى صفاء الذهن والتفكير الرصين ، فهوّل الأمور ، وأثار الحِقْدَ، والسخط، ولم يُرَاعِ أصولَ البحث العلمي التي لا تقبل الدليل إلا بعد أن تتناوله بالنقد والتجريح ، والشك المبدئي ، فإذا به يقبل ــ دون تحقيق ــ أقوال الكتبة المتأخرين من اليهود ، ويرضى بها ، وإن كانت واهية ، ويعتمد عليها وإن كانت مناقضة لشهادة المؤرخين المسلمين الذين كانوا معاصرين للحوادث التي يتكلم عنها .

وقبل أن نُقْدِمَ على نقد هذا الكتاب وإظْهارِ مواطن الضعف فيه ، علينا أنْ نوضح أولاً الغاياتِ التي يرمي إليها المؤلفُ من وراء عمله . ومن الممكن اختصارُها بأوْجز العبارات : إنَّ يهودَ اليمن بزعمه ليسوا من أصل عربي ــ أي من العرب المتهودين ــ ولكن من أرومة يهودية محضة ، ولعلهم من سلالة القبائل العبرية المفقودة التي نزحت إلى الجزيرة العربية في زمن التوراة (ص ٣ ومابعدها) . ويذهب إلى أن (فولكلور) اليهود اليمنيين وموسيقاهم ورقصهم الشعبي تعبر عن تقاليد قديمة تعود إلى التراث القومي اليهودي (الخلاصة) .

وبناء على هذه المقدمات فإنَّ (روبين أهروني) يشكُّ في عدد من الحوادث التي يسلم بصحتها عادةً المختصون بالتاريخ اليمني ، منها تَهَوُّدُ ذِي نُوَاسٍ ، واستشهاد نصارى نَجْران ، (ص ٤٤ ومابعدها) . وعنده أن هذه الحوادث مبالغ بها جِدًّا ، وقد صحِبها قسط كبير من الأمور الخيالية ، وهي لا تدل على أن يهود اليمن مُتَحَدِّرُون من سلالة عربية اعتنق بعضُ أفرادِها ديانة موسى في الأزمنة الغابرة ، بل تثبت فقط وجودَ عُنْصُرٍ يهوديٍّ أصيل ، كان له أكبر أثر في القبائل الحِمْيَرِيَّةِ (ص ٤٧) .

وبمختصر الكلام ، يذهب (روبين أهروني) إلى أنَّ يهودَ اليمن هم من أرومة عِبرية . وهذه النظرية تحتاج إلى مزيد من الدعم التاريخي ، بل إنَّ عدداً من العلماء اليهود أنفسهم ، منهم (ارتو رِيبَّان) ، ينكرون صحتها ، وَلا يُدْلِي المؤلفُ بَأيِّ شاهدٍ على ما ادَّعاه ، إنما يكتفي بإنكار ما قررته الأبحاث التاريخية (انظر : عرفان شهيد ، استشهاد نصارى نجران ، باللغة الانجليزية) . والبرهان القاطع على خطإ هذه النظرية العنصرية تقدمه لنا جامعة تل أبيب في بحث لها عن (الجينات) الوراثية (Hool genetique) إذْ تبين لها أنَّ (جينات) يهود اليمن لا تختلف في شيء عن (جينات) القبائل العربية المجاورة (أنظر : N. MEYERS: Genetic Links for Scattered Jews, Nature, 1985, No. 314:208. ومعنى ذلك انهم من العرب المتهودة وانه لا يصح علمياً أن نتكلم عنهم كجالية .

ثم ينتقل المؤلف إلى البحث عن أحوال يهود اليمن تحت الحكم الإسلامي . فنراه يتحامل تَحامُلاً شديداً على الإسلام ، ويطعن خاصة بالزيدية ، وينسب إليها قسطاً وافراً من التَّعصب الديني ، ومما لاشك فيه أن الإسلام ما كان ينظر بعين الرضا إلى أهل الذمة ، ومما لاشك فيه أيضاً أنَّ حقوق اليهود في اليمن هُضِمَتْ أحيانا ، وأنهم اضْطُهِدُوا بنوع خاص في أيام حكم المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ، إذْ أمر سنة ١٦٧٩ بإجلائهم إلى موزع ، ثم رجعوا إلى قراهم بعد سنة كما بسطه مفصلا المؤلف (ص ١٢١ ومابعدها) إلا أنه كتَبَ مندفعاً بعواطفه فشوَّهَ الحقيقة تشويهاً قبيحاً ، فأصبح تاريخ اليهود في اليمن سلسلة غير منقطعة من الإرهاق والاضطهاد ، والعذاب والإذلال ، والاكراه الديني والمذابح ، حتى انَّ بقاء الجالية اليهودية في حَيِّز الوجود بعد كل ما قاسَتْهُ من شدائد وأهوال يدخل في عداد العجائب (ص ٥٥) ، وقد غاب عن فكر المؤلف ماقرره هو نفسه من أن حكم الإعدام على يهودي في اليمن من الأمور النادرة جدًّا (ص ١١١) .

وقد يتساءل القارئُ عن المصادر التاريخية التي أخذ عنها المؤلف ؟ إنه رجع خاصة إلى الوثائق العبرية ، ومن أهمها « يوميات حاييم حبشوش » وهو من أهل القرن التاسع عشر ، كان صحب (جوزيف حاليفي) الفرنسي وقت رحلته إلى اليمن . وبناء على مذكرات (حبشوش) طعن (أهروني) بالإمام الهادي ، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن سنة ٨٩٨م أي نحو ألف سنة قبل يوميات (حبشوش) ونسب إليه أعمالاً لم يسطرها التاريخ وادَّعَى أنَّ الإمام الهادي أرهق اليهود واستبدَّ بهم ، بل أنَّ (حاييم حبشوش) يذهب إلى أبعد من ذالك ويزعم أنَّ عدداً من اليهود فضَّلُوا أن يموتوا شهداء ويبقوا على دينهم ، إذْ خَيَّرَهُم الهادي بين الإسلام والموت ، ولكن اعتنق بعضهم الإسلام كُرْهاً لينقذ حياته (ص ٥٤) ، إلا أن (حبشوش) لا يذكر المصادر التي أخذ عنها ليلصق بالإمام الهادي هذه التهمة الشنيعة المخالفة لمباديء الإسلام ، لِأَنَّهُ يُخَيَّرُ بين الشهادة والجِزْية ، ومع ذالك فإن (أهروني) يقبل راويته على الرغم من أنها تناقض ماجاء في كتب التاريخ عن ورع هذا الإمام وعدله ، وتخالف ماكتبه مؤلف « سيرة الإمام

الهادي » ، علي بن محمد العلوي ، وكان ابْنَ عم الهادي وصاحِبَهُ ، عن حسن معاملة الإمام لأهل الذمة ، وللتوفيق بين هذين القولين المتضاربين ـ أي بين الذم والمدح والقدح والإطراء ـ يزعم (أهروني) دون أنْ يُدْليَ بِأي إثبات ، أن (حبشوش) يتكلم عن فترة من حكم الهادي غير الفترة التي حدّث عنها السيد العلوي (ص ٥٦) .

وهذا التشويه للحقائق نراه أيضاً عندما يستشهد (أهروني) بكاتب عُرِفَ بصدقه ودقة وصفه ، مثل الرحالة (نيبور) الذي زار اليمن سنة ١٧٦٣ ، وتجول فيه وتكلم عن أحوال اليهود . فإنَّ المؤلف لم يكن أميناً في نقله عن (نيبور) لأنه تحدث بادِيَ بَدْءٍ عن اضطهاد اليهود ، والقوانين المجحفة بحقوقهم ، وعن بيوتهم الجميلة التي هدمها الحكام ، وعن دور العبادة التي دمَّرَها المسلمون . أجَلْ إنَّ (نيبور) أشار إلى كل هذه الأمور ، ولكنه ذكر أوَّلاً رفاهة عيش اليهود ، وسعة رزقهم ، وتكلم عن أحد كبرائهم (شالوم عراقي) الذي كان له حظوة عند الإمام ، ويشغل منصبا هَامًّا في الدولة ، إذْ ظل مدة ثمان وعشرين سنة المفتش الأول لجميع الجمارك والأبنية والبساتين ، ثم فقد حَظْوتَهُ وسُجِنَ لأسباب نجهلها ، لأنَّ (نيبور) لم يتكلم عنها ، ولكنه يعلمنا أنَّ القوانين ضِدَّ اليهود اتُّخِذَتْ بعد أنْ غضب الإمام على (شالوم عراقي) ـ (نيبور ، رحلة إلى الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ، الطبعة الفرنسية سنة ١٧٧٦ ـ ١٧٨٠) . فكيف لا نتساءل عن الأسباب التي حملت الإمام على أنْ يقلب لكبير مفتشيه ظَهْرَ الْـمِجَنِّ ؟ ولا جَرَمَ أنَّ زوال النِّعْمة لا يدل دائما على جُرْمٍ أوْ خطإٍ ، ولطالما استبدَّ الحاكم برعيته لاسيما في العصور المظلمة . إلاَّ أنَّ الاَسْتِبْدَادَ لم يكن فقط من نصيب أهل ذمة ، ولقد لاقتْ قبيلة المعازِبة (أي الزرانيق) من القتل والاضطهاد وتشتيت الشمل ما يصعب تصوره (انظر : ابنَ الدَّيْبَع « بغية المستفيد وذيله الفضل المزيد ، الفهارس[1] ، مادة المعازبة) . وكان لليهود حظ وافر من الرخَاءِ أيَّام الدولة الرسولية (١٢٢٩ ـ ١٤٥٤) وخلال الاحتلال التركي والبريطاني .

إنَّنا نأخذ على (روبين أهروني) بنوع خاص ، ثقته العمياء بالمصادر التي

يستقي منها ، فينقل عنها دون أن يحقق عن نصيبها من الصحة ، مع أننا نرى أنَّ رحالة مثل (نيبور) عُرِفَ بأمانته ، يقع أحيانا في أَخطاء فادحة . ومن ذالك قوله : إن في خيبر ثلاث قبائل يهودية كانت تعادي المسلمين ولا تُحَجِمُ عن نَهْب قوافل الحجاج (نيبور ، وصف الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ومابعدها ، الترجمة الفرنسية ، سنة ١٧٧٩) . ونحن نعلم أن هذه الأخبار لا أساس لها من الصحة . إنَّما ذكرناها ونحن نعلم أنَّ رجلاً مثل (نيبور) ينقل أحيانا الرواياتِ الخاطئة . فكيف الحالة عند كاتب مُتأخر مثل (حبشوش) يتكلم عن عصور خلتْ ، معتمداً فقط على الذاكرة الشعبية ؟! ومن العجب أنْ يُولِيَهُ (أهروني) ثقته دون فحْص أو تدقيق . ومع أن المؤرخين اليمنيين لا يذكرون اليهود إلاَّ نادراً ، فإنَّ في كتبهم إشارات إلى أن حقوقهم لم تكن دائما مهضومة ، كما يذهب إليه المؤلف . ومن ذالك ماجاء في « الفضل المزيد » لابن الدَّيْبَعِ قال : وفي أواخر شهر صفر من سنة خمس وتسع مئة (١٥٠٠م)تجهز مولانا السلطان لغزو بني عبد ، إذْ بلغه أنَّ قاتِلَ ابْنَ مخارش منهم . فلما علموا بذلك لجأُوا إلى عَدُوِّ الله اليهودي الملعون ، الناقض للعهد ، الذي ببلد بَيْحَان . وكان مخالفاً على السلطان ، ناقضاً للعهد ، ناكثاً للأيمان ،يطعن في دين الإسلام ، ويركب الخيل بالسرج المعرقة ، ويتطاول على المسلمين ، وتبعه خلق كثير من اليهود ، وخصوصاً من كان أسلم منهم ثم تَهَوَّدَ ، ومن خالف على مولانا السلطان من المسلمين ، فتجهز الملك الظافر إلى بَيْحَان في عساكر كثيرة . . . (الفضل المزيد ، تحقيق شلحد ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١) وذكر هذه القصة أيضاً بافقيه الشحري في كتابه : « تاريخ الشحر » ــ مخطوطة المكلا ، و رقة ١٦ ــ وهي تدل على السلطة التي كان يتمتع بها اليهود في بيحان . وعلى ذكر ابن الدَّيبع نرى أن (أهروني) أهمل تماماً الدولة الطاهرية ، مع انها حكمت قِسْماً كبيراً من اليمن من سنة ١٤٥٤ إلى سنة ١٥٢٦ .

وعلاوة على الأخطاء التاريخية والتحامل على الزيدية ومؤسسها ، إننا نجد في هذا الكتاب طعناً شديداً باليمنيين ، ويستند المؤلف لاثبات أحكامه الصارمة إلى

ماكتبه أمين الريحاني عن وضع القبائل والفوضى القبلية (ص ١٥) . فَيُعَمِّمُ (أهروني) هذا الوصف ويطلقه على الشعب اليمني بأسره ، على سكان المدن والريف ، ناسياً ماكان للقبائل من أيادٍ كريمة على اليهود لأنهم كانوا يعيشون في جوارها ، وكانت تدافع عنهم ، وتحفظهم من جور الحياة واستبداد الحكام . وعلى الرغم من اختلال الأمن خلال الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢ والحرب الأهلية التي طالتْ أكثر من ثماني سنوات وذهب ضحيَّتَها عشراتُ الآلاف من اليمنيين ، فإن مابقي من الجالية اليهودية في اليمن ، بعد الهجرة إلى فلسطين ، لم يُنْتَقَصْ له عهد ، ولم يُهْدَرْ له دَم ، إذ حافظت عليه القبائل من كل عائلة .

ثم يصف (أهروني) حالة يهود اليمن حين وصولهم إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فيزعم أنهم كانوا في حالة لا توصف من التأخر الحضاري ، حتى أنهم كانوا يجهلون استعمال الأسِرَّة ، فرقدوا تَحْتَهَا وليس فيها(ص ٢) إني زُرْتُ اليمن مِرَاراً منذ سنة ١٩٦٩ واتصلت باليهود في عمران وَرَيْدَة وصعدة وبوسعي أن أُؤَكِّدَ أنهم يعرفون الأسِرَّةَ وينامون عليها كما يفعل جميع الناس .

أما الوجهة الإيجابية في هذا الكتاب فهو كشفه عن نقاط غامضة أَوْ مجهولة من الأدب العبري اليمني . ونخص بالذكر كتاباً عنوانه « بستان العقول » لابن الفيّومي ، قرر فيه مبدأ الاعتصام بالتّقِيَّة في أمور الدين . وعلى أساس هذه الفلسفة يستطيع اليهودي ، إذا أُكْرِهَ ، أن يقول شهادة الإسلام ، ويبقى على دينه (ص ٥٦ ومابعدها) . وقد عاب ابن ميمون هذا المبدإ في رسالته إلى اليمن .

ويجب أنْ نُشير أيضاً إلى الصفحات الكثيرة التي وصف فيها المؤلف تأثير الاعتقاد بِالْمَسِيح المنتظر في الأدب العبري اليمني . ولما قام (سبّاتي زيفي) بدعوته في ازمير سنة ١٩٤٨ وقال عن نفسه : إنه المخلّص ، تبعه عدد كبير من اليهود في الشرق الأوسط ، ووصلتْ أخباره إلى اليمن ، فاهتزتْ لها الجالية اليهودية ، وقامتْ بتحركات كادتْ أن تُخِلَّ بالأمن ، مما أَدَّى إلى غضب الإمام المهدي إسماعيل ، فأمر باحضار رؤسائها وكبرائها مقيدين بالحديد ، وهددهم بإنزال العقوبات الشديدة بهم إنْ لم يُخْلِدُوا إلى السكون . وأمام توتر الحال حكم

بالأعدام على (الحاخام سليمان الجمال) ونُفِّذَ الحكم به ، ونكرّر ما قاله (أهروني) وذكرناه آنفاً من ان الحكم بالموت على اليهود في اليمن من الأمور النادرة جداً (ص ١١١) . ثم عاد السكون إلى الربوع بعد أن فشلتْ دعوة هذا المخلص إذْ أعلن إسلامه هو وزوجته سارة سنة ١٩٦٦ (أنظر : وِيلْ دورانْ ، تاريخ الحضارة ، ج ٢٤ ، ص ٤١٨ ومابعدها ، سنة ١٩٦٤ ــ الترجمة الفرنسية) .

وشهد اليمنُ نفسهُ مثل هذه الدعوات ، واهتزت الجالية اليهودية في صنعاء وتكهرب جوُّها لما قال (شُكْرُ كحيل) عن نفسه أنه المخلص ، سنة ١٨٥٩ ، مما أَدَّى إلى اضطراباتٍ داخلية ، فأمر الإمام بقطع رأسه . ولكن بعد خمسة أعوام ادعى أحد أبْناءِ دينه أنه (شكر كحيل) قُتِلَ وقام من بين الأموات ، ولا نعلم كيف كانت نهايته (ص ١٤٧) .

ولابُدَّ لنا من التعليق على مصادر الكتاب ، لأَنَّ المؤلف ذكر نحو خمس مئة عنوان . إلاَّ أنَّ عدداً كبيراً منها لا علاقة له بالموضوع . وبعكس ذلك نراه يجهل بعض المصادر العربية الرئيسة . والواقع أنَّ أهميَّةَ الكتاب تنحصر برجوعه إلى الوثائق العبريَّة ، وهو بذالك يؤدي خدمة جليلة إلى كل باحث لا يحسن اللغة العبرية .

ونرى من المفيد ختاماً أنْ نذكر كلمة قالها أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ، وهو الأستاذ (كلود كاهن) : (إن الإسلام في العصور الوسطى ليس فيه مانستطيع أن نقول عنه أنه مُضَادٌّ للعنصر السامي) . (الموسوعة الإسلامية الجديدة ، مادة : ذمة) .

باريس : د. يوسف شُلْحُد
مدير أبحاث فخري في
المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي

الحواشي :

(١) تحقيق يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٨٣ . واني اغتنم الفرصة لأنبه إلى خطإ هام وقع في فهارس الفضل المزيد ، من جراء تبديل أرقام صفحات الكتاب بعد الانتهاء من الطبع . ولتصحيح ذلك يكفي أن يضيف القاريء ٣٠ على الارقام المذكورة في فهرس الاعلام كما في فهرس الأمم والقبائل والأماكن (مثلاً : ابراهيم البجلي ٣٠٠ ، يصبح ٣٣٠) .

حول « رسالة فضل جدة »

حَسَنٌ أن يُعْنَى علماؤنا والباحثون في النواحي المختلفة من جوانب الثقافة العربية بكل ما يتصل بتاريخ بلادنا ، وأن يُولوا هذا الجانب من عنايتهم واهتمامهم ٱلجُهْدَ البارِزَ من أعمالهم .

ففضلا عما تُبرِزُه جهودهم من آثار نافعة تنير المسالك للمهتمين بتاريخ هذه البلاد ، فإنَّ ذالك مما يوجه ناشئتنا في مراحل دراستِهم إلى التعلق بتاريخ بلادهم والاهتمام به .

ولقدْ حَمِدتُّ للأستاذ الكريم الدكتور عبدالمحسن بن مدعج المدعج تناولهَ هذا الجانب بنشره (رسالة في فضل جُدَّةَ وشيء من خبرها) لجار الله بن فهد ، في المجلد الحادي والثلاثين من مجلة « معهد المخطوطات العربية » ــ ص ١٨٩ إلى ٢١٠ ــ تاريخ جمادى الأولى/شوال ١٤٠٧هـ (يناير/يونيو ١٩٨٧م) .

ومع أنني في حالة تحول بيني وبين مطالعة ما أَهواه مما ينشر من أبحاث أو مؤلفات إلاَّ أَنَّ صلةَ تلك الرسالة بمدينة من مدننا التي عُنِيتُ فيما مضى في البحث عن تاريخها عناية استفادة واستزادة معرفة .

فكان حين طالعت صفحات منها ذكرتُ أنني قرأتُ تلك الصفحات ، وهذا مادفعني إلى التقصيِّ عن أصل ماقرأتُ ، فتذكرت أنني نشرتُ لجار الله بن فهد الذي أُضيفتْ إليه تلك الرسالة كتابا صغيرا هو « حسن ٱلقرىَ في أودية أم القرى » نشرته في مجلة « العرب » س ١٨ في الجزء الأول من هذه السنة مفَرَّقا في أجزاء متتابعة .

و« حسن القرى » قد عده الدكتور المدعج من مؤلفات ابن فهد ، وأشار إلى المخطوطة التي قد تكون وحيدةً لهذا الكتاب، في إحدى مكتبات حضرموت ، كما أشار إلى وجود نسخة مصورة منه في مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن .

وكنت حين قرأتُ بحثًا للمستشرق (سرجنت) عنه وعن كتاب « النسبة

للمواضع » لباخرمة طلبتُ من أَخِي الأستاذ الدكتور عبدالله الناصر ٱلوُهَيْبِي المساعدة في الحصول على مصورة من نسخة مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، ولكن الدكتور الوهيبي أخبرني بأنَّ أحد الإخوة الذين يدرسون هناك بحث في تلك المكتبة فلم يجد فيها مصورة للكتاب .

وأخيراً هيأ الله لي نسختين مصورتين من الأصل ، إحداهما بمساعدة الابن الكريم الدكتور عبدالله العثيمين من معهد المخطوطات في القاهرة .

والثانية بواسطة الأخ الأستاذ هادون العطاس مصورة أيضا .

فكان أَنْ نشرت الكتاب بعد أن يئست من وجود نسخة أخرى .

لِأَدَعَ هذا وأطالع ماكتبه الأستاذ الدكتور المدعج الذي يظهر أنه لم يطلع على مجلة « العرب » لأنني لاأعتقد أنه يهضم أحداً حَقَّهُ ، كيف هذا وقد أَشار إلى أنني نَوَّهْتُ في مجلة « العرب » ــ س ٢ ص ١٩٧ ــ إلى أَنَّ ابنَ فهد اقتبس من كتاب ابن المجاور في حديثه عن مدينة جدة ــ حاشية ص ١٩٧ مقدمة الدكتور ــ .

مع أَنني لا أدري لماذا أغفل الدكتور الإشارة إلى ماتحدثت به عن هذه التي سميت رسالة ، تحدثت به قبل عشرين عاما في مجلة « العرب » في شهر شعبان سنة ١٣٨٧هـ (تشرين الثاني ١٩٦٧م) وذكرت أنني اقتني نسخة مصورة منها .

وهذا أمرٌ أتركه لضمير الدكتور وما تقضي به الأمانة العلمية ، وهو قد قرأ كل ماكتبت عنها .

ثم أَعود إلى الرسالة بعد أن أَقِفَ وقفتين قصيرتين على ماورد في المقدمة مما يستدعي الوقوف :

١ ــ ص ١٩١ : عَدَّ من مؤلفات ابن جار الله « اقتطاف النَّوْرِ مما ورد في جبل ثَوْر » وغيره معتمدا على بروكلمان .

وبروكلمان قد خلط بين مؤلفات آل فهد ، ولا أتوسع في هذا فلدى المحقق من المصادر ما هو أوثق من بروكلمان في هذه الناحية ، وهي الدراسة التي كتبها

الدكتور ناصر الرُّشَيْد عن آل فهد وقد رجع إليها في بعض المواضع .

٢ ــ ص ١٩٣ : قال عن الرسالة : نعتقد أنها كتبت حوالي عام ٩٥٠ ، ودليلنا على ذالك أنَّ المؤلف أشار إلى تجديد المسجد العتيق بجدة في منتصف القرن العاشر الهجري .

كذا قال مع ان نص مافي الرسالة : ان تعمير الجامع العتيق عام سبعة وأربعين وتسع مئة أي قبل منتصف القرن ، وقد دققت في هذا لكي يتفق مع ما سأثبته فيما بعد من أن تاريخ مخطوطة كتاب « حسن القرى وفضائل جدة » منقول منه كما سيأتي ، هذا التاريخ كان سنة ٩٤٧ كما يتضح من طرة المخطوطة [انظر ص ٢١ س ١٨ من مجلة «العرب»] .

أصل رسالة فضل جدة :

يظهر أن ابن فهد لم يفرد مدينة جدة بتأليف خاص ، لأنه ذكر أن شيخه قاضي قضاة الحرمين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي ألف فيها تأليفا لطيفا سماه « تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس » وقال : بأنه لم يقف عليه . وأضاف في آخر ماكتب عن جدة في كتابه « حسن القرى » قائلا : (وقد أَطَلْتُ الكلامَ في هذا النظام ، وبسطته كثيرا في بلدانياتي المسماه « الفرائدالبهيات في فوائد البلدانيات » فليراجعه طالبه في أصله) وهو يقصد مايتعلق بمدينة جدة .

أما مانشره الدكتور المدعج في مجلة « معهد المخطوطات العربية » مما اطلع عليه مفرداً في ورقات كنتُ اطَّلَعْتُ عليها ووصفتها ، فإن هذا المنشور قد ساقه ابن فهد في كتابه « حسن القرى » بعد أن تكلم عن مكة وذكر جوانب من فضائلها ، فقال : (وذكره الشريف الفاسي في فضلها ، وذكر الموت فيها ، فلا نطول بإيراده ولنذكر بعده من قَصْدِنَا بعد مُرَادِهِ ، وهو ذكر شيء من فضل جدة ساحل مكة ، وشيء من خبرها كما أعده وملخصه) . . . الخ المنشور في المجلة ، وانظر « العرب » س ١٨ ص ٣٦ ومابعدها .

ولم يلاحظ المحقق الكريم الدكتور المدعج أن عبارة (كما اعده ولخصه) يُقْصَدُ بها تقيُّ الدين الفاسي ، وصواب الكلمة الأخيرة : (وملخصه) لا (ولخصه) .

ويلاحظ وقوع أخطاء في مانشر في مجلة المعهد كما وقع فيه نقص يقارب الصفحتين سأورده بعد الإشارة إلى بعض الأخطاء :

١ ــ ص ٢٠٠ : قال الشريف القاضي فيها :

الصواب : قال الشريف الفاسي .

٢ ــ ص ٢٠١ : رأى بجدة سور محدق بها .

الصواب : رأى بجدة أَثَرَ سورٍ مُحْدِقٍ بها .

٣ ــ ص ٢٠١ : مسجد الأبنوس وهذا المسجد معروف الآن .

الصواب : مسجد الأبنوس لساريتين فيه من خشب الأبنوس ، وهذا المسجد معروف الآن .

٤ ــ ص ٢٠١ : ثم بعده في زمن سلطان الزمان .

الصواب : ثم بعده في زمن سلاطين الزمان ــ كما يفهم من بقية العبارة ــ .

٥ ــ ص ٢٠٢ : مدى الزمان ثم عمر الجامع .

الصواب : مدى الزمان عمروا فيها كثيراً من مُؤَخَّرِهِ وَمُقَدَّمِهِ ، وذالك من فضل الله وكرمه ، وتقام فيه الجمعة ، وكذا في المسجد المتجدد آخر القرن التاسع في جهة البحر من الشام ، ويعرف بالخواجا علي الشيرازي العجمي .

٦ ــ ص ٢٠٣ : يصلي فيه ناس جدة .

الصواب : يصلي فيه نائب جدة .

٧ ــ ص ٢٠٣ : يصلي فيه الصلوات الخمس كل يوم .

الصواب : بل يصلي فيه الصلوات الخمس كلُّ عابد ــ لكي تتفق السجعة مع ماتقدم .

٨ ــ ص ٢٠٣ : قبة مشيدة يذكر أنها منزل حواء .

الصواب : قبة مشيدة عتيقة يذكر أنها منزل حواء .

٩ ــ ص ٢٠٣ : من الزمن اختفى .

الصواب : من الزمن أَخْفَى .

١٠ ــ ص ٢٠٣ : ذكر في مسودة اثباته .

الصواب : وقد رأيت جَدِّي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكي رحمه الله تعالى ذكر في مسودة بلدانياته .

١١ ــ ص ٢٠٣ : انها منزل أم البشر .

الصواب : لأنها نزلتها أم البشر .

١٢ ــ ص ٢٠٤ : وكان مدورا بالبحر .

الصواب : وكان يَدُورُ ماءُ البحر .

١٣ ــ ص ٢٠٤ : شبه جزيرة وفي شط البحر .

الصواب : شبه جزيرة في وسط لُجَجِ البحر .

١٤ ــ ص ٢٠٤ : وخافوا من ضيقة الماء .

الصواب : وخافوا من ضيعة الماء .

١٥ ــ ص ٢٠٥ : بها أجناب معقودة في الحجر .

الصواب : بها أجباب منقورة في الحجر .

١٦ ــ ص ٢٠٥ : موسم الهندي المنحدر في هذه السنين .

الصواب : موسم الهندي المتجدد في هذه السنين .

١٧ ــ ص ٢٠٥ : وفيها نواب من صاحب مكة والله أعلم .

الصواب : وفيها نواب من صاحب مكة يقبضون متحصلها .

ثم يأتي مايكمل النقص وهو : وفي أيام الموسم الهندي يصل لها أمير من صاحب مصر ، يقبض لوازمها ومكوسها ، وفيها جلاب كثيرة تنصرف إلى جهات شهيرة ، ويُصاد بها السمك الكثير على أجناس مختلفة ، وأنواع متعددة ، انتهى كلام جَدِّي رحمه الله تعالى .

إلى آخر مانشر في مجلة « العرب » س ١٨ ص ٣٩/٤٠/٤١ ــ مما لا أُطِيلُ بذكره .

وتحسن الإشارة إلى أنه ورد في هذه القطعة المفردة من كتاب « حسن القرى » كلام يتعلق بما قام به محمد العجمي من عمارة الجامع العتيق في جدة ــ ص ٢٠٢ ــ ونصها : (ثم عمر الجامع العتيق عمارة حسنة تسر الناظر وتشرح القلوب والخواطر من موخره ومقدمه ، ذالك بفضل الله وكرمه على يد مفخر التجار في هذه الأمصار ذي القدر العلي محمد العجمي نزيل مكة المشرفة ، عقب وصوله من الهند في عام سبعة وأربعين وتسع مئة ، ووصل صحبته بآلات مفتخرة من الأبواب والطبقات الحديد والأخشاب لسقفه وأساطينه وغير ذالك مما يريد ، وجعل له ثلاثة أبواب كبار عرض أبوابه الأولى الصغار ، وقاه الله قيود النار وضاعف له ولمن أعانه على فعله الأجر والثواب ، من الكريم الوهاب .

وصارت تقام فيه الخطبة على ما طلبه وأحبه ، وبدأ في المسجد المتجدد آخر القرن التاسع في جهته التي من الشام ، ويعرف بالخواجة علي الشرابي العجمي ، رحمه الله تعالى ، وقد جددت عمارته أيضاً من منارته في نصف المئة العاشرة أول الدولة الشريفة الرومية والحضرة المعظمة السليمانية خلد الله ملك مالكها وأدام أيام دولتهم بمحمد وآله آمين) . فهذا مما لم يرد في أصل الكتاب .

حمـد الجاسـر

كتاب « الجوهرتين »

[صدر في هذه الأيام كتاب « الجوهرتين » في تعدين الذهب والفضة للهمداني العالم الجغرافي المشهور ، بتحقيق صاحب هذه المجلة ، ولعل مما يفيد القراء أن يعرفوا شيئا عن هذا الكتاب ، وهاهي مقدمته كما وضعها محققه].

قبل مايقرب من أربعين عاماً اطَّلعْتُ على مصورةِ مَخْطُوطة هذا الكتاب القيم ، فاسترعى انتباهي لمطالعته نسبته للهمداني ، العالم الجغرافي اليمني المعروف ، صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» ، الذي كنت اهتممت بمباحثه اهتماماً صرفني للتحرِّي والبحث عن مؤلفات صاحبه .

وبعد مطالعتي كتاب «الجوهرتين» اتضح لي أنه نادر في موضوعه ، فأنا لاأعرف مُؤَلَّفاً عربياً عُنِي بالتعدين في بلاد العرب ، وفي ذكر معادنها المشهورة ، وفي كل مايتعلق بصناعة الذهب والفضة قديماً كهذا الكتاب .

يُضاف إلى هذا أنَّ مؤلفه جمع معلوماتِ أكثرِ مباحثِ كتابه مما اكتسبه وعرفه هو عن مشاهدة وخبرة ، أو تَلَقٍّ عن أناسٍ عاصرهم ، باستثناء أشياء نقلها عن بعض المتقدمين ، تتعلق بتكون الذهب والفضة ، وبصلة البروج والكواكب بتغيرات الأرض التي منها التأثير في المعادن ، مما أشرت إليه في وصف لهذا الكتاب نشرته مجلة «المجمع العلمي العربي» في دمشق في المحرم سنة ١٣٧١/١٩٥١ في المجلد الـ ٢٦ ص ٥٣٣/٥٤٤ ، حين قلت : إنَّ هذا الكتاب القيم يدل دلالة واضحة على أنّ لسلفنا الصالح آثاراً نافعة في جميع العلوم ، وإنْ شاب تلك الآثار نقصٌ ، أو اعتراها ضعف في بعض المواضع ، إلَّا أن مَرَدَّ ذالك ثقةُ اؤلئك السلف بكلِّ ماأُثِرَ عن اليونان من حكمة وفلسفة ثقةً دفعتهم إلى تلقي كثير من علوم القوم بدون تحقيق وبغير تمحيص ، كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا .

وكنتُ منذ اطلعتُ على تلك المصورة حَرِيْصاً على نشر الكتاب ، دَؤُوباً في البحث عن أصل صحيح يمكن الاعتماد عليه عند تحقيقه ، إلَّا أنني لم أَعْثُر بعدَ تلك المصورة إلَّا على نسختين ناقصتين إحداهما منسوخة عن أصل تلك المصورة الموجود في مكتبة جامعة (أبسالة) في بلاد السويد ، والأخرى في مكتبة (الامبروزيانا) في مدينة ميلان في إيطالية ، وسيأتي وصف النسخ الثلاث .

ثم في سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) قام الأستاذ كريستوفر تُلّ (Christopher Toll) من السويد بدراسة المخطوطة الموجودة في جامعة (أبسالة) وتقدم بدراسته إلى هذه الجامعة فنال شهادة (الدكتوراه) بعد أن قدمها بمقدمة ضافية عن موضوع الكتاب وعن مؤلفه ، ونقل أصله إلى لغته السويدية ، وكتب الأصل بخط يده ، واضعاً مقابل كل صفحة ترجمتها ، وقامت تلك الجامعة بنشر هذه الدراسة فكان الحلقة الأولى من سلسلة منشوراتها التي بعنوان : (ACTA UNIVERSITATIS UPSALIENSIS studia semitica upsaliensia -I-).

ولقد كان الأستاذ كريستوفر تل على درجة رفيعة من سُمُوِّ الخلق ، فقد أشار إلى ماكتبته في وصف هذا الكتاب في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق وفي مجلة «قافلة الزيت» التي تصدر في مدينة الظهران .

وعندما نشرتُ ملاحظاتٍ حول مطبوعته هذه في مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق ــ المجمع العلمي العربي ــ (المجلد الرابع والأربعين ص ٥٥٤/٥٦٨) واطلع عليها أكرمني بالزيارة وكنت في بيروت ، وأظهر لي سروره بما كتبته ، ثم توثقت الصلة بيننا فكان يتحفني ببعض ماينشره عن الهمداني .

والواقع أنَّ عمل الأستاذ كريستوفر تل حيالَ هذا الكتاب لم يَقِفْ عند حدِّ دراسته التي تضمَّنتها نشرته تلك ، بل واصل ذالك العمل ، فنشر في عام ١٩٧٠م في مجلة[1] (Oriental Suecana Vol XVIII, UPPSALA (1970) ، بحثاً ممتعاً عن بعض المعايير والأوزان في كتاب «الجوهرتين» يدل على عمق بحث ، وسعة اطلاع ، وهذا لا يمنع من القول بأن تلك الدراسة القيمة للكتاب بقيت محصورة في دائرة ضيقة ، بحيث أنَّ الكتاب لايزال مجهولاً لدى كثير من المعنيين بدراسة مااللعرب من آثار علمية .

ومنذ بضع سنوات تلقيت من وزارة الإعلام اليمنية كتاباً برقم ٤١٥٢ تاريخه ١٩٨٠/١٢/٦ تعرض عليَّ استعدادها للقيام بطبع الكتاب بعد أن أقوم بتحقيقه .

وكنت قد علمت من مؤرخ اليمن الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع أنه يُعْنَى بتحقيقه ، فكتبت إلى وزارة الإعلام اليمنية بذالك ، وأن الأستاذ الأكوع أولى وأقدرُ مني على تحقيق الكتاب ، وخاصة أنَّ فيه عباراتٍ وكلمات وأسماءَ استقاها المؤلف من بيئته (اليمن)، وإذَنْ فابْنُ هذه البيئة أقدرُ من غيره على فهم ماورد فى هذا الكتاب .

أمَّا الآنَ وقد مضى زمنٌ لم أَرَ لِلصَّديق الكريم الأستاذ القاضي الأكوع مايَدُلُّ على اتجاهه لنشر الكتاب ، يُضاف إلىَ هذا أنَّ مايُنْشَرُ في ذالك الجزء الحبيب من وطننا يكاد يكون محصوراً في ذالك الجزء ، ثم إنَّ التعاونَ في نشر كتاب من الكتب قد يبرزه بصورةٍ خيرٍ من الصورة التي ينفرد بها واحد ، وإن كان من الخير توحيدُ الجهد ، واهتمامُ كلِ ناشر بما لم يقم به غيره ، إلا أنني وقد حرصت منذ اطَّلَعْتُ على هذا الكتاب أنْ أجمع معلومات هي وإنْ كانت يسيرةً إلا أنني أعتقد أنَّ المعنيين به وبأمثاله قد يستفيدون منها ، وهذا مادفعني إلى إعداده للنشر .

ولا أَدَّعِي بأنني سآتي بشيء جديد ، حول قيامي بنشر هذا الكتاب ، غير أنَّ جهداً صرفته حياله لم أُرِدْ أنْ أَحْرِمَ القراءَ من ثمرته على ماهي عليه .

وبعد أنْ أوشكت أنْ أنتهي من إعداد الكتاب للنشر قمت برحلة إلى صنعاء في ٨ ذي القعدة سنة ١٤٠٦ (١٥/٦/١٩٨٦م) لعل من بواعثها أنَّني توقعت أنْ أجد بين الإخوة في هذه البلاد من أستعين به في فهم بعضِ الكلمات اليمنية الواردة في الكتاب مما استغلق عليَّ فَهْمُهُ ، ومنها أسماء الموازين ــ الواردة في (باب صحة الوزن ومعرفة التقسيم) ومع أنه لم يتمَّ لي ما توقَّعْتُ إلَّا أنني استفدتُ كثيراً من الأخوين الكريمين الباحث المحقق الأستاذ عبد الله محمد الْحِبْشي والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله ــ وكانت مفاجأةً لي أن قدم لي الدكتور يوسف نسخة من الكتاب مما نشرته (وزارة الإعلام والثقافة) أخيراً ، كتب في طرتها : (حققه وقدم له: الدكتور كريستوفر تُلّ ــ طبعة ثانية منقحة ــ أشرف على طبعه وترجم الدراسة الدكتور يوسف محمد عبدالله ــ صنعاء ــ ١٩٨٥م) وهذه الطبعة مِمَّا لم أَطَّلِعْ عليه ولم أعلم به ــ وهي الحلقة الـ (١٥/٣) من (مشروع

الكتاب) الذي تنشره وِزَارة الإعلام وتمتاز هذه المطبوعة ــ على منشورة الأستاذ (تل) الأولى بأمور : منها نَقْلُ دراسةِ (تل) لهذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ومنها طباعة الكتاب بحروف طباعة واضحة بينما المطبوعة الأولى كانت مصورة عن كتابة الأستاذ (تل) التي حاكَى بها المخطوطة الأصلية محاكاة تامة ، ومنها الرجوع إلى مانشرته من ملاحظات في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ــ مج ٢٦ ص ٥٣٣/٥٤٤ وإنْ لَمْ يُشَرْ إلى ذالك .

كانتْ مفاجأةً لي حيالَ ما عزمتُ عليه من نشرِ الكتاب ، إلاَّ أَنَّني بَعْدَ أَنْ أَمْعنتُ النظرَ في تلك المطبوعة ، وفكَّرْتُ في ضِيقِ مَجَالِ توزيعها ، وفيما بَذَلْتُ منْ جُهْدٍ في دراسةِ الكتاب ، أَقْدمتُ على ما عزمت عليه ، بل وجدتُ من العبارة اللَّبِقَة التي قدم بها الأخ الدكتور يوسف نسخة من المطبوعة لي ما قَوَّى ذالك العزم إذْ قال أكرمه الله ورعاه : ــ هذه طبعة ثانية منقحة أسهمنا فيها بترجمة المقدمة من الألمانية ، ومراجعة بعض الألفاظ بالاتفاق مع المحقق نرجو أن تكون عند حسن الظن فيما لو تَسَنَّى لكم الوقت لإصدار طبعة وافية .

وقابلت شيخنا الجليل مؤرخَ اليمن العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع الحواليَّ فقدَّمَ ليَ مُفْضِلاً مشكوراً ــ مخطوطته التي نسخها بقلمه من كتاب «الجوهرتين» وأعدَّها للنشر ، وحثَّني على أَنْ أَتولَّى ذالك .

واطَّلَعْتُ على مطبوعة حديثة من الكتاب كُتب في طرتها : (إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبي) عن مطبوعة الأستاذ (تل) استفدت منها أن الحكومة اليمنية ــ على ضوءِ ماذَكَرَ الهمدانيُّ في كتابه هذا ــ اتجهتْ للبحث والتنقيب في بلاد نِهْمٍ ، في موقع مَعْدِنِ الرَّضْرَاض .

بعض من كتبوا عن المعادن :

لاريب أن العلماء ألفوا مؤلفات عن المعادن بصفة عامة ، وتطرقوا لما في جزيرة العرب منها في العصور القديمة ، كشأنهم في كل ناحية من نواحي العلم ، إلا أنَّ ماوصل إلينا من تلك المؤلفات قليل جداً ، بل أقل من القليل إذَا صح هذا

التعبير ، ويظهر أنَّ فقدانَ ماألفه المتقدمون في هذه الناحية ، أو عدم الاهتمام بمعادن الجزيرة ناشيء عن انصراف الدولة الإسلامية عن هذه البلاد انصرافاً لم يقف عند حدِّ إهمال ماأُلِّفَ عن نواحيها الاقتصادية ومنها التعدين ، بل شمل كل الجوانب ، باستثناء ماله صلة بالمشاعر المقدسة ، أو مايمرُّ في سياق الأخبار التاريخية المتصلة برجال الحكم والسياسة في العهود الغابرة ، وقد عرفت مما أُلِّفَ عن المعادن معلوماتٍ موجزة أجملها فيما يلي :ـ

من أقدم من عرفته ألف في هذا الموضوع الجاحظ ، (عمرو بن بحر ١٦٣ ـ ٢٥٥هـ) فقد ألَّف كتاباً لايزال مفقوداً ، ويظهر أنه مختص بطريقة التَّعدين ، وما تُعالج به المعادن من وجوه الصنعة ، كما يتضح هذا من قوله في مقدمة كتابه «الحيوان» : وعِبْتَني بكتاب المعادن ، والْقَوْلِ في جواهرِ الأرض ، وفي اختلِاف أجناس الْفِلزِّ ، والإخبارِ عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلابُ إلى بعضها ، ويُبْطِيءُ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولاينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولايصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، ومالقول في الإكسير والتلطيف . انتهى .

ويرى المستشرق سارتون (SARTON) أن عطار بن محمد الحسيب ـ عاش في آخر القرن الثاني وأول الثالث الهجري ـ هو مؤلف أقدم كتاب عربي في علم المعادن وهو كتاب «منافع الأحجار» الذي أشار إليه الرازي في كتاب «الحاوي»(٢) .

أما الهمدانيُّ مؤلف هذا الكتاب فيعتبر ماكتبه عن التعدين بصفة عامة من أوفى ماوصل إلينا في موضوعه ، وفي كتابه «صفة جزيرة العرب» معلومات قيمة عن تحديد بعض أمكنة المعادن ، في بلاد نجد وفي تهامة ، وبإضافته إلى مافي كتاب «الجوهرتين» يُمِدُّ الباحثَ بذخيرة طيبة في الموضوع .

وفي الكتب التي أُلِّفَتْ عن تحديد المواضع والأمكنة ككتاب «بلاد العرب» للاصفهاني و«معجم البلدان» لياقوت وغيرهما ، معلوماتٌ عن المعادن في بلاد

العرب ، هي على قلتها تفيد دارسي هذا العلم والباحثين فيه .

وألف أبو الفتح عثمان بن جِنِّي رسالةً تتصل بالمعادن من حيث الناحية اللغوية ، قال عنها[٣]: وقد كنت عملت رسالة في أسماء الذهب والفضة . انتهى . وهذا لايدخل في نطاق هذا البحث إلا من حيث الصلة اللغوية .

ومن المتقدمين علماء تحدثوا عن المعادن في مؤلفاتهم عن الأحجار الكريمة ــ الجواهر التي تُتَّخَذُ للحلية للزينة .

ومن أشهر هاؤلاء فيلسوف العرب أبو إسحاق الكندي ، الذي نجد أطرافاً مما كتب عن المعادن في بعض المؤلفات التي وصلت إلينا عن الجواهر .

كما نجد شيئاً من ذالك في كتاب «الجواهرْ وصفاتها» تأليف الطبيب يحيي بن ماسويه المتوفي سنة ٢٤٣ ، وقد نشر بمصر سنة ١٩٧٧ .

ومنهم محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢/٤٤٠هـ) وله كتاب معروف مطبوع هو «الجماهر في معرفة الجواهر» .

وأحمد بن يوسف التيفاشي التونسي المصري (٥٨٠/٦٥١هـ) وكتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» طبع في هولندا وإيطاليا سنتي ١٧٨٤ و١٩٠٦م ، ثم في القاهرة سنة ١٩٧٧م ــ .

ومنهم محمد بن إبراهيم بن ساعد السنجاري المعروف بابن الأكفاني المتوفي سنة ٧٤٩هـ ، صاحب كتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» مطبوع أيضاً في القاهرة سنة ١٩٣٩ بتحقيق الأب أنستاس ماري الكِرْملي .

وهناك كتب أخرى عن الجواهر تعرضت للمعادن تعرضاً يكاد ينحصر في الصنعة والخاصية .

ولاتخلو الكتب التي أُلِّفَتْ عن خواص الأشياء من ذكر المعادن باعتبارها من وسائل الطب عند المتقدمين ، ولهذا يوجد في كتاب «الشفاء» لابن سينا ،

و«الحاوي» للرازي و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار وفي كتاب «التذكرة في الطب» لداوود الأنطاكي ــ وغير ها من المؤلفات الطبية ــ معلومات عن المعادن تتصل بالنواحي التي ألفت هذه الكتب في موضوعها .

وكتب أحد علماء اليمن المتأخرين عن معادن اليمن رسالة موجزة ملحقة بالجزء الثامن من كتاب «الإكليل» في بعض نسخه الخطية وتاريخ نسخ هذه الرسالة كما جاء في آخرها ــ ٢٥ القعدة ١١١٢ ، وكاتبها يدعى علي بن يحيى بن جابر الخيشني المخلافي .

وهي في (دار الكتب المصرية) رسالة بعنوان : «ذكر ماعرف موضعه من معادن اليمن»، تقع في بضع صفحات ملحقة بإحدى مخطوطات الجزء الثامن من كتاب «الإكليل» للهمداني ، وهي مفيدة في معرفة المعادن في بلاد اليمن ، وكثير مما فيها مستقى من كتابي الهمداني «صفة جزيرة العرب» و «الإكليل» ويظهر أن مؤلفها ، متأخر بعد القرن العاشر الهجري .

وقد نشرها الأستاذ سالم الكرنكوي ــ فريتس كرنكو ــ في آخر كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني المطبوع سنة ١٣٥٥ وقد لخصها الأمير شكيب ارسلان في رحلته إلى الحجاز «الارتسامات اللطاف» وهي كما وصفها الأستاذ كرنكو : (جمع فيها مؤلفها المجهول بين الصحيح والباطل).

وممن كتب عن المعادن من المتأخرين المستشرق الألماني برنهارد موريتس (١٨٥٩/١٩٣٩م) فقد ألف رسالة دعاها «المعادن في البلاد العربية القديمة» نشر خلاصتها الأمير شكيب أرسلان في كتابه «الارتسامات اللطاف»، ثم نشرتها مجلة «العرب» كاملة ــ س ٢ ص ٥٨٠ مترجمة بقلم الدكتور أمين رويحة ــ المتوفى سنة ١٤٠٤هـ .

ونشر الاستاذ د.م. دنلوب (Dunlop, D.M.) من جامعة كولومبيا بحثاً عن معادن الذهب والفضة في الإسلام عند الهمداني نشره في مجلة Studia Islamica 8 (1957): 29-49) استفاد منه الأستاذ تل في تحقيقه لكتاب «الجوهرتين».

وقام الأستاذ رُشْدِي الصالح مَلْحَس ، المتوفى قبل عشر سنوات ، بجمع معلومات عن معادن المملكة العربية السعودية ، طبعها في رسالة دعاها «معجم البلدان العربية ــ قسم الحجاز ونجد وملحقاتها ــ بحث المعادن».

وقد حاول في رسالته عن المعادنِ جَمْعَ ماعثر عليه في المؤلفات التي كانت تحت يده كـ «معجم البلدان» و«صفة جزيرة العرب» و«وفاء الوفاء» و«تاج العروس» ، وهو جَمْعٌ مع عدم استيعابه حصل فيه كثير من الخلط ، بسبب إطلاق الاسم الواحد على عدة مواضع مختلفة في البلاد ، ومَنْ لم يعرفها ويعرف تباينها يظنها موضعاً واحداً ، فيورد كل ماذكره المتقدمون في تحديد المواضع المختلفة ، ويحاول تطبيقه على موضع واحد ، وهذا الوهم وقع فيه كثير ممن كتب عن مواضع الجزيرة . قديماً وحديثاً .

وقد شحن الأستاذ رشدي رسالته بذكر مواضع الملح من السبخات وأسماء المياه المرة ، باعتبارها تحتوي على معادن ملحية ، مما هو خارج عن المعادن في نظر المتقدمين .

وتقدم الأستاذ محسن العابد من علماء تونس في عام ١٩٦٦م إلى جامعة بون في ألمانيا برسالة عن «المناجم في القرون الوسطى» وأماكن وجودها في البلاد العربية ــ عند الجغرافيين والمؤرخين ، نال بها إجازة (الدكتوراه) وهي باللغة الألمانية ، وتقع ــ مطبوعة ــ في ١٣٥ صفحة بالحرف الدقيق ، وفيها معلومات مفيدة عن المعادن في الجزيرة ، مستقاة من الكتب المعروفة .

أما التقارير الرسمية التي كتبت عن المعادن في بلاد العرب في الآونة الأخيرة فهي كثيرة ، ولكنها تبحث في المعادن الموجودة فِعْلاً ، أو التي لاتزال آثارُها بارزةً ، ومن أقدم هذه التقارير تقرير (ك.س. تويتشل) عن «المياه والمعادن في الحجاز» وقد نشرته جريدة «أم القرى» في تسعة أعداد منها في خلال عام ١٣٥٩ (١٩٤١م).

ونشرت (المديرية العامة للمعادن) نشرات مختلفة في الموضوع كلها باللغة

الانكليزية ومن أوفاها بالمقصود : (Mineral Resources of Saudi Arabia – Bulletin N.I. 1965).

التعدين عند العرب : [انظر « العرب » س ٢ ص ٨٠٧] .
وسائل الاستدلال على الذهب والفضة :[« العرب » س ٢ ص ٨١١] .

الهمداني مؤلف «الجوهرتين» :

شهرة مؤلف هذا الكتاب بما عُرِف من آثاره ككتاب «الإكليل» وكتاب «صفة جزيرة العرب» تغني عن التوسع في كتابة ترجمته ، وقد فصَّلْتُ جوانب منها في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب»(٤) اجتزيء بما سأورده هنا .

اسمه ونسبه: هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ويعرف بابن يعقوب وبالنسابة .

ويُنْبَزُ بابن الدُمينة وبابن الحائك .(٥)

ويدعو نفسه (لسان اليمن)(٦) وبالكنية بابنه محمد كثيراً ، وباسمه الحسن ، وبالْهَمْدَاني .

وأسرته من هِمْدَان: من بني عليان بن أرحَبَ ثم من بَكِيل ، وقد أفرد للكلام عن قبيلته همدان الجزء العاشر من كتاب «الإكليل» ، وفصل فيه نسبه متحدثاً عن أسرته وتفرعها من تلك القبيلة .

وفي المقالة العاشرة من «سرائر الحكمة»(٧) مايفهم منه أنه ولد في ١٩ صفر سنة ٢٨٠هـ في مدينة صنعاء .

ولاتفصح المصادرُ التي اطَّلَعْتُ عليها عن وصف حياته في أول نشأته ، ولعله شارك أهله في عملهم وكانوا ــ على مايفهم مما ورد في «الإكليل» ــ يمتهنون (الجمالة)(٨) ــ أي نقل الحجاج والتجار من صعدة إلى مكة ــ بل قد نَصَّ الهمداني

نفسه على ذالك إذ قال : وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة يأكلون سُفَرَهُمْ طَرِيَّةً إلى نصف الطريق ، ويابِسَةً تُدَقُّ إلى مكة [٩].

وكان كثيرَ الصلة ببعض مشاهير زمنه ، مادحاً لهم طالباً رفدهم ، وهذا يدل على أنه كان يلاقي عَوَزاً وحاجة ، فقد ذكر القفطي في «إنباة الرواة» أنه قصد مَرَّةً أحد أجلاَّءِ اليمن ــ ويعرف بابن الرّويَّة المُرَادي من مَذْحِج ، وامتدحه في سنة شديدة ، فأكرمه ، وأنزله أجمل منزل ، وطوّل عليه في تأخير ، فأقام شَهْراً ، وهو قلق من أمر أهله ، وما تركهم عليه من الإعْسَار في ذالك الوقت ، فلما انقضى الشهر استأذنه في الرجوع إلى أهله ، فأَذِن له ، فرجع كثيباً صِفْرَ اليَدِ مما قصده له . ولما صار قريباً من أهله تلقاه بنوه وأقرباؤه على هيئة جميلة ، ومراكب نفيسة ، فَأُعْجِبَ بذالك ، وسألهم عن سببه ، فقالوا : هو مابعثت لنا . ففطن للأمر ، وسألهم صورة ماسير إليه ، فذكروا جملة كثيرة ، من مال وملبوس ومركوب ومفترش ، ففرح وأمعن في مدح ابن الروية المذكور وبالغ في وصفه ، واشتهرت هذه المكرمة بالبلاد اليمنية ، وسار مَدِيحُهُ له .

وكان ابنُ الرويَّة هذا قد ولي أعمال صنعاء زماناً ، ثم استقر أمره بِالسِّرِّ ، وبها ولده . انتهى .

ويظهر أن الهمدانيَّ أطال الإقامة في مكة ، وأنه تَلَقَّى العلم عن بعض علمائها كالخضر بن داود ، وأنه اجتمع فيها بأبي علي ٱلهَجَرِي ، وكان ذالك في شبيبته حين جاور هناك ، وكتب صدراً من الحديث والفقه ، والتأريخ ، ثم رجع إلى اليمن فنزل صعدة .

ومن أشهر مشائخه في اليمن الأوساني الحِمْيَري محمد بن عبدالله (٢٧٦/ ٣٧٠)، وأكثر معارف الهمداني تلقاها عن رواة وعلماء وأناسٍ من أهل قطره ، ويظهر أنَّ الكتب المعربة عن اليونانية وصلتْ إلى اليمن في زمن متقدم ، ولهذا تأثَّرَ الهمداني ببعض الآراء الواردة في تلك الكتب ، المترجمة عن اليونانية

والفارسية أو الهندية تأثراً دفعه إلى الأخذ بها .

وهذا مما يؤخذ عليه ، كما يؤخذ عليه شِدَّةُ تعصبه شدةً قد تَحِيدُ به في بعض الأحيان عن جادَّةِ الصواب ، ومن ذالك اعتقاده بتأثير النجوم في تكون المعادن وفي البشر ، وتأثير بروج الشمس ، واعتقاده بصحة تحويل بعض المعادن ذهباً .

ويؤخذ عليه أيضاً تصرفه في رواية الشعر .

وللهمداني مع ذالك نظراتٌ صائبةٌ حينما يورد بعض الأخبار التي لايقبلها العقل ، وقد تدفعه عصبيته إلى النقيض من ذالك .

وكان عصرُ الهمداني عَصْرَ صراع بين تيَّاراتٍ سياسية مختلفة ، فالأئمةُ الزَّيْديُّون طرأُوا على اليمن في عهد الهمداني ، وانضم لمؤازرتهم بعضُ القبائل اليمنية والأَبْنَاءُ من الفُرْس .

وَٱلْأُمَرَاءُ ٱلْيُعْفِرِيُّون[١٠] قاعدتهم صنعاء تنحاز إليهم أكثر قبائل اليمن بِحكم العصبية القبلية .

وهناك أمراء آخرون من رؤساء القبائل يميلون مع هاؤلاء آونةً ومع أؤلئك أخرى ، وقد ينضمون إلى غير الفئتين في بعض الأحيان ، كما فعلوا مع القرامطة ، وكان الخلاف بين أصحاب هذه التيارات يتجاوزُ حَدَّ المقارعة بالسنان إلى المجادلة بالحجة واللسان ، فكان أَنِ اشْتعلتْ نارُ العصبية بين القحطانية والعدنانية ، وكانَ بَعْضُ الأَبْنَاءِ من الفرس يُذْكي أُوارَها ، وليس من المستبعد أنْ يَوجَدَ وراءَ هاؤلاء من ذوي النفوذ في بغداد من له أثر في ذالك .

من هنا خاض الهمدانيُّ المعمعة ، وكان من أثر ذالك أن أُوذِي من قبل الإمام الناصر لدين الله صاحب صَعْدَةَ ، فخرج إلى صنعاء فكتب الناصر إلى واليها ابن يُعْفِرَ بسجنه ، فسجنه .

وقد أشار في المقالة العاشرة من «سرائر الحكمة» إلى أنه أُدْخِلَ السجن في شوال

سنة ٣١٩ ، ثم أُخرج وأُعيد إلى السجن ، وبلغ مكثه في السجن على ماذكر ٦٤٩ يوماً ثم هرب من سجنه .

ويظهر أنه شارك في الحروب التي قامَتْ من بعض القبائل لإزالة ملك الناصر وقتل أخيه الحسن سنة ٣٢٢ كما ذكر أنه أقام في صعدة ٢٠ سنة[١١].

ولعل أَبْرَزَ صفةٍ للهمداني تَعَصُّبُهُ لقومه أو للقحطانيين بصفة عامة ، ومن يُعْنَى بدراسة هذا العالم لايستطيع إغفالَ هذه الناحية التي تتضح منها معالم شخصيته .

ويضاف إلى ذالك اتِّساعُ آفاق المعرفة عند الهمداني اتساعاً يدعو إلى الاستغراب والدهشة بالنسبة لرجل عاش في بقعةٍ تُوشك أن تكون في ذالك العهد منعزلةً عن العالم ، ولكنَّ هذا الرجل استطاع أَنْ يمتح من كل علوم عصره بالدِّلَاءِ الْمِلَاءِ .

وليس من المبالغةِ القول بأنه طَرَقَ آفاقاً قلَّ أن يُوجَدَ في البلاد العربية في ذالك العهد مَنْ طرقها ، فقد تَنَوَّعَتْ مؤلفاتُه ، وتعددتْ في مختلف العلوم المعروفة في عهده ، وبَرَّز في جوانب منها كعلمِ الأنساب ، ومعرفةِ مواقع البلدان ، والاهتمام بالآثار ، يضاف إلى ذالك علم الفلسفة الذي وصفه صاعدٌ الأندلسي بأنه لايَعْلَمُ أحداً من صَميم العرب شُهِرَ بعلم الفلسفة إلا أبا يوسف الكندي وأبا محمد الهمداني .

أما اللغةُ فإنَّ الباحثَ يجد في مؤلفات الهمداني كـ«الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» و«شرح القصيدة الدامغة» من المباحث اللغوية مايدل على سعة علم الهمداني بها . ولهذا تُرْجم بين علمائها .

أشهر مؤلفات الهمداني : عرف من مؤلفات الهمداني ثلاثة وعشرون كتاباً ، لم يصل إلينا منها حتى الآن سوى :

١ ــ «الإكليل» وقد طبع منه أربعة أجزاء ، الأول والثاني والثامن والعاشر ــ والأولان باختصار محمد بن نشوان بن سعيد الحِمْيَرِي .

٢ ــ كتاب «الجوهرتين» ــ هذا الكتاب .

٣ ــ «شرح القصيدة الدامغة» القصيدة التي فتحت على الهمداني أبواب الطعن وسبل الاتهام بأنه كان سبَّاباً لأهل البيت ، وهذه القصيدة تقرب من ست مئة بيت ، ردَّ فيها على قصيدة لِلْكُمَيْت بن زيدٍ ٱلْأَسَدِيِّ فضَّل فيها عدنان على قحطان[١٢] .

وقد قام بتحقيق هذا الشرح ونشره صديقنا مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م وقد نُسِبَ هذا الشرح إلى محمد بن الحسن ــ أي ابن المؤلف ــ وما أرى النسبة صحيحةً .

٤ ــ «صفة جزيرة العرب» وقد نشر عدة مرات . لعل من أَصَحِّهَا مطبوعة (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .

٥ ــ «سرائر الحكمة» : هذا الكتاب على ماوصفه صاعدٌ الأندلسيُّ في علم هيئة الأفلاك ومقادير حركات الكواكب ، ولعله لَمْ يَطَّلِعْ على الكتاب كاملاً ، وإنما اطَّلَع على المقالة العاشرة منه التي وصلت إلينا ونشرها الأستاذ الأكوع ، ولكن الهمداني يُحِيلُ إلى هذا الكتاب في مسائل أخرى لاتتعلق بعلم النجوم كما في قوله ــ ١٥ ــ من كتاب «الجوهرتين» : ــ عن أصل الحرارة وأنه من دؤوب دَوْر الأجرام العلوية ــ : وقد بيَّنَا فساد هذا القول فأفردنا فيه بابا من كتاب «سرائر الحكمة» .

وفاة الهمداني : يظهر أن الهمداني في آخر حياته انتقل إلى رَيْدَةَ البلدة التي ألف فيها «الإكليل»[١٣] وهي في وسط بلاد قبيلته همدان ، حيث يقيم أهله ، وفيها توفي ، وعرف قبره فيها ، كما أشار إلى ذالك القفطي في ترجمته في «إنباه الرواة» .

ويذكر بعض المؤرخين ومنهم صاعد الأندلسي في «طبقات الأمم» أنه توفي سنة ٣٣٤ في سجن صنعاء ولكن الهمداني نفسه ذكر أنه خرج من السجن ، ومكث مدةً طويلة تضعضع في خلالها نفوذ الحكام المسيطرين على اليمن في عهده ممن قام بسجنه كالإمام الناصر المتوفى سنة ٣٢٢ وأسعد بن أبي يعفر المتوفى سنة ٣٣٢ ،

ولهذا فمن المستبعد ماذكره صاعد ومن تابعه .

ويقرر مؤرخ اليمن القاضي الأكوع أنَّ وفاةَ الهمداني تأخرتْ إلى مابعد سنة ٣٤٤ وإذا صحت النصوص الواردة في الجزء الثاني من «الإكليل» عن محمد بن عبدالله الأوساني شيخ الهمداني فإن الهمداني عاش إلى سنة ٣٦٠هـ ، وقد يكون من تلك النصوص ماهو مُضاف إلى كلام مؤلف «الإكليل» ويحدث مثل هذا في كثير من المؤلفات القديمة .

هذا الكتاب

كتاب «الجوهرتين»: نسبةُ هذا الكتاب إلى الهمداني من الأمور التي لاشك فيها ، كما توضح ذالك نصوص وردتْ فيها أسماءُ من مؤلفات الهمداني ، كما في الورقة (٧٤ب): (وقد ذكرناه ومأتى فيه من الأخبار في كتاب «الإبل» وكتاب «الإكليل»).

وكقوله في الورقة (١٥ب): (وقد بَيَّنَا فساد هذا القول فأفردنا فيه بابا من كتاب «سرائر الحكمة»). وذكر كتاب «القوى» ــ الورقة (٧٢ب).

ثم إنَّ نَفَسَ الهمداني وأُسْلُوبَهُ ومايتصل ببيئته ، كل ذالك واضحٌ في ثنايا هذا الكتاب الذي هو في الواقع من أَجَلِّ ما وصل إلينا من تراثنا في موضوعه .

والكتاب نفسه يدفع الباحثَ إلى التفكير هل كان الهمداني على درجة من العلم بالموضوعات التي طرقها وتحدث عنها من أمور الصناعة على تَنَوُّعِها ، ومنها مايدل على عُمْقِ معرفةٍ بخصائص المعادنِ عامَّة وطبائعها ، أم أنه كان في عمله هذا الكتاب لايَعْدُوْ دَوْرَ الناقل ؟

أما أنا ــ بعد أن طالعته ــ فَأَكَادُ أَجْزِمُ بأنه عانَى جوانِبَ من التجارب التي أوردها معاناةً تدل على خبرة ومعرفة ، مما لايَتسع المجال لتفصيله في هذه المقدمة ــ وهذا مما لم يُشِرْ إليه من ترجمه من المتقدمين أو المتأخرين ممن اطلعت على كلامهم .

وقد أوْرَدَ نَصاً يدل على أنه قام بتأليف كتابه هذا بعد أن تجاوز الخمسين من سني عمره ، إذ ذكر ــ الورقة الـ ٥٥ أ ــ أنَّ الدنانير الحُبَابِيَّةَ التي بُدِيءَ بِسَكِّها في اليمن سنة اثنتين وثلاثين ومئتين مضى على التعامل بها ثمان وتسعون سنة (٢٣٢ + ٩٨ = ٣٣٠) أي أنه ألف الكتاب سنة ثلاثين وثلاث مئة ، ومعروف أنَّ ٱلهمدَانيَّ وُلِدَ سنة ثمانين ومئتين .

قد يُقَال : إنَّ هذا الكتاب يحوي فيمايحوي الْغثَّ والسمينَ ، والحقُّ أننا كما قال أحمد شوقي :

فَـإنَّـا لَمْ نُـوَقِّ النَّقْصَ حَـتَّى نُـطَالِبَ بِـالْكَـمَـالِ ٱلأَوَّلِيْـنَـا

وما يؤخذ على الهمداني في هذا الكتاب ناشيءٌ منْ أنَّ علماءَنَا المتقدمين كانوا يتلقون عن الأُمَمِ الأخرى ــ كاليونان والهنود وغيرهم ــ بعضَ العلوم ، فتبلغ بهم الثقةُ درجَةَ تَقَبُّلِهَا بدون تمحيصٍ ، ومن ذالك :

١ ــ محاولة الربط بين تأثير البروج الشمسية وبين تكون المعادن وطبائعها .

٢ ــ تحويل بعض المعادن بطريق الصنعة لتصير ذهباً .

والواقع أنَّ ٱلهَمْدانيَّ لم يَنْفَرِدْ بذالك ، بل كثير من المتقدمين كالبيروني وغيره ذكروا أطرافاً منه في بعض مؤلفاتهم ، جاء في كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني ص ٢٢٦ : ولكيميائيين نسب الرموز والألغاز ألقاب للأجساد بأسماء الكواكب يُظَنُّ بها موافقة ماعليه المنجمون ، وهي مخالفة لآرائهم ، وقد عللوا منها تعاشق الرصاص والنحاس بأن جعلوا النحاس للزهرة ، والرصاص للمريخ ، والشابة تلهج الشاب فتلازمه ، والمنجمون يجعلون دلالة الرصاص على المشتري ، والنحاس للمريخ وليس بينهما إلا تلاصق الأفلاك .

وفي الكتاب أيضاً ــ ص ٢٦٧ ــ: والكيميائيون يجعلون الْأُسْرُبَّ لِزُحَل وهو هرم سمج فالخريدة تنفر منه وتكره قربه فتبعده عن نفسها ولاتخالطه . انتهى .

والغريب حقاً أنَّ الحصولَ على الذهب بطريق الصنعة حُلُمٌ لايزال يُدَاعِبَ

أُخْيِلَةَ بعض العلماء ، فقد نقلت وكالات الأنباء العالمية : أن العلماء السويديين حققوا حلماً طالما راود الكيميائيين الذين مابرحوا منذ القدم يحاولون صنع الذهب من الرصاص والمعادن الأخرى ، إلا أنَّ الطريقة التي تمكنوا بها من تحويل معدن غير ثمين إلى ذهب لاتُعَدُّ جالبة للربح ، فقد أعلن العالم الكيميائي اليكسيس باباس رئيس معهد أوسلو للكيمياء الذرية في المجلس النرويجي للأبحاث العلمية أن طريقة صنع الذهب حدثت بالفعل في جامعة ابسالة ــ أثناء تجاربهم القائمة على أساس طرق إشعاعية بإطلاق قذائف عبارة عن ذرات من الرصاص ، إلا أنَّ كمية الذهب الضئيلة التي أمكن الحصول عليها بهذه الطريقة كلفت مبلغاً كبيراً يجعل الطريقة غير مربحة بحال من الأحوال . انتهى[١٤].

بل قد يجد الباحث في كتاب «الكيمياء عند العرب» للأستاذ روحي الخالدي تفصيلاً في محاولة إثبات هذا الأمر لمن أراد التوسع في ذالك ــ ص ٩٠ إلى ٢٦ ــ .

مالنا ولهذا ، فهو من شأن العلماء ، والذي يَعْنينا أَنْ نَسْتَفيدَ من هذا الأثر النفيس الذي خلفه لنا أحد علمائنا فننتفعَ بما فيه مما ينتفع به وَنَدَع ما عدى ذالك .

من هنا حاولتُ أن أقدِّم للقاريء هذا الكتاب بعد أن أضفت إليه مااستطعت إضافته مما له صلة بموضوعه .

وإنني لواثق الثقة كلها بأنني لم أُقَدِّمْهُ على وجهه الصحيح من جميع جهاته لتعسر فهم كثير من نصوصه عليَّ ، ولكن هذا هو غاية جهدي ، وعسى أن يجود الزمنُ بأصلٍ صحيح لهذا الكتاب تكون الاستفادة منه أوفى وأكمل .

إنني لم أُزِدْ في عملي على :

١ ــ محاولة تقديم أَقْرَبِ صورةٍ مما وصل إليَّ من مخطوطات الكتاب ، فقد حافظتُ مااستطعت على نصوص النسخة التي اعتبرتُها أَصْلاً ، ورأيتها كاملة وأضفتُ إلى الأصل ــ ملحقاً به من الايضاحات مارأيت في إضافته فائدة للقارىء

لكي يستعين به على فهم النص ، مع استعصاء كلمات كثيرة على فهمي ، أوردتها كما هي ، كما أوردتُ في حواشي الأصل الاختلاف بين الأصل وبين ماورد في مطبوعة الأستاذ كريستوفر تل الثانية ، وإن كنت لا أتَّفِق معه على كثير مما خالف فيه الأصل ، ولا يمنع هذا من الاعتراف بأنه بذل جُهْداً ليس باليسير في فكّ كثير من مغلقات كتابة الأصل ، واستطاع تصحيح كثير من أخطائه ، واستفاد مما نَشَرْتُه عن مطبوعته الأولى في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» .

٢ ــ في الكتاب كلمات وأسْماء آلاتٍ ذاتُ صلةٍ بالتعدين ، استقاها الهمدانيُّ من أَهْل عصره من ذوي الصناعة في اليمن ، وأَغْلَبُهُمْ من الفرس، مما لم أَجِدْهُ فيما اطلعت عليه من كتب اللغة ، ومن هذه الأسماء أو الكلمات ماوردت في المخطوطات بصور تقرأ على عدة أوجه ، لإهمالها من الإعْجَام ، وقد حاوَلْتُ إبرازَها كما وَرَدَتْ عندما لا أستطيع إدراكَ الوجه الصحيح منها ، وكثير منها غير عربي .

وقد حاولت الاستعانة بأحدِ الإخوة الذين يحسنون اللغة الفارسية ، وهو الأستاذ أحمد الواساني ــ الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية في بيروت في عشر التسعين من القرن الماضي ، وبقيت صورة المخطوطة عنده أياماً ، ولكنه بعد أن أَرْجَعها إليَّ قال لي : إنَّ الكلمات الفارسية الواردة في الكتاب خلاف اللغة الفارسية المستعملة الآن ، ولهذا لم يستطع معرفة أكثرها .

٣ ــ رأيت القاريء بحاجة إلى إيضاح بعض جمل وردت في الكتاب فوضعت لذالك حواشي موجزة ، ولكي لا أثقل بكثرتها رأيت أن ألحقها بآخر الكتاب مرتبة حسب صفحات المخطوطة السويدية ، وأن ألحق بالكتاب فهارس مفصلة لأسماء المعادن ، وأسماء آلات الصياغة وأدويتها ، وذكر الأعلام عامة ، للأشخاص والجماعات والمواضع وغيرها . وقد أبسط القول في الكلام على المعادن أو ماله صلة بها من الآلات لأن كثيراً من قرَّاء هذا الكتاب قد لا تكون صلتهم بكتب المعادن بالدرجة التي تمكنهم من فهم بعض عباراتها ، وإن لم أَكُنْ خبيراً بشيء مما له صلة بالموضوع .

٤ ــ موضوع الكتاب عن التعدين ، وعن المعادن في بلاد العرب ، وهذا مما لم يستوف الهمدانيُّ الكلامَ فيه ، ولهذا أَلْحَقْتُ بالكتاب بياناً يحوي ماعرفت من أسماء المعادن القديمة في بلاد العرب ، كما تحدثت في المقدمة عن التعدين حديثاً موجزاً .

أصول هذه المطبوعة :

١ ــ **المخطوطة السويدية** : إنَّ أوفى نسخة اطلعت عليها هي مصورة مخطوطة مكتبة جامعة (أبسالة) في السويد ، وهذه المصورة في (دار الكتب المصرية). ويظهر أنَّ تلك المخطوطة كانت مضافةً إلى غيرها ، إذ الصفحةُ التي تحوي طُرَّةَ الكتاب تتضمن كلاماً لا صلة له بموضوع النسخة ، بل يتعلق بسيرة عمر بن عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ ومنه : (وربما عظمت المحنة في حق الإنسان مع جوارحه ، وطال السؤال وخفت في حق الكثير الرعية كعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي انعص (؟) نفسه وزهد في الدنيا ، ونهض بحقوق رعيته ، حتى لحق بربه ــ رضي الله عنه وأرضاه ورزقنا الاقتداء به إن شاء الله تعالى ــ وافق الفراغ منه أول شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨ . يتلوه كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا ، تأليف الشيخ الإمام العلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العبدي البَكِيلي تغمده الله بغفرانه).

وفي حاشية الورقة : (حسبي الله وكفى في يد عبدالله بن أمير المؤمنين) [. . .] بن شمس الدين بن أمير المؤمنين وفقه الله تعالى وأصلح شانه كما يحب ويرضى إنه حميد مجيد ، والحمد لله ، وصلى الله على . . .) .

ومكان النقط كلمات غير واضحة ، ويدل هذا على أن أصل هذه النسخة يمني (انظر الصورة رقم ١) وأنها كانت في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري ــ كما يفهم من تاريخ شمس الدين من أئمة اليمن ، وهو من أجداد صديقنا الأستاذ أحمد حسين شرف الدين، على ماذكر لي . وفي الصفحة التي تليها البسملة ثم أول الكتاب الذي يقع في إحدى وثمانين ورقة (١٦٢ صفحة) في الصفحة مابين

عشرين وواحد عشرين سطراً .

ويظهر من ورقة في أول النسخة كتب فيها : (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا ، للهمداني البكيلي) أنها انتقلت إلى ملك غَيْر مَنْ كُتِبَتْ له ، ممن ليس يَمَنياً كما يتّضح من : (في ملك الفقير إليه سبحانه محمود بن حسن السى) والكلمة الأخيرة مهملة من الإعجام ، و : (صاحب ومالك كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين شريفي مصطفى متصرف اسكندرية سابقاً في ٥ ن سنة ٢٥١) ثم ختم لم يتضح لي من كتابته سوى اسم (مصطفى) ولعل المالِكَيْن تُرْكِيَّانِ ، وأن النسخة لم تصل إلى مكتبة جامعة (أبسالة) إلا في عهد متأخر ــ حدده الأستاذ (تل) . بسنة ١٩٢٤م وقد أُلْحِقَ بها خَمْسُ صفحاتٍ تحوي معلوماتٍ في فنون مختلفة أولها : (الحمد لله وحده: مَقْدِشُو: بفتح الميم وكسر الدال المهملة ، والعامَّةُ تفتحها ــ وضم الشين ــ: بلد كبير بين الزِّنْج والحبشة . حُرْقُوصُ بن زُهير الخارجي : ذُو الثَّدِيَّة . الْعَفْصُ : شجرة تحمل سنةً بَلُّوطاً ، وسنةً عَفْصاً ، يتخذ منه الحِبْرُ ــ مولد ، أو عربي ــ الأعياصُ من قُريش) الخ ثم معلومات مفرقة لارابط بينها آخرها : (بُجَاوة ــ كرغاوة ــ منها النوق البُجَاويات) والكتابة مغايرة لكتابة كتاب «الجوهرتين» وعلَّق كاتب زيديٌّ ، على هذا بقوله في حاشية على جملة : (ذاتُ وَدْقَيْنِ : الداهية ، كأنها ذات وَجْهَيْنِ ، ومنه قول علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه :

تِلكُم قُـرَيْشٌ تَمَنَّـانِي لِتَقْتُلَنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَـابَرُّوْا ولا ظَفِـرُوا
فـإنْ هَلَكْتُ فَـرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمُ بِـذَاتِ وَدْقَيْنِ لايَعْفُـو لَهَـا أثَـرُ

قال المازنيُّ : لم يصحَّ أنه تكلم بشيءٍ من الشعر غير هذين البيتين[١٥] وَصَوَّبَهُ الزمخشري . وفي الهامش : (ينظر في هذا القول ، فإن فيه مجال (؟) للنظر ، وكيف يصح هذا وكتب أهل الكتب مشحونةٌ بشعره ، لاسِيَّما «تفسير غريب القرآن» للحسين بن القاسم عليهما السلام) وكتابة هذه الحاشية متأخرة عن كتابة الأصل .

وتاريخ كتابة نسخة الجوهرتين يبدُو من آخرها ونصُّ ماورد فيه : (تم كتاب

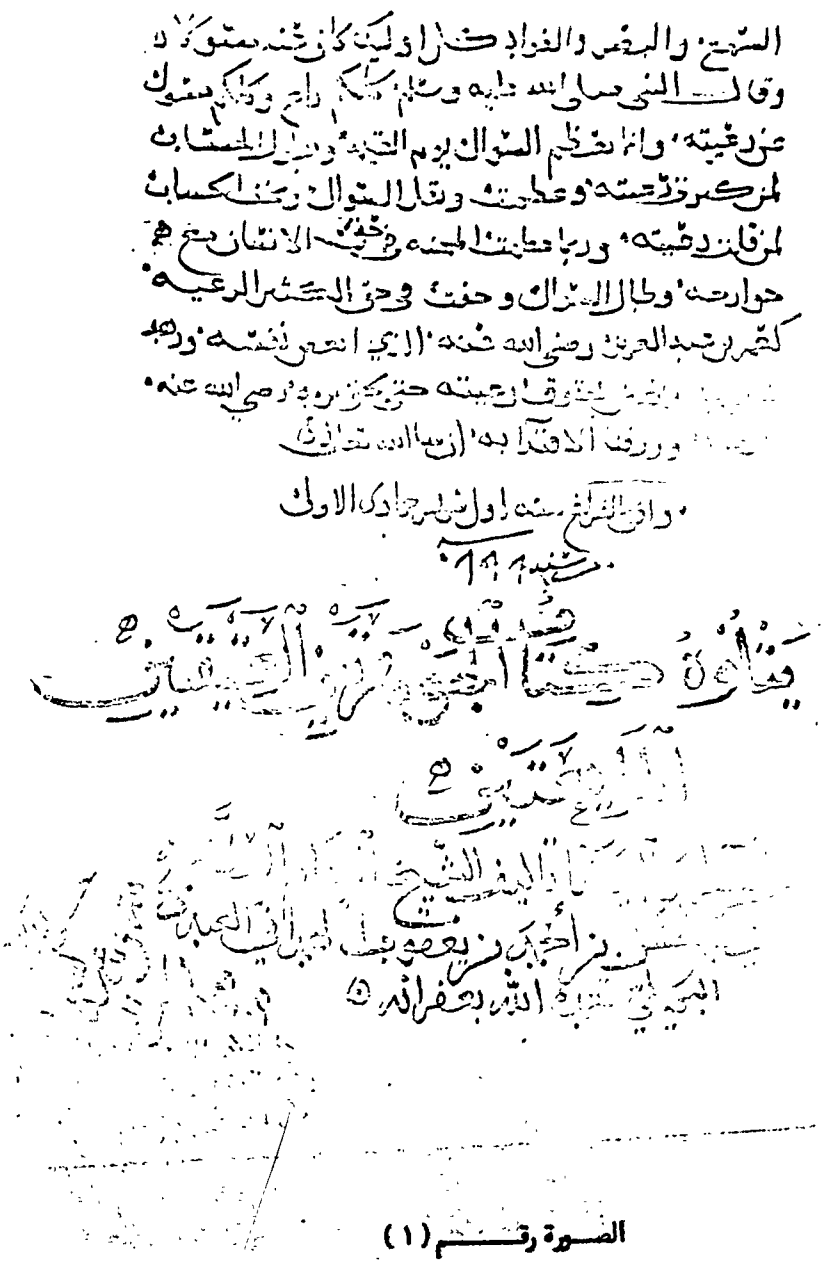

الصورة رقم (١)

الصفحة الأولى من مخطوطة (أبسالا)

الجوهرتين العتيقتين بحمد الله وبركات من أمر بنقله ، وصلواته على محمد وآله وسلامه) وفوق كلمة (العتيقتين) في الهامش (سنة ٨٩٨) ويظهر أنَّ هذا هو تاريخ النسخ ، كما يتضح من الصلاة على (آل المصطفى) أن الناسخَ زَيْدي . (انظر الصورة رقم ٢).

والكتابة بخط النسخ ، والعناوينُ بالقلم الْعَرِيض ، وبَعْضُ الكلمات مُشَكَّلٌ بالحركات ، وبعضُ الحروف المهملة توضع لها علامةُ الْإهمال غالباً ، وهي تشابه رقم (٧) ولكنها صغيرة فوق بعض الحروف كالحاء والعين . والراء ، أو نقطة صغيرة تحت الحرف (٠) كالدال والطاء، ولايلتزم الناسخ هذا دائما . ــ انظر الصورة رقم ٣ ــ .

ويبدو أنَّ هذه المخطوطة قد قُوبِلَتْ على نسخة أخرى ، إذْ في بعض الهوامش إشارة إلى ذالك ، بإيراد كلمة مخالفة للكلمة التي في الأصل ، وقد وضع فوقها حرف (ن)، بل ورد في أحد المواضع تصريح بالنقل من إحدى النسخ ، كما في (ص ٢٥ ب) في الكلام على معدن الرضراض .

ويظهر أنَّ أَحَدَ القراء حاول إيضاحَ بعض الكلمات بما كتبه في الهامش واضعاً فوقه حرف (ظ)، لعله إشارة إلى (الظاهر). ــ انظر الصورة رقم ٤ ــ .

ومع كل ذالك فَإنَّ من عيوب هذه النسخة :

إهمال كثير من الكلمات التي تصعُبُ قراءَتُها من الإعجام ، وخاصة الأسماء غير العربية التي يظهر أن المؤلف استقاها من المشتغلين بالتعدين وهم أعاجم ، مما سيمر كثير منه على القاريء .

ومن عيوبها أيضاً حدوثُ تحريفٍ وأخطاء في كثير من الكلمات ، حتى في الآيات القرآنية ، مما يدل على أنَّ الكاتب ليس على درجة من معرفة ماينقل ، وكان جاهلاً بقواعد الإملاء جَهْلاً يدفعه إلى كتابة كثير من الكلمات كتابة غير صحيحة ومن أمثلة ذالك : (لس ــ سواحا ــ ادا ــ اا ــ اردى) في (لأن ــ تواخى ــ تأدى ــ أتى ــ أردأ) وعدم إثبات الهمزة في كل كلمة مهموزة ، فكلمات

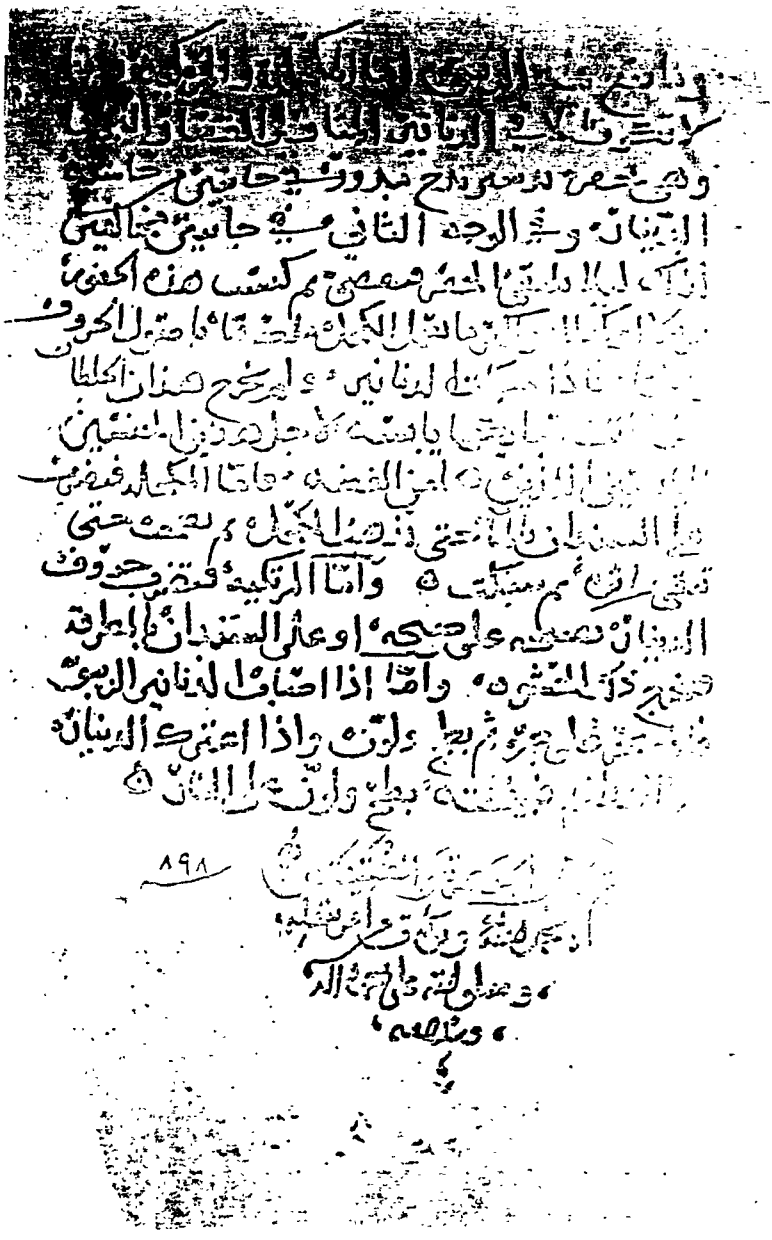

الصـــــورة رقم (٢)

آخر الكتاب في مخطوطة (أبسالا)

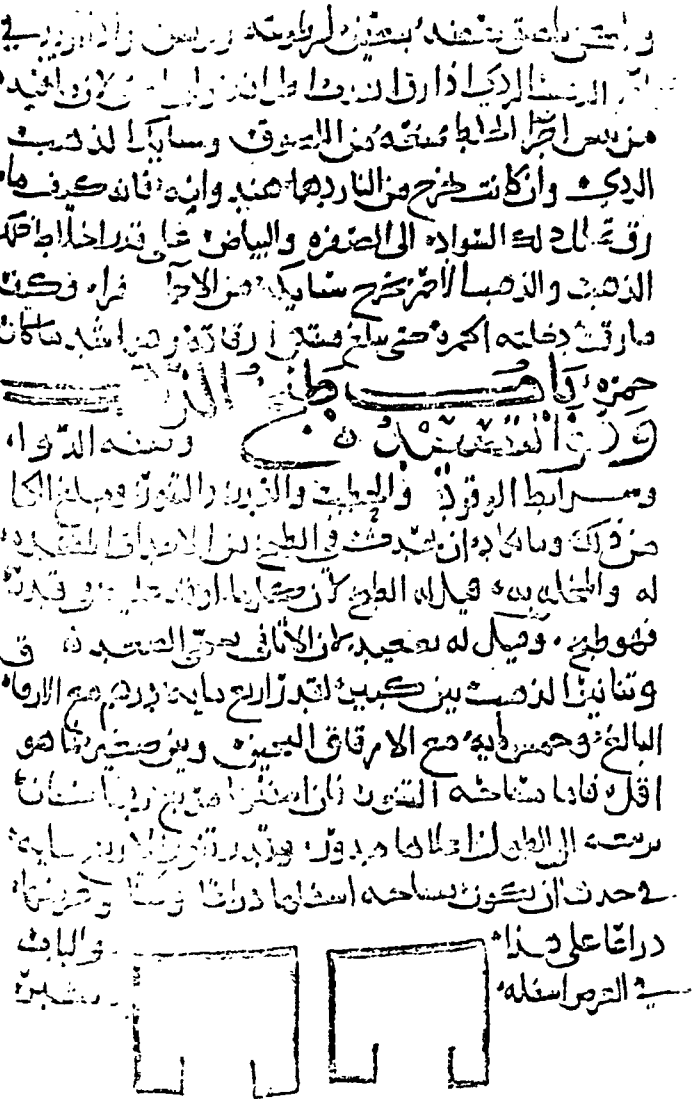

الصـــورة رقـــم (٣)

الصفحة الأولى من الورقة الـ (٣٠) من مخطوطة (أبسالا)

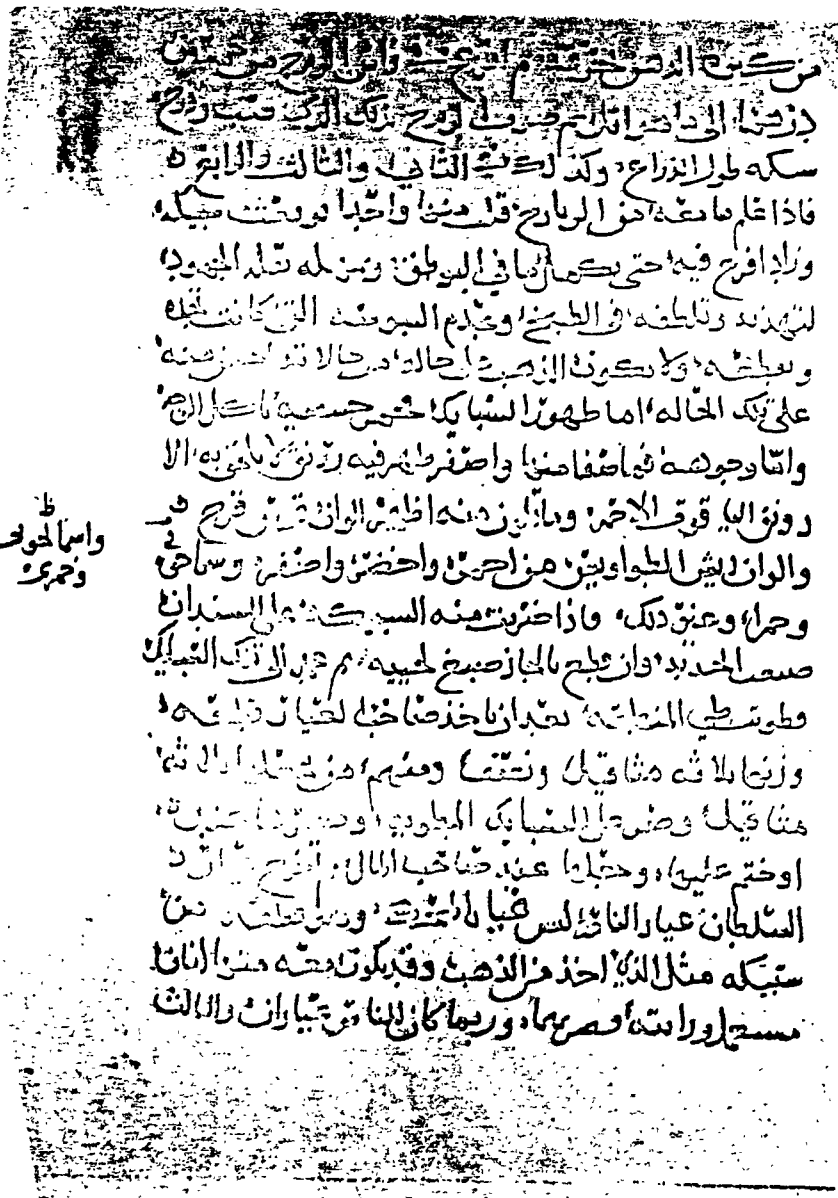

الصـــــورة رقم (٤)

الصفحة الأولى من الورقة الـ (٣٨) من مخطوطة (أبسالا)

(الرداءة ــ الزئبق ــ الرديء ــ الذؤابة ــ الهواء) وأمثالها يكتبها (الرداه ــ الزسق ــ الردى ــ الدوابــه ــ الهوا). أما عدم إعجام الحروف المعجمة فأمر يوشك أن يكون عاماً .

ومنها أن الناسخ أهمل رسم بعض الصور التي أوردها المؤلف كما في الورقة الـ (٥١ أ)، حيث قال المؤلف : (وهذا رسم شَواهينِ دُورِ الضَّرْبِ وشواهين الجهابذة) ولكن الناسخ لم يورد الرسم .

ومع كل ماتقدم فَإنَّ هذه النسخة أوفى نسخة اطلعت عليها وأَقْدَمُهَا . فهل وصلت إلينا تامَّة ؟ إنَّ الأستاذ (كريستوفر تلّ) لايرى هذا ، بل يرى أنه سقط منها باب واحد ، وهو (باب حكومة العيار وفقهه) مستدلاً بما ورد ــ ص ١٧٦ ــ من طبعته الثانية وص (١٣٤) من طبعتنا هذه ، ونصُّه عنده (ثم باب حكومة العيار وفقهه وما أشبهه ، باب صفة الوزن) قرأ الكلمة (ثم) بالثاء المثلثة أي باعتبارها حرف عطف ، ويزيد هذا إيضاحاً في مقدمته حيث قال: ــ ٢٩ ــ : والباب السابع عشر والذي يُفْتَرَض أنه يتناول حكومة العيار وفقهه بالنسبة للعملة ، فقد سقط من الكتاب وبقي العنوان فقط ، ونحن نعلم أن الهمدانيَّ كتب مع أمور الفقه من خلال ماذكره القفطي عن كتاب «اليعسوب» الذي يتناول أحكام الصيد ، كما يتعرض قليلاً في الباب الأول من هذا الكتاب لتحريم المقايضة . انتهى .

إلا أنني أرى الصواب قراءتها (تَمَّ) بالتاء المثناة ــ من التمام ، فقد وردت في المخطوطتين مهملة من الإعجام ، والأبواب الثلاثة التي قبلها كلها تتعلق بالعيار ، فكأنَّ المؤلف يقول: تَمَّ مايتعلق بالعيار ، ومايتصل به ، ولم يقصد مدلول كلمة (باب حكومة العيار) لِأَنَّ أحكام العيار تقدمت في الأبواب المتقدمة وهي (باب ضرب العيار) و(باب مثالات في صورة الوضع) و(باب حدود الرد والاستجازة) وبها استوفى مايتعلق بالعيار من أحكام . أما مالَمَحَهُ الأستاذ (تل) من معنى لكلمة (فقه) بحيث استنتج أن الهمداني تحدث عن مدلول هذه الكلمة الخاص وهو الناحية الشرعية ، فما أراه ، وإنما أرى أن المقصود المعنى العام ، وهو

العلم والمعرفة . وكذا كلمة (أحكام الصيد) فما أعتقد أن الهمداني قصد الأحكام الشرعية ، وإنما قصد جميع أمور الصيد .

ويظهر أن في آخر (باب ضرب العيار) نَقْصاً ، ففي المخطوطة ــ ٤٠ ــ: (. . كما ينثل على صفوف الورق المالية لطمس القدر ، ولما يجب من إيضاح ذالك فإذا سب باب مثالات في صورة الوضع) . كذا والكلام مبتور بعد كلمة (فإذا ثبت) .

٢ ــ **المخطوطة الألمانية** : وفي خزانة جامعة (توبنجن) نسخه مصورة مخطوطة أخرى ، ولكنها منقولة عن النسخة السويدية ، وقد صُوِّرَتْ لي بواسطة (المعهد الألماني للدراسات الشرقية) في بيروت سنة ١٣٨٧ ــ عن الأصل الذي في مكتبة ميونخ العامة ، وقد اطلعت عليه .

وهذه النسخة مجموعة مع غيرها كالنسخة التي تقدم وصفها ، والتي هي أصلها ، إذْ قبلها كلام يتعلق بعمر بن عبدالعزيز لم يصور لي منه سوى الصفحتين الأخيرتين ، جاء في آخرهما : تمت أحاديثُ عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رحمة الله عليه ورضوانه ، على مارواه مالك بن أنس وأصحابه رحمة الله عليه وعليهم أجمعين . قال الفقير الأجل أبو الحسن . . . بن ابراهيم : فمن وقف عليها فليتأدب بآدابه ، وسيرته في رعيته إنْ كان راعياً للمسلمين). إلى : (وربما عظمت المحنة في حق الإنسان مع جوارحه ، وطال السؤال وخفت في حق الكبير الرعية كعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي أنقض نفسه ، وزهد في الدنيا ، ونهض بحقوق رعيته حتى لحق بربه ، رضي الله عنه وأرضاه ورزقنا الاقتداء به إن شاء الله تعالى . تم الكتاب بحمد الله تعالى ولطفه يوم الأحد ثالث وعشرين من شهر القعدة الحرام سنة ٩٦٦ والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى) ــ (انظر الصورة رقم ٥) وهذا آخر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الحكم وهي مطبوعة تولى نشرها وتحقيقها الأستاذ أحمد عبيد بدمشق ، ثم أُعيد طبعها في القاهرة ، ولم يطلع على هذه المخطوطة التي قد تصحح بعض الكلمات التي استشكلها .

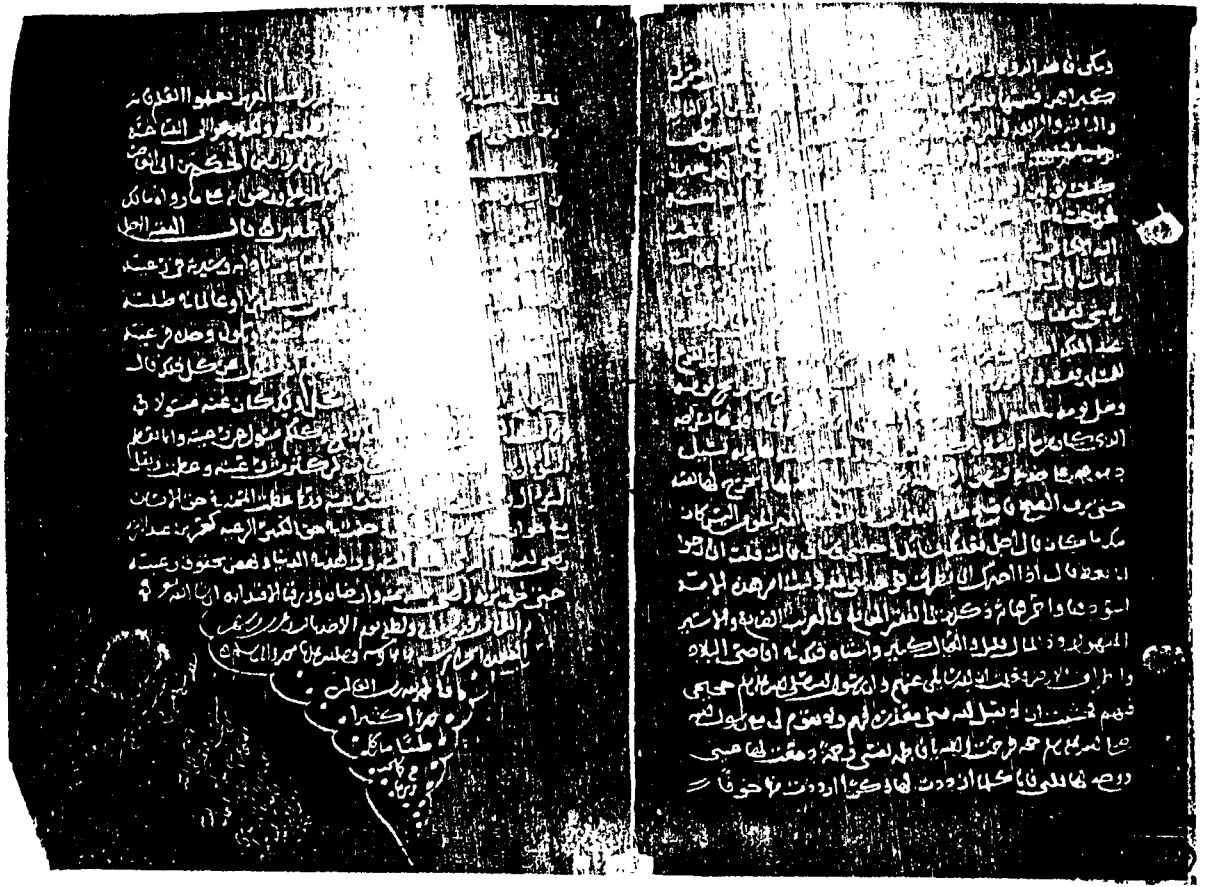

رقم (٥)

الورقة الأولى من المخطوطة الألمانية (١م) وهي من غير الكتاب

وفي الهامش : الحمد لله من كتب الوالد العلامة ضياء الإسلام وبهجة الأنام وزينة اليمن والشام العباس بن عبدالله . ثم كلمات غير واضحة ، وتحتها : الحمد لله من كتب الفقير إلى الله الغني عن من سواه العباس بن عبدالله . ثم كلمات لم تتضح في التصوير ، وما اتضح منها يدل على أنَّ النسخة يمنية أيضاً .

وبعد تلك الورقة في ورقة أخرى أولها : (يتلوه كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا تأليف الشيخ الإمام العلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي تغمده الله بغفرانه). ثم البسملة والاستعانة ومقدمة الكتاب . ــ انظر الصورة رقم ٦ ــ .

وآخر هذه النسخة : (باب الطلاء بالذهب) وفيه : فإذَا أخذَ الماءُ الحمرةَ من الجفنة والشقف صفَّيْتَ الزِّئبق من ذالك الماء الكدر ، وأصفيته في الجفنة بماءٍ نقي ، ثم صببته في سفرة أديم ، أو قطعة من أديم فراء من المغابن الرقيقة والأرفاغ، وصَرَرْتَهُ صراً شديداً مضاعف اللَّيِّ ، ثم امتزَّيْتَهُ ومَصَرْتَهُ في الجفنة ، فخرج زيبقه من سموم الشعر ، وبقي ذهبه فأخرجته أشد بياضاً من الزُّبْدِ وألين مَساً منه ، ثم أخذته بِمِطْعَمِ الطِّلاَءِ وهو قطعة من مَسٍّ كأنها البادنق الغليظ العريض ، وأنت تلقي بها ماأردت على القطعة المعروكة بالزيبق لأَنَّ الذهب المسحوقَ لايقبل إلا الأشياءَ قبل الزيبق فيتصل به ، وإلا لم يقبله ، فتطلى ماشئت طلاءاً). وهو يوافق في المخطوطة السويدية ــ الورقة (٦٦ب)، وبتلك الجمل تنتهي الصفحة ويليها في الصفحة المقابلة: (وأما صفة طبخ الحلبة وهي أن تُغلى وحدها أولاً على النار). ثم كلام يتعلق بذكر أنواع من النباتات تستعمل أدوية ، مِمَّا لاصلة له بالكتاب . (انظر الصورة رقم ٧).

وتاريخ كتابة هذه النسخة هو يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة سنة ٩٦٦ ــ كما يتضح من آخر الكتاب الذي قبلها . (انظر الصورة رقم ٥).

وتقع هذه النسخة في ٤٤ ورقة (٨٨ صفحة ــ في الصفحة من السطور ٢٢ سطراً) ماعدا الورقة الأولى والتي لاتتعلق بموضوع الكتاب والصفحة المقابلة للصفحة الأخيرة .

رقم (٦)

الصفحة (أ) من الورقة الأولى المخطوطة الألمانية

رقم (٧)

الصفحة الأخيرة منها التي عندها ينتهي الكلام

هذه النسخة منقولةٌ عن المخطوطة السُّوَيْدِية ، كما يبدُو من مطابقة النسختين حيث يتضح اتفاقهما حتى في الأخطاء في كثير من الكلمات ، يضاف إلى هذا أن ناسخ هذه المخطوطة قد يسهو أثناء النقل عند انتهائه من نقل صفحة من المخطوطة الأولى ، فينتقل إلى صفحة أخرى غير التي تلي الصفحة التي نقلها ، كما فعل حين نقل الورقة (١٦ ب) حيث قفز صفحة كاملة ، وفعل مثل هذا بعد نقل الورقة (٣٤ أ).

٣ ــ **النسخة الايطالية** : وهي في الواقع قطعة من الكتاب ، تقابل من النسخة السويدية ٣٧ صفحة من أول الكتاب إلى ماجاء في آخر (باب تكون الذهب والفضة في معادنها) من قول المؤلف : (ومن طباع الجبال أن تجتذبَ بقواها المياه والرطوبات من أعماق الأرض كما تجتذب الشجرةُ أَنْدَاءَ الأرض لاغير بعروقها ، ثم تحول ذالك الندا في الشجرة). ثم ينقطع الكلام في آخر الصفحة العشرين من المخطوطة ، ويليه في الصفحة الحادية والعشرين ــ من غير الكتاب ــ: (الباب الحادي عشر في امتحان الإكسير فنقول : إن هذين الفصلين من لواحق العلم فإن ابتلاء الشيء بالامتحان يظهر مافيه من بهرج وزيف). إلى آخر كلام لاصلة له بالكتاب .

وهذه القطعة أصلها في مكتبة (الامبروزيانا) في مدينة ميلان في ايطاليا .

وهي تقع في عشرين صفحة في الصفحة الأولى : (كتاب الجوهرتين العتيقتين والحجرتين المائعتين الصفرا والبيضا تأليف العلامة أبو(؟) محمد الحسن بن يعقوب الحائك الهمداني البكيلي العبدي تولى الله مكافأته آمين). انظر الصورة رقم ٨).

وفي الصفحة الثانية بعد البسملة : (وبه نستعين الحمد لله خالق الخلق) ومابعدها .

وسطور كل صفحة ستة وعشرون سطراً في الغالب ، وقد تزيد أو تنقص ، والقطعة تقع في مجموع في طرته أشعارٌ لاصلة لها بالكتاب ، إلا أنها تدل على أنَّ كاتبها زيدي المذهب . كما تدل جملة (تولى الله مكافأته) ووصفه بـ (الحائك)

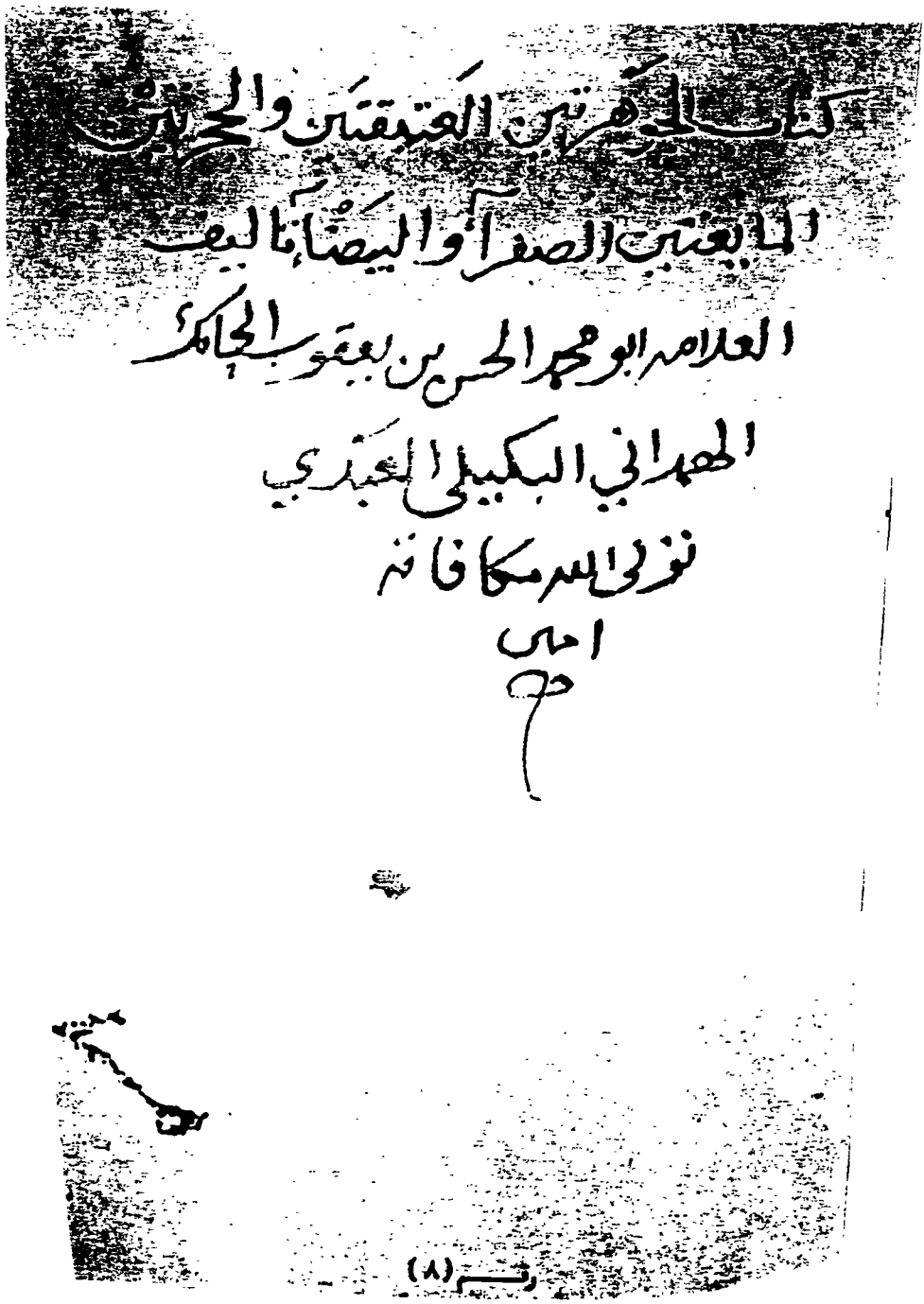
كتاب الجوهرتين العتيقتين والمحدثتين
المسمى بالعقيق الأصفر والأبيض تأليف
العلامة أبو محمد الحسن بن يعقوب الحائكي
الهمداني اليكيلي الخبري
نزيل السر مكافأنه
امين

(٨)

طرة مخطوطة (الامبروزيانا)

بذالك ، إذ مترجموه من علماء الزيدية ينالون منه .

ثم في الصفحة الثانية بعد البسملة : (الصحيفة الأولى من جملة سبع صحائف الشيخ البهيج النهيج الموضوعين بعد تسطير الوضع الخطير) إلى أن قال : (ثم اعلم أيها الحكيم أن هذه الأربعون الصحيفة إكراماً للنهيج البهيج هي بمحضر من الحكماء والتلاميذ والكهنة) ثم كلام يتعلق بالكيمياء على رأي المتقدمين عن الأحجار وبعض المعادن آخره: (السابعة من سبع صحائف من صحف شيث المكرمات الكرام المحكمات). وبعده كلام هو إلى التخريف أقرب منسوب إلى صحف شيث الحكيم ، يقع هذا في خمس عشرة صفحة .

ثم (كتاب الجوهرتين).

ثم (الباب الحادي عشر في امتحان الإكسير) يتعلق بالكيمياء ، يقع في عشر صفحات ، جاء فيه ــ ص ٧ ــ: (ولو أن الكيمياء يدرك بهذه العلوم فقط لأدركه علي بن سيناء البخاري وأبو نصر محمد بن طرخان الفارابي ، وأبو الريحان البيروني ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المعروف بفيلسوف العرب ، وأبو عبدالله محمد بن حزم ، كل هاؤلاء العلماء تكلموا في الكيمياء كلاماً مضطرباً).

آخره في الكلام على (الباب الثاني عشر في المنام الكاهين الذي هو زمام الكتاب : كنت زماناً مبتهلاً برب الأرباب ، ومسبب الأسباب أن يوفقني على معرفة الطبيعة الكريمة وأن يريني إياها في منامي). ثم بعد سَرْدِ رُؤْيِاً خرافية ينتهي الكلام : (وقد وفينا بما وعدنا ورأينا أن نقطع الكلام مستوهبين البركة من الله تعالى). وكلام يدل على تاريخ الفراغ من الكتاب وانه في شهر محرم سنة ١٣١٤ ، يتلوه أول كلام نصه : باب الصنعة الالهية بالعلم والعمل كما روي عن بعض الأكابر).

وآخره : (هذا منقول من كتاب الأسرار في الصنعة الشريفة). آخره : (تم بعون الله كما وجد في الأم وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين آمين).

رقم (٩)

صفحة من مخطوطة (الامبروزيانا) ليست من الكتاب ولكنها توضح تاريخ نسخه

وخطُّ هذا المجموع كله متماثل مما يدل على أن الكاتب واحد ، وأنَّ تاريخ النسخ هو شهر المحرم سنة ١٣١٤ . ــ انظر الصورة رقم ٩ ــ .

ولاشك أنَّ ما أُضِيفَ إلى تلك القطعة التي من كتاب «الجوهرتين» مما أُلِّفَ حديثاً ، وأنَّ النسخة كانت يَمَنِيَّةً يدل على هذا الاقتصار بعد الصلاة على الرسول ﷺ على الآل الطاهرين ، كما تدل جملة : (تولى الله مكافأته) على أنَّ الكاتب ممن ينظر إلى الهمدانيِّ نظرة كراهة ، ولهذا لم يترحم عليه ، وتلك عادة بعض إخواننا من الزيدِيَّة اليمنيين .

ولاتُضِيفُ هذه القطعةُ جَدِيداً إلى الكتاب سوى فتح باب الأمل بإمكان العثور على مخطوطة من الكتاب في اليمن ، لحداثة عهد كتابتها .

يضاف إلى هذا الاختلاف في التسمية ، فهي في النسختين الأوليين : (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا)[١٦].

وفي هذه النسخة : (كتاب الجوهرتين العتيقتين والحجرتين المائعتين الصفرا والبيضا)، أي بزيادة (الحجرتين) وبحذف (من) قبل الصفراء ، ولاأستبعد أن الصواب حذفها ، ويستأنس لهذا بإطلاق كلمتي (الصفراء والبيضاء) على الذهب والفضة في كلام متقدمي العلماء كالبيروني ــ محمد بن أحمد المتوفى في عشر الأربعين بعد الأربع مئة ــ فقد قال في كتابه «الجماهر في معرفة الجواهر» ــ ٨ ــ : لما سهل الله على الناس تكاليفَ الحياةِ وتصَاريفَ المعاشِ بِالصفراءِ والبيضاء ، انطوت الأفئدةُ على حُبِّهما ، ومالت القلوب إليهما ــ إلى أن ذكر ــ أنهما حَجَرانِ لايُشْبَعَانِ بذاتهما من جوع ، ولايُرْوِيَان من صَدى ــ إلى آخر ماقال .

أما تأنيث الحجر ، فعلماء اللغة وَإِنْ ذَكَرُوا أنَّ ٱلْحَجَرَيْنِ هما الذهب والفضة ، إلا أنني لم أر الاسم مؤنثاً فيما بين يديَّ من كتب اللغة ، ولو صَحَّ هذا عن الهمداني لكان مقبولاً ، إذْ هو عالم لغوي عاش في عصر متقدم . ولم أرَ في ترجمة الهمداني فيما اطلعتُ عليه من كتب التراجم من ذكر هذا الكتاب من مؤلفاته ، سوى ما ورد في «إنباه الرواة» ولكن باسم «الجواهر العتيقة» .

٤ ــ **مطبوعتا الأستاذ تل CHRISTOPHER TOLL** : رجع الأستاذ كريستوفر تل في طبعته الأولى إلى النسخ التي أشرتُ إليها ، وبذلَ جُهْداً مُجْدِياً نافِعاً في دراسة الكتاب ، وفي نقله إلى لغته ، فوضع أمام كل صفحة من صفحات المخطوط ترجمتها ، ونسخ المخطوطة بيده ونشرها مصورة في صفحات مماثلة لصفحات الأصل ، ووضع فهارس أسماء الاعلام والمواضع والشعر ، وقدم للكتاب بدراسة بلغته تقع في خمس وأربعين صفحة .

ثم أعاد النظر حين أرادت (وزارة الاعلام اليمنية) نشر الكتاب ــ في طبعته الأولى فصحح كثيراً من الأخطاء التي وقعت فيها ، وحافظ على اثبات اختلاف المخطوطات الثلاث ، فامتازت الطبعة الثانية صحةً وجودة حروف ، ومقدمة معربة .

يضاف إلى هذا أنَّ الأستاذ (تل) اطَّلع على المخطوطة التي لديه في جامعة (ابسالة) وهي الأصل ، ولهذا فلاشكَّ أنه بِاطِّلاعِهِ عليها اتَّضَحَتْ له كلماتٌ قد لاتظهر في التصوير ، ومع ذالك فقد استعصتْ عليه قراءة كلماتٍ يسيرة ، فوضع أمكنتها في الطبعتين نقَطاً ، وأشار في الحواشي إلى ذالك .

من هنا كان الرجوع إلى مطبوعته من الأمور التي تُعِينُ على تحقيق هذا الكتاب .

٥ ــ **مخطوطة القاضي الأكوع** :وكان العالم المحقق مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع قد نسخ ــ عن مطبوعة (تل) نسخة أعدَّها للنشر ولما قابلته في صنعاء في شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٦ ــ واستوضحته عن كلماتٍ وردت في هذا الكتاب ، وعلم بأنني سأقوم بنشره ، وَعَدَ ببعث نسخته إليَّ فوفى بوعده . فرأيته ــ رعاه الله ــ قد زيَّنها بالحواشي التي استفدت منها بما لايزال معروفاً في اليمن من المسميات ، وأشرت إلى ذالك عند ذكره .

لقد رجعت إلى ماتقدم ذكره ، ورمزت لذالك على التوالي بالحروف: (اب) و(ال) و(ام) و(تل) ــ أي نسخة (أبسالة) والنسخة (الألمانية) ، ومخطوطة

(الامبروزيانا) ومطبوعة الأستاذ كريستوفر تل . أما مخطوطة صديقنا القاضي فصرَّحت بما نقلت عنه .

حمـد الجاسـر

[الحواشي] :

(١) عربها الصديق الدكتور يوسف محمد عبدالله ــ عميد كلية الآداب في جامعة صنعاء ، ونشرت في «العرب» س ٢٢ ص ١٧٥ رمضان وشوال سنة ١٤٠٧هـ .

(٢) مجلة «القافلة» ج ربيع الثاني ١٤٠٧هـ ــ ديسمبر ١٩٨٦م ــ ص ٧ ــ (أسماء المعادن في التراث العربي الإسلامي) للدكتور أحمد عبدالقادر المهندس جامعة الملك سعود .

(٣) «التمام في شرح أشعار هذيل» ــ ٢٤٧ ــ

(٤) طبع «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» ، وانظر مجلة «العرب» س ١٤ ص ١٣٤ وس ١٧ ص ١٢٦ .

(٥) وقد أوضح في «الإكليل» ١٩٦/١٠ أن ذي الدمنة من صفات أحد أجداده لعنايته بالإبل ، كما ذكر صاحب كتاب «إنباه الرواة» أن جده سليمان بن عمرو كان شاعراً فسمي حائكاً لحكوكهِ الشعر .

(٦) «الإكليل»: ١٩٨/١٠ .

(٧) ص ٩٦ ومابعدها .

(٨) «الإكليل»: ١٩٩/١٠ ـ عن يوسف ــ الجد الثالث للهمداني: سكن صنعاء في آخر عمره ، وحمل بها وأولاده ، وكان لهم بصر بالإبل ، وبنو الأزهر من قومه ، قال عنهم: نزعوا من الظاهر إلى بوسان والرحبة ، فحملوا ، وخالطوا بلحارث بالرحبة .

(٩) «صفة جزيرة العرب»: ٣٥٦ .

(١٠) يُعْفِر ــ هذا بضم الياء المثناة التحتية وإسكان العين المهملة وكسر الفاء وآخره راء ــ كما نَصَّ الهمداني على هذا في آخر الجزء الثاني من كتاب «الإكليل» .

(١١) «الإكليل» ١٩٦/١ .

(١٢) انظر «قصيدة الكميت» مع شرحها لأبي رياش في مجلة «العرب» س ١٣ ص ٦٨٧ .

(١٣) «الإكليل» ٨٢/٨ وانظر رسم (تلفم) من «معجم مااستعجم» .

(١٤) انظر جريدة «الأهرام» تاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٠ (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠م) بعنوان (حلم الكيميائيين يتحقق بتحويل الرصاص إلى ذهب) . وتناقلت وكالات الأنباء منذ شهور نبأ نجاح العالم الأمريكي بول كوتل في تحويل الذهب إلى رصاص وقرر أنه من الممكن تحويل الرصاص إلى ذهب ، ولكن العمل غير مربح ــ انظر جريدة «الشرق الأوسط» ع ٣٠٢٧ في ١٣ رجب ١٤٠٧ (١٣ مارس ١٩٨٧م) بعنوان (الذهب يتحول رصاصاً) الصفحة الأخيرة .

(١٥) انظر «تاج العروس» ــ ودق ــ لتفصيل هذه المسألة .

(١٦) «إنباه الرواة» ٢٨٣/١ .

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)
ـ ٤٨ ـ

٢٣٣ ـ بابُ جِيْزَةَ ، وجَنْزَةَ ، وجَيِّرَةَ وحِيْرَةَ ، وحِبْرَة ، وَخَبْرَة ، وخَيْرَةَ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ : ـ بِكَسْرِ الْجِيْمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنة ، ثُمَّ زَايٌ ـ : جِيْزَةُ مِصْرَ مَشْهُورَةٌ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بنُ إِسْحَاقَ الْجِيْزِيُّ ، يَرْوِي عَنْ مُؤَمَّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وغَيْرِهِ ، وأَبُو مُحَمَّدٍ الرَّبِيْعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُوْدَ الْأَعْرَجُ الْجِيْزِيُّ ، يَرْوِيْ عَنْ أَسَدِ بْنِ مُوْسَى ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وصَحِبَ الشَّافِعِيَّ ، وَكَانَ ثِقَةً مَاتَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سنةَ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ وَمِئَتَيْنِ[٢] .

وأَمَّا الثَّانِي : ـ بِالْجِيْمِ مَفْتُوحَةً ، وبَعْدَهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ ـ : أَشْهَرُ مُدُنِ أَرَّانَ أَحَدِ الثُّغُورِ ، بَيْنَهَا وبَيْنَ بَرْذَعَةَ ستَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَنْزِيُّ ، قال الدَّارَقُطْنِيُّ : كَان يَكْتُبُ مَعَنَا الْحَدِيْثَ ، وَيَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَب الشَّافِعِيِّ ، وكَانَ شَدِيْداً ، ونَفَرٌ سِوَاهُ[٣] .

وأَمَّا الثَّالِثُ : ـ بَعْدَ الجِيْمِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَكْسُورَةٌ مُشَدَّدَة ، ثُمَّ رَاءٌ ـ : مَوْضِعٌ حِجَازِيٌّ فِي دِيَارِ كِنَانَةَ[٤] .

وأَمَّا الرَّابِعُ : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُوْرَةٌ ، ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ وَرَاءٌ ـ : الْبَلْدَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِظَهْرِ الْكُوْفَةِ ، يَسْكُنُهَا مُلُوكُ قَحْطَانَ وَغَيْرُهُمْ ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهَا فِي غَيْرِ حَدِيْثٍ ، وَأَيْضاً : مَحَلَّةٌ بِنَسَابُورَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِيْرِيُّ ، يَرْوِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيْدٍ

الدَّارِمِيِّ ، وأَبُو عُثْمَانَ سَعِيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ٱلْحِيْرِيُّ ، شَيْخُ الصُّوْفِيَّةِ بِنَيْسَابُورَ ، وَأَبُو عَمْرِو بْنُ حَمْدَانَ ، وغَيْرُهُمْ(٥).

وأَمَّا ٱلْخَامِسُ : ــ بِكَسْرِ ٱلْحَآءِ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ ــ : أُطُمٌ مِنْ آطَامِ ٱلْيَهُودِ بِٱلْمَدِيْنَةِ(٦).

وأَمَّا السَّادِسُ : ــ أَوَّلُهُ خَآءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَآءٌ مُوَحَّدَة مَكْسُورَةٌ ــ : مِيَآهٌ لِبَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ [مِنْ حِمَى الرَّبَذَةِ ، وَعِنْدَهُ قَلِيْبٌ لِأَشْجَعَ ، وأَوَّلُ أَخْيِلَةِ هذَا ٱلْحِمَى] من نَاحِيَةِ ٱلْخَبِرَةِ(٧).

وأَمَّا السَّابِعُ : ــ بَعْدَ ٱلْخَآءِ يَآءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَة ــ : خَيْرَةُ ٱلْأَصْفَرِ ، وَخَيْرَةُ ٱلْمَدْرَة جَبَلَانِ بِمَكَّة ، مَاأَقْبَلَ مِنْهُمَا عَلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ حِلٌّ ، وَمَاأَدْبَرَ حَرَمٌ(٨).

(١) عند نَصْرٍ في حرف الحاء : (بَابُ الحِيْرَةِ ، وٱلْحِبْرَةِ ، وٱلْجِيْزَةِ ، وٱلْخَنْزَةِ ، وٱلْخِبْرَة ، وَجَيْرَةَ ، وجَنْزَة ، وخَيْرَة) ذكر ثمانية أسماء ، ولكنه لم يتحدَّث عن (ٱلْخَنْزَة) .

(٢) لَمْ يَذْكُرْ نَصْرٌ جِيْزَةَ مِصْرَ ، وإِنَّمَا قال : وأَمَّا بِٱلْجِيْمِ الْمَكْسُورَةِ ، وٱلْيَاءِ التي تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ : هَضْبَةٌ في دِيَارِ بَنِي عَبْدِ الله بْنِ كِلَابٍ . انتهى ولَمْ أَرَ لِاسْمِ هذه الهَضْبَةِ ذِكْراً فِيمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الكُتُبِ . والجِيْزَةُ ــ في اللُّغَةِ ــ عَلَى مانقل ياقوتُ عَنْ أَبِي زِيَادٍ ــ : ٱلْوَادِي أَوْ أَفْضَلُ مَوْضِعٍ فِيهِ ، وجِيْزَةُ مِصْرَ أَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ فيها خِطَطاً طوائفُ من القبائل التي غَزَتْ مِصْرَ في صَدْرِ الإِسْلَامِ مَعَ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بَعْدَ فَتْحِ الاسكندريَّة ، وقد اتَّصَلَ عُمْرَانُهَا بِٱلْقَاهرة ، وتَشْمُلُ كُورةً واسِعَةً قال عنها ياقوتُ : مِنْ أَفضل كُوَرِ مِصْرَ ، والمَنْسُوبُونَ إليها من المشاهير كَثِيرُون ذكر بعضَهُم ياقوتُ بإِيْجَازٍ .

(٣) قَالَ نَصْرٌ عَنْ جَنْزَة: وَأَمَّا بِفَتْحِ ٱلْجِيْمِ وسُكُونِ النُّونِ ، والزَّاي مُعْجَمَة ــ : مِنْ مُدُنِ أَذْرَبِيجَانَ ، بَيْنَهَا وبَيْنَ بَرْدَعَةَ ستَّة عَشَرَ فَرْسَخاً . وقال ياقوتُ : جَنْزَةُ ــ بالفتح ــ أَعْظَمُ مَدِيْنَةٍ بِأَرَّانَ ، وهي بَيْنَ شَرْوَانَ وأَذْرَبِيْجَانَ ، وهي الَّتِي تُسَمِّيهَا العامَّةُ كَنْجَةَ . . . خَرَجَ مِنْهَا جماعَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ ، وذكر عَدَداً مِنْهُمْ مُعَوِّلاً عَلَى السَّمْعَانِيِّ ، صَاحِبِ كتاب «الأنساب» وقال مُؤَلِّفُ كِتَابِ «بُلْدَانِ الخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ» في كَلَامِهِ عَلَى إِقْلِيمِ كَيْلَانَ ــ ص ٢١٣ ــ : وجَاءَ ذِكْرُ مَدِيْنَتَيْنِ في الرَّانِ إِلى شمال غَرْبِيِّ بَرْذَعَةَ في طَرِيقِ تَفْلِيْسَ أَولاهُمَا مَدِينَةُ كَنْجَةَ ، وٱلْأَشْهَرُ في تَسْمِيَتِهَا ٱلْيَوْم (اليزابث بول Elizabet Pol) وقد كتبها البلدانيون العربُ بِصُورة جَنْزَة .

(٤) جَيْرَةُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِجِيْم مَفْتُوحَةٍ وَيَاءٍ مُشَدَّدَةٍ مَفْتُوحَةٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ: مَوْضِعٌ بِٱلْحِجَازِ في دِيَارِ كِنَانَة ، وقِيلَ : عَلَى سَاحِلِ مَكَّةَ . انتهى . ونَقَلَ ياقوتُ هَذَا الكَلَامَ في «معجم البلدان» غَيْرَ مَنْسُوبٍ لِقَائِلٍ . ويَظْهَرُ أَنَّ مَصْدَرَ هذا ٱلْقَوْلِ مَاجَاءَ في كتاب «شرح أشعار الهُذَليين» لِلسُّكَّرِي ــ ٣١١ ــ ومُلَخَّصُهُ: أَقْبَلَ الأعلمُ الهُذَليُّ وأخوه صُخَيْرٌ ، ومَعَهُ صاحبٌ له ، حتَّى أَصْبَحَا مُدَّخِلَيْنِ بِجَبَلٍ يُقَالُ لَهُ السِّطَاعُ ، بِجَيْرَةَ ، بَلْدَةٍ مَعْرُوفَةٍ ، في يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ ، شَدِيْدِ ٱلْحَرِّ ، وهُوَ مُتَأَبِّطٌ قِرْبَةً فِيهَا ماءٌ ، فَأَيِسَتْهُمَا السَّمُومُ حَتَّى لَمْ يَكَادَا يُبْصِرَانِ مِنَ ٱلْعَطَشِ ، فَقَالَ الأعلم لِصاحِبِه : اشْرَبْ مِنَ القِرْبَةِ لَعَلِّي أَرِدَ ٱلْمَاءَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ ، وبَنُو عَبْدِ بنِ عَدِيِّ بن الدِّيْلِ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى ذالِكَ ٱلْمَاءِ ، وهو مَاءُ ٱلْأَطْوَاءِ ــ ثم بقية

ٱلخَبَر عن مُطَارَدَةِ ٱلقَوْمِ الكنانيين للأعلم الشاعر الهُذَلي ، ولكنَّهُ نَجَا مِنْهُمْ ، وقَالَ في ذالِكَ شِعْراً . فالمَوْضِعُ في بلاد بني الدُّيْلِ مِنْ كنَانة ، ولكنَّ ياقوتا أورد في «المعجم» في رسم (حَيْرة) بالحاء المهملة وياءٍ مشدَّدة وراءٍ وهَاءٍ : بَلْدَةً في جبال هُذَيْل ، ثُمَّ في جبالِ سِطَاع . وَلاَشَكَّ أنَّ الموضِعَ وَاحِدٌ ، فَهَلْ هو بِالجيم أَوْ بِالْحاء المهملة؟! اتَّفَاقُ نَصْرٍ وٱلْحَازميّ على مَاوَرَدَ في كتاب «شَرْح أشعار ٱلْهُذَلِيِّيْن» يُقَوِّي القول بأنَّهُ بِالجيم ، عَلَى أنَّ قَوْلَ ياقوتٍ أنَّهُ في سطاع ، في جِبَالِ هُذَيْلٍ لاَيَتَّفِقُ مَعَ مافي كتاب «شرح أشعار الهُذَلِيِّيْنَ» فَسِطَاعُ في بِلاَدِ كنَانَةَ ، ويَاقُوتُ نَفْسُهُ قَالَ عَنْهُ : وَرَدَ في أَشْعَارِ هُذَيْلٍ ، وَوُرُودُهُ في أَشْعَارِهِمْ ، لاَيَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ في بِلاَدِهِمْ ، وجَبَلُ سِطَاعٍ لايَزَالُ مَعْرُوفاً ، يَقَعُ في تِهَامَةَ جَنُوبَ مَكَّةَ بنحو ثمانين كِيْلاً ، على مقْرَبَةٍ مِنَ الساحِلِ ، يَمُرُّ بِهِ طَرِيقُ ٱلْمُتَّجِهِ إِلَى ٱلْيَمَنِ ٱلْمَارِّ بِمَنْهَلِ الأَطْوَاءِ ٱلْوَاقِعِ في ذالِكَ ٱلْجَبَلِ . وسُكَّانُهُ مِنَ ٱلْجَحَادِلَةِ ٱلآنَ ، وهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى كِنَانَةَ ، وبِلاَدُ هُذَيْلٍ ٱلْيَمَنِ مُتَّصِلَةٌ بِبِلاَدِهِمْ .

(٥) ٱلْحِيْرَةُ : قالَ نَصْرٌ : أَمَّا بِكَسْرِ ٱلْحَاءِ تَلِيْهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، وَرَاء مُهْمَلَةٍ : الصُّقْعُ ٱلْمَعْرُوفُ بِظَهْرِ ٱلْكُوفَةِ ، مِنْ مَنَازِلِ مُلُوكِ قَحْطَانَ . انتهى . وأَطَالَ ياقوتُ الكلامَ على الحيرة بَعْدَ أنْ ذَكَرَ أنَّها مدينةٌ على ثلاثةِ أمْيَالٍ مِنَ الكُوفَةِ ، عَلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ النَّجَفُ . وأُضِيْفُ بأَنَّ اسْمَ النَّجَفِ طَغَى على اسْمِ ٱلْحِيْرَةِ حَتَّى كَادَ أَنْ يُجْهَلَ هذا الاسم .
أمَّا الحِيرَةُ الَّتِي هِيَ مَحَلَّةٌ بِنَيْسَابُورَ فَقَدْ أَوْرَدَ يَاقُوتُ بَعْدِ ذِكْرِ بَعْضِ مَنْ نُسِبَ إليها قَوْلَ أَبِي مُوسَى مُحَمَّدِ بن عُمَرَ الأَصْفَهَانِيِّ ــ شيخ الحازميِّ : أمَّا أَبُو بَكْرٍ ٱلْحِيْرِيُّ فَقَدْ ذَكَرَ سِبْطُهُ مَسْعُودُ بن عَبْدِ الرَّحيم أَنَّ أَجْدَادَهُ كَانُوا مِنْ حِيْرَةِ الكُوفَةِ ، وجَاؤُوْا إِلَى نَيْسَابُورَ فَاسْتَوْطَنُوهَا . قال : فَعَلَى هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا تَوَطَّنُوا مَحَلَّةً بِنَيْسَابُورَ فَنُسِبَتِ ٱلْمَحَلَّةُ إِلَيْهِمْ ، كَمَا يُنْسَبُ بِالْكُوفَةِ وٱلْبَصْرَةِ كُلُّ مَحَلَّةٍ إِلَى قَبِيلَةٍ ، نَزَلُوهَا . وللتَّوسُّعِ في مَعْرِفَةِ بَعْضِ أَحْوَالِ ٱلْمَنْسُوبِيْنَ إِلَى ٱلْحِيْرَةِ مِمَّنْ ذَكَرَهُمُ ٱلْحَازِمِيُّ وغيرهم يُحْسُنُ الرُّجُوعُ إلى كتابِ «ٱلأَنْسَابِ» للسمْعَانِي .

(٦) جِبْرَةُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِكَسْرِ ٱلْحَاءِ وسُكُونِ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ : أُطُمٌ بِٱلْمَدِيْنَةِ لِلْيَهُود ، في دَارِ صَالِحِ بْنِ جَعْفَرٍ . انتهى وَلَمْ يَزِدْ ياقُوتُ على هذا سِوَى بَيَانِ ٱلْمَعْنَى ٱللُّغَوِيِّ إِذْ قَالَ : جِبْرَةُ ــ بِٱلْكَسْرِ ثُمَّ السُّكُونِ ــ : هِيَ فِي ٱللُّغَةِ صُفْرَةٌ تَرْكَبُ الأَسْنَانَ ، وأَوْرَدَ ٱلْقَوْلَ غَيْرَ مَنْسُوبٍ . وفي «وَفَاءِ الوفاء» ــ ١١٨١ــ : جِبْرَةُ ــ بِٱلْكَسْرِ ــ : أُطُمٌ بِٱلْمَدِينَةِ ، قَالَهُ الصَّاغاني ، وقال ابْنُ زَبَالَةَ : إِنَّ بَنِي قَيْنُقَاع كَانَ لَهُمْ أُطُمَانِ عِنْدَ ٱلْحَشَّاشِينَ ، عِنْدَ ٱلْمَالِ الَّذِي يُقَال لَهُ جِبْرَة . قلتُ وأَظُنُّهُ بِالْحَاءِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَة . انتهى كلام صاحب «وفاء الوفاء» وكَلاَمُ ابنِ زَبَالَة أوردَهُ صَاحِبُ «المغانم المُطابة» ــ الورقة الـ ٣٦ ـ ولكنَّ كلمة (حره) بِدُونِ نقطٍ ، وقال السُّمْهُودِيُّ في «وفَاءِ الوفاء» : ٱلْحَشَّاشِين ــ بصيغة الجمع ــ : بِمَنَازِلِ بَنِي قَيْنُقَاع ، وَلَمْ يَزِدْ . وأَوْرَدَ صاحب «القاموس» كلام نَصْرٍ بِنَصِّهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ ، وهُو في الغالِبِ يَرْجِعُ إِلَى «مُعْجَمِ البلدان» ولكنَّه في «المغانم» أورد قولَ الصاغاني . ولم أرَهُ في كتابه «التكملة» . ومنازِلُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ في ٱلْمَدِينَةِ كانَتْ في جنوبها فِيما بَيْنَ ٱلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وقُبَاء ، كما يُفْهَمُ مِنَ النُّصُوصِ التي أَوْرَدَهَا السُّمْهُودِيُّ في «وفاء الوفاء» ــ ١٠٧٢/١٠٧١/١٦٤ ــ وَقَدْ زَالَتْ آثَارُهُمْ بِزَوَالِهِمْ . وموقع ذالك الأطم في وسط عمران المدينة الآن .

(٧) خَيْرَةُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِفَتْحِ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ ، وٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ ٱلْمَكْسُورَةِ ، والرَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ : مَاءٌ مِنْ حِمَى الرَّبَذَةِ لِبَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ ، وعِنْدَهُ قَلِيْبٌ لِأَشْجَعَ ، وأَوَّلُ أَخْيِلَةِ هذَا ٱلْحِمَى مِنْ نَاحِيَةِ ٱلْخَبَرَةِ . انتهى . وَفِي «معجم البُلْدَانِ» : خَيْرَةُ ــ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثانيه وَرَاءٍ مهملة ــ : وَهُوَ لُغَةٌ في ٱلْخَبْرَاءِ ، يقالُ : خَبْرَاءُ وخَيْرَةُ لِلأَرْضِ الَّتِي تُنْبِتُ السِّدْرَ ، وهُوَ عَلَمٌ لِمَاءِ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ، مِنْ حِمَى الرَّبَذَةِ ، وعِنْدَهُ قَلِيْبٌ لِأَشْجَعَ ، وَأَوَّلُ أَخْيِلَةِ هذَا ٱلْحِمَى مِنْ نَاحِيَةِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْخَبَرَةُ . انتهى . ويُلاَحَظُ أَنَّ في التَّعْرِيف في نُسْخَةِ

الأصل من كتاب الحازمي نقصاً أكمل من النسخة الثانية فيما بين المربعين [. . .] ومع ذالك لم يكمل وهذا ماحمل ياقوت على زيادة كلمة (المدينة) على أن فيما ورد في «معجم مااستعجم» مايفهم منه مخالفة النصوص المتقدمة ، ونصه ــ ٦٣٣ في الكلام على حمى الربذة : ويسرة حمى الربذة الخبرة . وهي من الربذة مهب الشمال ، وهي في بلاد غطفان ، وإن أدنى المياه من الخبرة ماء لبني ثعلبة بن سعد ، وأول أجبل حمى الربذة في غربيها رحرحان ــ إلى آخر ماذكر وفيه أن بين رحرحان وبين هضب المنحر تقع الخبرة . وكلمة (يسرة) وردت في كتاب «وفاء الوفاء» ومختصره «خلاصة الوفاء» بهذا النص : وأن سرة حمى الربذة الحرة ، ثم زاد الولاة بعد في الحمى ــ إلى أن قال ــ: وأول اعلامه رحرحان جبل غربي الربذة على أربعة وعشرين ميلاً منها ــ وهو ينقل عن الهجري ، ولا شك أن كلمة (الحرة) تصحيف (الخبرة) إذ لاحرة في حمى الربذة ، فقد سرت فيه وشاهدت جميع أعلامه ، وهو في أرض منبسطة ، تنتشر الجبال في نواحيها . ولهذا فإنني أرى صواب كلام نصر والحازمي وياقوت: (وأول أجبله ــ أي هذا الحمى ــ من ناحية الخبرة) وهو جبل رحرحان ــ كما في كلام صاحبي «معجم مااستعجم» و«وفاء الوفاء» أما كلمة (المدينة) التي زادها ياقوت فلا محل لها .

وأضيف : لقد طالعت مخطوطة « وفاء الوفاء » في المكتبة العامة في مدينة (ميونيخ) بعد كتابة ماتقدم في رمضان سنة ١٤٠٧هـ فوجدت فيها كلمة (الخبرة) مكتوبة بدون إعجام (الحرة) فيظهر أن التصحيف تطبيع ــ أي خطأ مطبعي ــ .

وحمى الربذة أصبح معروفاً في عهدنا ، وكثير من أعلامه كجبل رحرحان وغيره باقية على أسمائها ، إلا أن جل المياه القديمة قد نضبت فدرست ، ومنها الخبرة التي يفهم من وقوعها في سرة الحمى وقوعها على مقربة من موقع قرية الربذة التي كشفت آثارها .

(٨) خيرة : ماأورده الحازمي هو نص كلام نصر ، وكذا أورد ياقوت في «معجم البلدان» وعنه نقل صاحب «القاموس» على أن في المخطوطة الثانية من كتاب الحازمي . وأما السابع : ــ بعد الحاء المهملة ياء تحتها نقطتان ساكنة ــ: حيرة الأصفر وحيره جبلان بمكة ، ماأقبل منهما على مر الظهران جبل وما أدبر حرم ــ كذا ورد الكلام محرفاً ، وماأرى كلمة (المهملة) إلا مزيدة على كلام الحازمي ، مع أنه لم ترد في الأصل كلمة (المعجمة) ولكن الخاء فيه منقوطة في ثلاثة مواضع .

ومع عناية الأزرقي بتدوين معالم حرم مكة في كتابه «أخبار مكة» فإنني لم أجد لإسم حيرة أو خيرة ذكراً فيه ، وإنما وجدت ــ ج ٢ ص ٣٠١ آخر الكتاب مانصه : التخابر بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، وهو على يمين الذاهب إلى جدة ، إلى نصب الأعشاش ، وبعض الأعشاش في الحل وبعضها في الحرم ، وهي بحيرة البهيما وبحيرة الأصفر والرغباء ، ماأقبل على بطن مر منهن فهو حل ، وماأقبل على المريرا منهن فهو حرم . انتهى بنصه ، ولا شك أن مدلول النصين واحد ولكن أيهما الصحيح ؟! وقد كرر محقق الكتاب الجملة فى الملحق الثاني الذي أضافه إلى الكتاب بعنوان (حدود الحرم) ــ ج ٢ ص ٣٠٩ ــ بهذا النص: الحديبية من الأعشاش ماأقبل على بطن مر فهو حل، وماأقبل على المريرا فهو حرم . انتهى لاشك في وجود صلة بين كلمتي (خيرة) و(التخابر) ولا أستبعد أن تكون الأخيرة محرفة عن (الخبايا) لو صح اعتبارها جمعاً لخيرة ، أو ماقاربَ تلك الكلمة ، وكذا كلمة (المريرا) في كتاب الأزرقي ، قد تكون (المذيرا) كما في النصوص المتقدمة ، التي هي أقرب إلى الضبط والصحة . إلا أنني رأيت فيما كتبه الشيخ المحقق عبدالله بن عبدالرحمن البسام في تحديد الحرم المكي ونشر في مجلة «العرب» س ٢٢ ص ١٢ ــ ذكراً للأعشاش ، واتصالها من الشرق بـ (النحاش) وأن سيلها يصب في (المرير) من الحرم ، وقبل ذالك ذكر (النحائر) وأن بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، كما ذكر الشيخ ثنية المرير ، وأن العلم الموضوع ليوضح حد الحل من الحرم يبعد عنها بنحو كيل ونصف ، وأورد خبر بروك ناقة الرسول ﷺ في ثنية المرار ، وقول ياقوت ثنية المرار مهبط الحديبية .

حديث الكتب :

« تاريخ ابن لعبون »

أول من قال بأن ابن لعبون لم يؤلِّف كتاباً واحداً وإنما ألف كتابين اثنين أحدهما في التاريخ وثانيهما في الأنساب هو الشيخ حمد الجاسر .

وهذا كلام مطابق للواقع ، لأن الموجود بين أيدينا من آثار ابن لعبون المخطوطة والمطبوعة :

افتتاحية لكتاب خصّصه للأنساب ، ومقدمة له .

وافتتاحية ومقدمة أُخريان لكتاب في التاريخ .

وقد أوهم تداخل هاتين الافتتاحيتين والمقدمتين بأن ما ألفه ابن لعبون هو كتاب واحد في التاريخ .

فالكتاب المطبوع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧هـ بدأ بافتتاحية كتاب الأنساب ، ثم مقدمة كتاب الأنساب . ثم جاءت مقدمة كتاب التاريخ على هيئة فصلين من فصول هذا الكتاب المطبوع من قوله [فصل : قال أهل السير والأخبار . .] ص ٥٧ إلى آخر الكتاب .

والكتاب المخطوط وهو نسخة الشيخ عبدالرحمن بن سليمان بن حمدان ــ رحمه الله ــ بدأت بافتتاحية كتاب التاريخ . فمقدمة كتاب الأنساب ، ثم مقدمة كتاب التاريخ على هيئة فصلين أيضا كما في الكتاب المطبوع .

ومعنى ذالك أن المطبوع لا يختلف عن المخطوط إلا في الافتتاحية فقط .

والسؤال : أين باقي هذين الكتابين اللذين لا يوجد منهما إلا الافتتاحيتان والمقدمتان ؟

هل ضاع ضمن الكتب التي ضاعت ؟ أم كما قال الجاسر عن هذين الكتابين : إن ابن لعبون [لم يكملهما ، وإنما كتب جملاً منهما] ــ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد القسم الثاني ــ ص ٧٥٥ ط ١٤٠١هـ ــ .

أما كتاب الأنساب فيوجد منه ــ عدا ما تقدم ذكره ــ النبذة التي كتبها المؤلِّف ، وتختص بنسب آل مدلج من بني وائل . وهذه النبذة لاتزال مخطوطة أورد الشيخ الجاسر لها نسختين تحدث عنهما في مجلة العرب ص ٥٩٣ ومابعدها ج ٨/٧ س ١٦ .

أما كتاب التاريخ . فليس بين أيدينا منه إلا ماتقدم ذكره . ولا أثر لباقيه فيما يتعلّق بـ[ماحدث بعد الألف من الهجرة من الولايات والوقائع المشهورة من الحروب ، والملاحم والجدوب ، وملوك الأوطان ، ووفيات الأعيان ، وغير ذلك مما حدث في هذه الأزمان ، خصوصاً في الدولة السعودية الحنيفية] ــ الورقة الأولى من مخطوط ابن حمدان كلُّ ذالك مما ذكره ابن لعبون في المقدمة ووعد بالحديث عنه ، ليس له أثرٌ البتة ، ولا وجود له ، والشيخ حمد الجاسر مرجع في ذالك ولم يذكر مخطوطاً لهذا الجزء المتبقي من الكتاب ، ولم أجد من ذكر شيئاً عن هذا الكتاب ــ عدا ماتقدم ذكره ــ إلا الشيخ عبدالله بن بسّام في رسالة بعثها للشيخ حمد فتفضّل بنشر خلاصتها في مجلة العرب ص ٤٥٥ س ١٦ ج ٦/٥ ، يقول فيها ابن بسّام :

[عندي تاريخ حمد بن لعبون بعضه بخطّه ، وبعضه بخط ابنه زامل ، وصفته كما يلي : . . .] ثم وصفه .

ومما يعنينا مما وصف به هذا المخطوط قوله :

[يوجد عندي التاريخ النجدي الحديث من عام ١١٥٨ إلى ١٢٤٠هـ]

والكلام عن تاريخ ابن لعبون .

أقول وبالله التوفيق : إن صحّ فهمي لرسالة ابن بسّام ، فقد عثرنا على أهم مافي كتاب التاريخ لابن لعبون .

وإن صحّ فهمي أيضا فلا أعتقد أن حمداً الجاسر سيهدأ له بالٌ ما لم يطّلع على ماذكره الشيخ ابن بسّام .

ولعلّي بعد ذالك أجد عند الشيخ حمد من الجواب ما يشفي ويكفي إن شاء الله ، وما قصدي إلا معرفة الحقيقة ، والله من وراء القصد .

أنساب اسر بلدتي الحَرِيق ونعام

أشير إلى مؤلفكم القيم « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » فإنه يعد بحق مؤلف جيد وهام لما يضم من معلومات عن أسر نجد وما أريد قوله هنا هو أنني وجدت به نقصاً كبيراً من ناحية عدم ذكر كثير من أسر بلدتي الحريق ونعام المتجاورتين ففضلت التنويه عن ذالك فيما سيأتي راجياً من أستاذنا الفاضل تدارك ذالك حين إعادة طباعة الكتاب المذكور ان شاء الله .

وهذا سرد لكافة أسر بلدة الحريق :

الهزازنة : أمراء الحريق ومشاهيره وهم من البدور من الأشاجعة من الـمَحْلَف من الجلاس من ضنا مُسلم من بكر بن وائل (من عنزة) وحول هذه الأسرة الكريمة ورد التباس وخلط فيمن ينتسبون وممن ينتسب إليهم وسبق نقاش شيء من ذلك في جريدة الجزيرة ومجلة « العرب » وأرى أن إعادة هذا النقاش قد يطول هنا ولكن ما أحب قوله وأحاول اختصاره هنا أن ماحدث يكمن في نقطتين رئيستين هما :

أولاهما : الخلط بين بني هزان القبيلة القديمة العريقة التي تنسب إلى هزان بن صباح من عنزة بن أسد والتي وُجدتْ في ذالك الوادي (نَعام وما حوله) وبين الهزازنة .

وأجزمُ في أن من خلط بينهما وجعل هذه امتداداً لتلك لم يستند على شيءٍ سوى نواح سطحية فقط وهو مانستطيع تسميته أنه تقريب واجتهاد وظن فقط بأن الهزازنة بهذا الاسم هم امتداد لبني هزّان المشابهة لهم اسماً وهذا استناد على ظاهر الاسم فقط وهذا لايصح ثم وجود هؤلاء وأولئك في أرض واحدة تقريباً ثم ماصار لكلٍّ منهم من شأن ومجد ، إذَنْ كل هذه توقعات وظنون لا يجب الأخذ بها والاعتماد عليها إلا في حالة غموض الأمر تماماً . ولكن النسب الذي هو الدليل القاطع لحسم مثل هذه المسائل والذي لا أظنه مبنياً على توقع أبداً يخالف هذه

التوقعات الآنفة الذكر ومن خلط بين الهزازنة وبني هزان لو أراد معرفة الحقيقة واختصار الطريق ونظر بِتَمعُّنٍ في نسب كل منهما لاتضحت له الرؤية وعرف الحقيقة الناصعة أي أنه يجب أن يبدأ بهذه المسألة من جذورها وأساسها لا من فروعها وتشعّباتها .

الثانية : السنون والدهور التي مرت على وجود بني هزّان وسيادتهم في ذلك الوادي ومرور المنطقة بحقب من الزمن سادت فيها الفوضى والحروب والكوارث والجهل كل ذالك وغيره جعل بقايا هذه القبيلة العريقة يجهلون إلى حد كبير نسبهم الحقيقي وتسلسله ثم ما تحَقّق للهزازنة فيما بعد ــ أي مانسْتطيع تسميته العصر الحديث ــ من شأن ومجد وسؤدد جعل بعض بقايا بني هزان يتعلقون بالهزازنة وهو جهل منهم فقط بنسبهم الحقيقي .

وخلاصة القول علاوة على ماذكر حقيقة مبسطة أخرى توضح الأمر أكثر لمن جهله ، وهي هل يصح أن ننسب بني هزان القبيلة إلى الفرع المتفرع الصغير نسْبيًّا وهو (البدور) ، الذي تتفرع منه أيضا أسرة الهزازنة ؟ أو هل يجوز أن نخطىء هذه الحقيقة فنلغي التسلسل المعروف والمدون لنسب الهزازنة لكي نزجَّ بهم عشوائيًّا وبدون قيد أو شرط في بني هزَّان بحجة تشابه الاسم ، إذن لابُدَّ لمن خلط بينهما أن يكون آخذاً بإحدى هاتين الطريقتين الخاطئتين .

وزيادة في الإيضاح فإن الجدَّ الأول للهزازنة وهو مسعود بن سعد بن سعيدان . . قد قدم من بلدة حَرْمة في سُدَير ، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وهذه حقيقة معروفة لاتقبل الجدال ، ثم تمكن ابنه رشيد من انتزاع السلطة في نعام في قصة معروفة ومتداولة يطول ذكرها ، وأقرب مايكون إلى الهزازنة نسَباً هم آل عسكر أصل المجمعة فهم جميعاً من البدور .

أما تفصيل الهزازنة ومن يشملهم هذا الاسم فهم :

١ ــ آل عبدالله .
٢ ــ آل تركي .
٣ ــ آل ناصر .

٤ ــ آل مشاري المقيمين الآن بمكة وهم رهط الشاعر الشهير محسن الهزاني .
٥ ــ آل فيصل .
٦ ــ آل زومان .
٧ ــ آل ماجد أهل الأحساء .
٨ ــ آل هلال أهل نعام .

هؤلاء هم الهزازنة المعنيُّون بهذا الاسم وإذا ألحقنا بهم أحداً فهم آل سعد .

نعود لسرد باقي أسر الحريق :

آل خثلان من الجبور من سبيع .

آل الكُثْرَان من بني لام من طيء .

الشبانات من قحطان وأظنهم من آل عفالق ، ومن الشَّبانات آل جَدُّوع ، وآل عشوان .

آل سليمان من عائذ العدنانية .

آل رزق أو (آل رزوق) من بني خالد .

آل الشيخ من أسرة آل الشيخ المعروفة من وهبة تميم والموجود منهم في الحريق يعرفون عند انفرادهم بآل حمد بن حسين نسبة إلى الشيخ حمد بن حسين ابن محمد بن عبدالوهاب عليهم رحمة الله .

آل مسعد من النّبطة من سبيع وأيضا آل وطبان نبطة .

آل دغيم من سبيع ــ أبناء عمهم في المزاحمية .

آل هويدي من آل حسين من الأشراف .

آل عمر من الأشراف .

آل عميرة وآل سعيّد من تميم .

آل حوتان من العبادل من تميم وهم أبناء عم للذين في نعام والحوطة .

آل سهل وآل شقران من الشثور من زعب (؟) .

آل حنتوش من الهضيبات من سبيع .

آل فرحان من الهضيبات من سبيع .

آل قويزاني من الشماسات من سبيع .
آل عشبان من المصارير من الدواسر ولهم أبناء عَمٍّ في الخرج .
آل زامل وآل دَرىَ وهم من بني هزان القبيلة المشهورة .

أما بلد المفَيْجر فجل سكانه آل حسين من بني الأخيضر من الأشراف .

ومادمنا في سياق الحديث عن أسر الحريق فهذه أيضاً أسر بلد نعام القريب من الحريق :

آل عثمان من بقايا بني هزان القبيلة المشهورة والوارد ذكرها في كتب الديار وآل عثمان أقدم السكان الحاليين في ذالك الوادي حسب ما يتناقله الناس هناك ومرجح ذالك جدًّا ، فلقد كان أجدادهم يعيشون سابقاً في مكان يقال له الغابة مكان قديم وهو قريب من البلد نفسه وهذا مما يؤكد وجود بقايا لقبيلة بني هزان في ذلك الوادي حتى قبل وجود القواودة ثم الهزازنة بعدهم . وآل عثمان كانوا عدة أشخاص في الغابة ولا يعرف من أين جاؤوا ومَتىَ ، بعكس جميع الأسر تقريباً فمعروف زمن ومكان قدومهم . وهذا مما يدل على قدم هؤلاء وأنهم من بقايا بني هِزَّان المشهورين ، وقد ذهب شخص منهم - أي آل عثمان - إلى بلد المزاحمية لطلب الرزق أو لغيره ويدعي رشيد بن حسن وسلالته باقية في المزاحمية إلى الآن ويعرفون بآل هزان الآن ، وهم يحسبون اسمهم هذا نسْبة إلى هزازنة الحريق أما علاقتهم بأبناء عمهم في نعام فهي شبه منقطعة وربما كان السبب اختلاف ظاهر اسم كل منهم ثم جهلهم بهذه الصلة الأكيدة .

آل ذوَّاد من القواودة من بني عامر من سبيع ، وهم سلالة القواودة الذين حكموا وادي نعام رَدْحاً من الزمن حتى سنة ١٠٤٠هـ بداية سلطة وإمارة الهزازنة هناك .

آل هلال من الهزازنة أهل الحريق الذين سبق الحديث عنهم .
آل عجلان من المطارفة من عنزة .
آل حركان من المدارية من سبيع .
آل فارس من العرينات من سبيع .

حـــول كتـــاب :

الخطيئـــة والتكفـــير

[نشرت جريدة « الرياض » في العدد ٧٠١٨ تاريخ ١٧ محرم ١٤٠٨هـ مقالاً للأستاذ صالح بن عبدالرحمن الصالح بعنوان (جدل الفكر المعاصر في المملكة العربية السعودية) وحيث أن مجلة « العرب » قد تحدثت عن كتاب أثار جانباً من ذالك فانها ترى في نشر مقال الأستاذ صالح وَصْلاً للحديث .] :

قبل سنتين صدر عن نادي جدة الأدبي كتاب أحدث من الدَّويِّ في ساحتنا الثقافية ما لم يحدثه كتاب آخر ، وتناولته الصحافة والمنابر بالنقد والتعليق ، ولم يبق مجلس دار فيه حديث ثقافي إلا وظهر من يسأل ماهي (البنيوية) ؟ أو يصيخ السمع لما يدور عنها ، أو عن الكتاب الذي أعلنها منهجا في النقد ومضى في اقتراحها ، وكأنه لم يسبق قبل عام ١٤٠٥هـ أن وجد شيء اسمه (البنيوية) . الكتاب هو « الخطيئة والتكفير » من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج

آل حوتانِ من العبادل من تميم .
آل شعلان من العبادل من تميم .
الروافع من المشاعيب من السهول .
آل فراج سهول .
آل ثواب من العصمة من عُتيبة .
المصاري من جميلات عنزة .
آل ادريس من عائذ أقاربهم في الحوطة .
آل منيع من آل غملاس أهل الخرج من المصارير من الدواسر .
العقيلات من العقيلات أهل الحلوة وهم من بني خالد .
آل شديد من آل ادريس من عائذ .

هذا وأرجو أن أكون موفقاً في ذالك .

الحريق : أحمد بن علي آل سليمان

إنساني معاصر يقع في ٣٧٩ صفحة من القطع الكبير لمؤلفه الدكتور عبدالله محمد الغذامي .

وعبدالله الغذامي من مواليد مدينة عنيزة بمنطقة القصيم عام ١٣٦٥هـ تلقى تعليمه حتى الثانوي هناك ، وحصل على الليسانس من كلية اللغة العربية بالرياض/جامعة الامام محمد بن سعود حاليا ، ودرس الماجستير والدكتوراه في بريطانيا ــ جامعة اكستر ــ وكان تخرجه سنة ١٩٧٨م واطروحته العلمية كانت عن أحمد بن جعفر بن شاذان ــ ت ٦٢٠هـ تقريبا ــ وكتابه « أدب الوزراء » ــ دراسة عن شخصيته من خلال لغته ــ والآن يعمل بدرجة أستاذ للأدب والنقد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ــ جامعة الملك عبدالعزيز ، ونائبا لرئيس نادي جدة الأدبي الثقافي .

وقد عرفت الغذامي أول ما عرفت من خلال أول بحث نشر له في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية/ جامعة الملك عبدالعزيز بعنوان : « الشعر الحر والموقف النقدي حول آراء نازك الملائكة » المجلد الأول ١٤٠١ ــ ١٩٨١م .

وقد شاكسته حينها في ذلك البحث من خلال جريدة « الجزيرة » مشاكسة انعقدت بعدها بيننا صحبة لا تنفصم .

والكتاب الذي بين أيدينا هو أول كتاب يصدره وكان ثمرة تفرغ علمي مدة سنة قضاها في الولايات المتحدة الامريكية (جامعة بيركلي) بين عامي ٨٣/١٩٨٤م وفي يناير ١٩٨٦م حصل بمقتضاه على جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في العلوم الانسانية ، وبعد هذا الكتاب توالت مقالاته في الصحف ، ومحاضراته في النوادي الأدبية ، ومؤلفاته في الاتجاه الذي حاول أن يؤسس له في هذا الكتاب .

والغذامي بعد هذا رجل على غير قليل من اللباقة ودماثة الخلق ، والقدرة على اظهار التواضع ، ولكنه في المقابل متحدث بارع ، يعرف كيف يحافظ على العلاقة مع الخصوم وفي الوقت نفسه كيف يصادر الآراء ويفرغ الحجج من مضامينها ، رجل لا يمكنك إلا ان تعجب به ، وبقدراته برغم ما يسم طريقته في النقاش من

زئبقية ، وأسلوبه في النقد من ليٍّ عنق النصوص ، ولعلها قدرة اكتسبها من (بارت) الذي أوجد له ولكثيرين غيره مندوحة من عبء (التمركز المنطقي !!) .

ـ لنا وقفة مع بارت من خلال كتابه : الدرجة الصفر للكتابة .

في كتابه « الخطيـة والتكفير » يستخدم الغذامي منهجا يسمه بالالسنية (من البنيوية إلى التشريحية) بهدف بناء (الشحاتية) من خلال ما خطه قلم حمزة شحاتة من شعر ، أو نثر يرقى إلى درجة (القول الشعري) ص ٨٩ ليعلن في الختام ان الدراسة تمخضت عن نموذج دلالي لادب حمزة شحاتة يقوم على ثنائية (الخطيئة/ التكفير) ص ١٤٨ .

وحمزة شحاتة (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢) واحد من جيل رائد منه الجاسر ، والعواد ، وعبدالله عبدالجبار ، والسباعي ، والجهيمان والمسلم والفلالي ، وهو الجيل الذي قاد أول حركة للفكر والأدب في المملكة ، وشق طريقا في اتجاه المضامين الإنسانية يتجاوز جلبة الألفاظ ، وفي نفس الوقت يرقى على العامية ، وذلك من خلال اتصاله بحركة احياء التراث في العالم العربي ، وبمدارس مثل الديوان ، وأبولو في مصر .

تشير المصادر إلى مخطوطة شعرية بعنوان « شجون لا تنتهي » صدرت للشاعر عن مطبوعات دار الشعب/ القاهرة ١٩٧٥م .

وفي عام ١٩٧٧ تم جمع أول مقالات يوحد بينها موضوع واحد ، وقام عبدالله الماجد باصدارها عن طريق داره ـ دار المريخ للنشر بعنوان : حمار حمزة شحاتة .

وسنة ١٣٩٧هـ كتب عنه عزيز ضياء رسالة بعنوان « حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف » صدرت عن دار الرفاعي ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة برقم (٢١) .

وفي عام ١٤٠٠هـ أصدرت تهامة مجموعتين من مقالاته أولاهما : « رسائل إلى

ابنتي شيرين » وثانيتهما : « رفات عقل » بعد ان جمع الأخيرة عبدالحميد مشخص . ثم أردفتهما تهامة بعد ذلك بسنة بمحاضرة له عنوانها : « الرجولة عماد الخلق الفاضل » كان قد ألقاها في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ في جمعية الاسعاف الخيري بمكة المكرمة .

وقد أشار الغذامي إلى كل هذه المصادر .

أما شعره وقد ظل بمنأى عن الجمع فهو إما مفقود وهو أكثره ص ٦٩ عزيز ضياء ، وإما بين اصدقائه ومعارفه . أو في حضانة بالصحف التي نشر بها ، أو في بعض التراجم (ينظر مرصاد الفلالي ص ٩١ النادي الأدبي بالرياض) .

ويكاد يجمع كل من كتب عن حمزة شحاتة أو تناوله ولو بالحديث الشخصي على ان شحاتة كان شاعراً متميزاً حتى لقد تردد بشكل متواتر عند مقارنته بالعواد ان العواد كان مفكراً والشاعر حمزة شحاتة .

من أهم ماقرأته نقداً لكتاب « الخطيئة والتكفير » ثلاث دراسات :

الأولى للدكتور نعمان عثمان بعنوان (جواد فاره ــ عربة أصيلة) في البدء تناول من خلالها ظاهرة ما لقيه الكتاب من اهتمام الصحافة ولم يجد له جوابا إلا ان ما نعيشه فكريا مما يمكن مقارنته بعهد النشوة بالنسبة للتصنيع في أمريكا اللاتينية ــ التي تحولت إلى كابوس فيما بعد .

ثم لما تفحص المنهج الذي خصص له المؤلف الربع الأول من الكتاب (وهو القسم النظري) توصل إلى ما خلاصته : ان الغذامي يستعرض بعض نقاد البنيوية ويشير في أماكن متعددة إلى تعريفات مقبولة للبنيوية مثل تعريف (بياجيه) إلا انه يزج مع ذلك شتاتا لا توافق فيه مثل كلام القرطاجني على اللغة ص ١٦ ، ١٨ .

أما التشريحية فبالرغم من ان المؤلف يقول بتشريحية(بارت)التي يفضلها على تشريحية (ديريدا) فان التشريحية التي اعتمدها خاصة في تحليل أبيات الحكمة

لزهير بن أبي سلمى ـ الميزة المحتسبة للكتاب ـ كانت تشريحية (ديريدا) التي تضع النصَّ على المشرحة ، في حين ان (بارت) يصر على ان البنيوية هي على الدوام نشاط واسلوب قراءة مفتوحة وليس منهجا أو طريقة ، ويخلص من كل ذلك إلى ان المنهج الذي اتبعه الغذامي يجمع اشتاتا من آراء لكتاب مختلفين مثل أفكار (ينج) في الشعور الجمعي و (فراي) عن الرموز الإنسانية والنماذج و (ستراوس) في دراسته لبعض الأساطير ، الأمر الذي يجعل تحليل الغذامي لحمزة شحاتة مناقضا لكثير مما تحاول البنيوية والتشريحية طرحه مثل موت المؤلف ، واستقلالية النص .

وعن الجانب التطبيقي يمضي الدكتور نعمان فيقول : ينجح الدكتور الغذامي في كتابة سيرة لحمزة شحاتة مستعينا ببعض من شعره استعانته بآراء زملاء وأصدقاء وأفراد أسرة الشاعر ، وعندما يخلص إلى ما يسميه نموذجا تكون فيه المرأة (عذاب/ رحمة) لا نجد في النصوص ما يدعم فكرة النموذج ، وأنما هي فكرة أمليت املاء ، أما المرأة ودورها في النموذج كوسيلة وهدف للاغراء فان ذلك نظرة مجتمعية تقليدية لا شأن لها بتشريح أو تحليل نص أدبي .

وفي الختام يتساءل الدكتور نعمان لماذا لا نستورد سيارة المنهج جاهزة ؟ ويسارع فيجيب : كيف يكون لها قيمة ان لم يسبقها تمهيد للطرق وايضاح للاتجاهات ونكون على معرفة بتشغيلها وادارتها وصيانتها وربما نستطيع حينئذ ان نخترعها ـ انظر جريدة الرياض عدد ٦٤٥١ في ١٤٠٦/٦/١١هـ ـ .

الدراسة الثانية للدكتور يوسف شُلْحُدْ وقد أعدها بناء على طلب من أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر .

وقد تحدث فيها عن الغموض الهائل في المقدمة النظرية بسبب :

١ ـ أن المؤلف يحاول ان ينقل دفعة واحدة للقاريء العربي ما كان قد تلقاه نظيره في الغرب على مراحل .

٢ ــ كونه ذكر من كبار المؤلفين من تحتاج دراستهم إلى مزيد من العناية والتعمق فهو مثلا يكتفي باشارات خاطفة إلى ركن من أركان البنيوية ، وهو الأستاذ (ليفي ستراوس) .

٣ ــ كونه يترجم عن الانجليزية ترجمة تكاد تكون حرفية .

٤ ــ أما النصوص المكتوبة بالفرنسية فانه يترجمها أيضا عن الانجليزية .

٥ ــ كونه لم يفرد مسرداً بالمصطلحات الفنية مع نظائرها باللغة العربية ليسهل فهمها على القاريء مما أدى إلى ان تأتي العبارة متقلقلة وأحيانا مخطئة .

وللتدليل على هذا الاضطراب نجد الدكتور شلحد يورد عدداً من الأمثلة :

ــ مصطلح (السياق) الذي جاء بمعاني مختلفة من بينها ما ينقله عن (ياكبسون) من ان السياق (هو الطاقة المرجعية التي يجري القول فوقها فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها ــ ص ٨) ليس هذا فحسب وانما أيضا دون ان يذكر نص (ياكبسون) بالانجليزية ، أو يذكر المرجع ، خصوصا وان هذا التعريف لا يوجد في مقال (ياكبسون) الالسنية والشاعرية .

ــ ما ينقله عن (بياجيه) عندما يقول : ولكن (بياجيه) يطرح تعريفاً (للبنيوية) يكاد يشفي غليل كل متطلع إلى تعريف محدد ، وذلك حين قال : ان البنية تنشأ من خلال (وحدات) تتقمص أساسيات ثلاثة هي : (١) الشمولية ، (٢) التحول ، (٣) التحكم الذاتي ، (ص ٣١) ممّا لا يغدو معه أي معنى لهذا القول (تتقمص أساسيات) ذلك ان العلامة السويسري يقول بعد شرح وجيز ما ترجمته (وعليه ان للبنية ثلاث خصائص تمتاز بها وهي : الاجتماعية ، التحول ، الضبط الذاتي) وليس في تعريف (بياجيه) إشارة إلى وحدات سابقة للبنية .

ــ ترجمته لمصطلح (التزامن) بـ (الآنية) وإحجامه عن تعريف (سيميولوجي) بعلم الاشارات مع أنه قال عن اللغة انها نظام من الاشارات ص ٢٩ .

ـ تقديمه حيناً الابداع اللغوي على الحساسية المرهفة وعلى المعنى ص ٩٥ كما تراه المدرسة الاسلوبية ، وحيناً آخر الحساسية على الابداع اللغوي ص ١١٤ ، والمعنى على المبني ، والنثر على الشعر عندما يذهب إلى أن رسائل حمزة شحاتة هي أعظم ما ترك لنا ، وذلك لشدة صدقها وأمانة الكلمة فيها ص ١٥٦ .

ـ تناوله (للسيميولوجية) بعد (البنيوية)بالدرس والتحليل ص ٤١ ثم انكبابه على التشريحية ص ٥٦ ، وكلامه عن المفكر الفرنسي (بارت) وشرحه لمباديء مدارس النقد الألسني (التي ترتكز على النص وتنطلق منه مثلما تتجه إليه ، ص ٨٥ ، ليعود بعد ذلك فيقوم بتحليل طويل لفلسفة النموذج (١١٨ ـ ١٥٢) يتساءل فيه عن وظيفة القراءة (وهل يجوز لنا فنيا وخلقيا ان تستقريء من نص ما غير ظاهر معناه ؟ ص ١١٩ ليستخلص ثنائية أدبية أولى : آدم / حواء ، حب/ خوف ، شفقة/ خضوع ، خطيئة/ تكفير .

بعد هذا يعود شلحد ليؤكد انه اذا كان الغذامي قد استغل مفهوم (صوتيم) فانه لم يعمل به دائما ، مع ان ما يقوله عن الوحدة الشعرية لا صلة له بوضعية (الصوتيم) فها هو (ستراوس) عندما درس الأسس البدائية استعار كلمات القرابة لتقوم مقام (الصوتيم) في العلاقات الالسنية .

ـ وملاحظة ثانية : وهي أن المبدأ الثنائي الذي يأخذ به الغذامي لا يسلم به جميع علماء اللغة ، كما في بحث (ستراوس) نفسه عن « المثلث الطعامي » .

وأخيراً يشير الدكتور شلحد إلى أن الغذامي إذ يذكر ان شخصية الشاعر وحياته لا محل لهما في النقد الالسني الحديث إذ به يستكشف جوانب حياة شحاتة ليفسر أعماله ومنها معرفة بعض الحقائق عن هذا الشاعر الفذ أكثر من جميع ماقاله الغذامي استناداً إلى مباديء الالسنية ـ تنظر مجلة « العرب » ٨/٧ محرم/ صفر ١٤٠٧هـ ـ .

الدراسة الثالثة للأستاذ عابد خزندار وفيها يعقد مقارنة بين فصول كتاب الغذامي وفصول كتاب نورثروب فراي ـ « تشريح النقد » لينفي من خلالها ان

يكون كتاب الغذامي نسخة من كتاب (فراي) التهمة التي وجد البعض فرصة للنيل بها من سمعة الغذامي بسبب تشابه ــ وقع بالمصادفة بقصد أو بغير قصد ، من المطبعة أو من غير المطبعة ــ بين غلاف الكتابين ــ تنظر جريدة « عكاظ » عدد ٧٦١٥ في ١٤٠٧/٩/٧هـ ــ .

بهذه الأهمية التي أعطيت للكتاب نستطيع القول ان الدكتور الغذامي بالنسبة للساحة الثقافية السعودية هو أول من لفت الأنظار إلى البنيوية كمنهاج للبحث والنظر ، وان كانت بعض عناصرها قد دخلت منذ الستينات مع بعض المؤلفات النقدية ، ومع مرحلة الانتشار الأدونيسي ، وبعض طروح الحداثة ، وكذلك مع مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وشخصيا فانني اعتبر أدونيس ممثلا ابداعياً للالسنية لغة ، وأدبا ، حتى على الصعيد الفلسفي .

غير ان دخول البنيوية من خلال كتاب الغذامي إلى ساحتنا الثقافية يجيء متأخراً نحو عشرين عاماً عن الفترة التي شهد ازدهارها في البيئات التي أفرزتها ــ خاصة في فرنسا ــ حيث لم يقدر لها ان تعيش عمراً طويلاً فما هي إلا سنوات حتى آفل نجمها كعلم أوهم بالانضباط والقدرة على تقديم معرفة بديلة بالإنسان .

ونستطيع في هذا المجال ان نذكر تطبيقات لهذا المنهج تمت على أيدي أساتذة أفذاذ من مثل :

التراكم على الصعيد العالمي للدكتور سمير أمين .

الاستشراق لادوارد سعيد .

الثابت والمتحول لاودنيس .

نظرية الدولة لـ (نيكولاس بولانتزاس) ترجمة ميشيل كيلو .

نقد العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري .

جدلية الخفاء والتجلي للدكتور كمال أبو ديب .

فإنه لم يبق لهذه التطبيقات (منهجاً وممارسة) إلا ما له صلة بالشرط التاريخي ، الذي جهدت (التقويضية) في ان تقفز عليه .

(انني هنا استخدم (التقويضية) بدلا من (التشريحية) حسبما ذهب إلى ذلك د. ميجان الرويلي في محاضرته بالنادي الأدبي بالرياض ــ تنظر جريدة الرياض عدد ٦٧١٠ في ١٤٠٧/٣/٤هـ ــ وعلى أساس ان تشريحية (فراي) ليست من البنيوية أو من تشريحية (ديريدا) الفلسفية في شيء . فتشريحية فراي تحليلة (استقراء/ استنتاج) أما تشريحية (ديريدا) فمقولة مضادة لما تطلق عليه (وهم التمركز المنطقي) الذي هو في النهاية ما نعنيه بحقائق التاريخ والوجود الموضوعي) .

ويتساءل البعض هل نستطيع القول عن (بنيوية اجتماعية) ليتسنى بالتالي افتراض بنيوية ثقافية يتوجب البحث عنها ؟ واذا قلنا ببنيوية اجتماعية فما هو (صوتيمها !!) ولا يسعف الجدل أحداً . لا على مستوى بلادنا ، ولا على مستوى أي بلد عربي أو أي بلد من بلدان العالم الثالث ، فانها مجتمعات لاتزال في طور التَشَكّل والنمو وتحتاج إلى زمن حتى تتضح قسماتها ، وتأخذ شكلها الواضح والمحدد في بنية العالم الحديث .

اذن كيف وَجَدَتَ البنيوية (بمفهومها الالسني) هذا المناخ لتصبح حديث الثقافة ؟

منذ ما يقرب من عشرين عاماً دخلت بلادنا السعودية مرحلة من التنمية ، نجم عن التنمية طفرة هائلة ، بقدر ما كانت ايجابيات الطفرة كانت متاعبها ، المتاعب دائماً تبحث عن حلول ، الحلول تحتاج إلى مناهج ، وليست هناك مناهج جاهزة يمكن (ابتياعها) وانما هناك رصيد معرفي انساني ، من هذا الرصيد منهج اسمه (البنيوية) ولو فتشنا فيما اتبع من أساليب ادارية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وتعليمية خلال العشرين سنة الماضية لاكتشفنا ملامح للاتجاهات

البنيوية كما هي ملامحها في الثقافة ــ الثقافة مرآة ــ .

من هذه الفروض نستطيع ان نتلمس الجواب على سؤال كهذا بصرف النظر عما إذا كان الغذامي قد هضم النظرية قبل ان يبسطها أم لا ، نجح عندما حاول أن يبسطها بعد انتزاعها من سياقاتها المرجعية أم لا ؟ انه حسم حتى يتجاوز درجة الافتراض يحتاج إلى ان يدعمه العلم من خلال بحوثه المتخصصة في اللغة والاجتماع والاقتصاد والطرائق المتبعة في كل ذلك ، وهو ما نأمل ان تسهم بقسطها الوافر فيه جامعاتنا السبع من خلال كلياتها المتخصصة وعلمائها النابهين ، ولنا في انضباط المنهج الاكاديمي وأعرافه الراسخة ما يوفر مناخاً هادئاً لانجاز مشروع مهم كهذا له القدرة لا على التشخيص فحسب ، وانما أيضاً على اقتراح الحلول المرحلية لمشاكلنا المرحلية .

لقد ظهر هذا المنهج (بمفهومه البنيوي) أول ما ظهر من خلال أبحاث (سوسير) اللغوية ، وهنا نؤكد على (مفهومه البنيوي) لانه مفهوم التماسك موجود منذ ان وجد أول نظام معرفي (ينظر فؤاد زكريا ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الأولى ١٩٨٠م) فالبنيوية اذن كنسق صوتيمة (المدار المقفل) ــ في تزامنه ، وتعاقبه تنظر يمنى العيد ص ٣٢ في معرفة النص هو الشيء الذي ظهر بظهور كتاب العالم السويسري (فريدناند دي سوسير) عن « علم اللغة » منتصف العقد الثاني من هذا القرن ، ومع الشكلانيين الروس اقتحم ميدان الأدب في العشرينات غير انه (لم يبلغ ذروته من حيث هو اتجاه فكري وفلسفي إلا في السنوات الأخيرة من الستينات ــ الجذور الفلسفية للبنائية لزكريا) .

من هذه المقدمة نكون بازاء أمرين أولهما : الغذامي وكتابه ، وثانيهما : البنيوية .

وقد رأينا بالنسبة للأمر الأول طرفاً من شهادات من نعتبرهم من أهل الاختصاص ، واذا كان لنا ما نضيفه في هذا المجال فهو أن تلك الشهادات قد

ركزت على تقنيات البحث أكثر مما هي على الخيط الذي ظل واضحاً برغم ما لفه من الغموض ، نعني بذلك التوجه البنيوي للكتاب .

ونقطة ثانية هي هذه الموضوعة (موت المؤلف) التى لا أدري كيف فهمها السادة النقاد ومعهم الباحث نفسه ، ذلك ان هذه الموضوعة مما يتصل بمفهوم (الدرجة الصفر للكتابة) عند بارت . . ينظر الهامش ص ٣١ الدرجة الصفر ترجمة محمد برادة ط ٣ ، وليست مما يتصل بمفهوم (الخارج/ الداخل) الذي يتسنى علاجه في اطار مفاهيم (النسق/ التزامن/ التعاقب) البنيوية .

والآن لنتخيل ان الغذامي اعاد صياغة كتابه مستفيداً من كل الملاحظات الواردة والتي لم ترد عليه ، وأنه لم يبق مما قاله شحاتة أو خطه قَلَمُهُ أو علمه اصدقاؤه عنه أو احتفظ في سره . . . واستنطق كل هذا استنطاقا بنيويا ، على أساس ان ما نحن بصدده (نص انساني) وليس نصاً أدبياً ، هل بوسع منهج كهذا أو ممارسة نقدية بهذا المنهج ان تنقذه من الثنائية المطلقة ؟ التي يحيل بها هذا المنهج ــ ومن خطوط التوازي التي لا تتقاطع بين (الصورة والحقيقة) الصورة القابلة للتشويه والحقيقة القابلة للادراك ، سواء كانت هذه الثنائية هي (الخطيئة/ التكفير) بوصفها الرمز الدلالي للشحاتية ، أو أي ثنائية أخرى قد تظهر ، ولكن يبقى البحث أكبر شاهد عليها .

هذا عن الأمر الأول ، أما عن الأمر الثاني فنفهم من قراءاتنا ــ نحن الذين لا نحسن النطق بغير العربية ــ ان البنيوية أجلى صيغها منهج يعني بالظاهرة (موضوع البحث) نصاً كان ، أو فرداً ، أو مجتمعاً ، أو قضية فكرية ، أو كونية ، يقوم بعزلها عن مرجعيتها ـ عندما تكون هذه المرجعية هي الخارج بكل دلالاته ــ بحيث لا يبقى أي تأثير على ما يجري استنطاقه من داخل/ النص/ الظاهرة/ الموضوع . . في مسعى للبحث عن انساق كلية للعالم انطلاقاً من معطيات اللغة لا معطيات غيرها من اقتصادية ، اجتماعية ، بيئية ، ثقافية ورجال عظام . ←

سلع مرة أخرى !

إلى الأستاذ حمد الجاسر :

قرأت ماتفضل به الأستاذ حمد الجاسر من تعليق فى جريدة « الشرق الأوسط » بتاريخ ١٩٨٧/٥/١٦ على ما كنت كتبته فيها في ١٩٨٧/٤/١٩ عن (سلع) وأين هي ، وكنت توخيت فيما كتبته ان ــ أبين قدر الامكان ــ ماهي سلع وأين هي . ولم يكن غرضي الأول أن أبحث هل هو ابن السليماني أو ابن البيلماني ، أو أن أذكر قائل الشعر الذي غنت به حَبَابة مادام ان القصد في إيراد الشعر والحكاية هو الاشارة إلى ان سلعاً مبنية بالحجارة . ثم ان قول الأستاذ حمد الجاسر عن مهيار

ومنهج بهذه الصورة هو من الاغراء بحيث لا تتكشف نقائصه إلا مع التطبيق عندما يأتي نسفاً لما عليه الواقع الذي لا يقوم بغير الانسان ، وما ينسجه هذا الانسان من تاريخ .

ومجمل القول أنه لو قدر للبنيوية أن تصوغ فكر العالم ــ وهو الأمر غير الممكن ــ لأدخلته في سرادق مظلم .

بقي أن أنوه بميزة أحسب انها مما يعد من حسنات الكتاب وهي النزوع في أكثر من مناسبة لربط ما ينقله عن البنيويين بموروثنا النقدي عندما يلفت النظر لقول ورد عند الجرجاني ، أو عند حازم القرطاجني أو غيرهما ثم يقارنه ، أو يمهد به لما ورد عن (ياكبسون)أو عند بارت . . . (تنظر الفهارس) .

وأخيراً أقولها صادقاً وبتجرد لو لم يكن من هذا الكتاب إلا أنه فتح الباب مشرعاً بهذا العرض للحوار لاستحق عليه أكثر من جائزة ، ومن بعد فيبقى لما ينفع الناس أن يمكث في الأرض .

صالح بن عبدالرحمن الصالح

الديلمي وعمر بن الفارض انهما تغزلا بسلع من قبيل تقليد الاقدمين أو المتقدمين بما يحنون إليه من معاهد الاحباب ومواطنهم ، ولكن هل يقف الأمر عند حد التقليد والمحاكاة إذا لم تكن سلعاً مما يتغنى به ومما هو أهل للتغني به سواء من حيث الموضع نفسه أو من حيث الذكريات عن ذلك الموضع ؟

أما القول عن ابن السليماني (أو ابن البيلماني) بانه لا صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة إلى طريق الشاعر ، كما قال الأستاذ حمد الجاسر ، ففيه نظر ، لأن المنتقل من اليمامة كان يذهب إلى البصرة أو الكوفة فإذا اراد بلاد فارس قطع الفرات والدجلة وإذا أراد بلاد الحجاز لم يمر بالمدينة بل مر بسلع أولا ، وإذا أراد المدينة أو مكة كان يتحاشى المرور في الصحراء لأن الصحراء كانت مخوفة ، وأرى أن ابن السليماني مر وهو مأسور بسلع الشام . والدليل على ان الطريق من العراق إلى الحجاز كانت مخوفة ، ولاسيما بين البصرة ومكة ، ان المنصور العباسي ارسل شبيب بن شبة إلى البادية لما كثر قطع الطريق بين البصرة ومكة بسبب غزوات أهل البادية ، وأوصاه بأن يمر في مناهل المياه على الطريق ويؤنب أهلها ويوبخهم على أعمالهم ويردعهم عنها . ولم تكن أعمال أهل البادية في قطع الطريق هذه أمراً جديداً ، بل كانت متمادية من قديم الزمان ، ورأيي أن ابن السليماني سار إلى المدينة عن طريق في الشام إلى الشمال من المدينة ، كما ذكرت في كلمتي الأولى .

والغريب أن الذين علقوا على أبيات الشعر التي ورد فيها اسم سلع لم يعلقوا بشيء يفهم منه أين سلع هذه وما هي ، واكتفى التبريزي في تعليقه على بيت ابن السليماني بالقول : سلع موضع وحكى ان السلع شق في الجبل ، ومنه قيل تسلعت رجله إذا تشققت . ولم يعلق عبدالعزيز الميمني على سلع بشيء عند ايراده اشعار الشنفرىٰ في كتابه (الطرائف الأدبية). وقال محمود محمد شاكر في تعليقه على قصيدة للاحوص ورد اسم سلع فيها في «طبقات فحول الشعراء» ان سلعاً جبل بسوق المدينة . ولم يعلق عبدالعزيز الميمني بشيء على سلع في تعليقه على (الحماسة الصغرى). وهذا غريب ان يصدر عن رجال قطعوا العمر في قراءة الأدب واللغة والشعر . وهذا مع الأسف شأن الكثيرين .

وأقول انه مادمنا في تحقيق ما هو (أو ما هي) سلع وأين موضعه (أو موضعها) فالأجدر بنا ان نأتي باقوال تساعدنا على هذا التحقيق لا ان تبعدنا عنه . ولهذا أعود إلى البحث الاصلي عن سلع ، واقول ان سلعاً موضع يقال له الآن وادي موسى في الأردن ، ويقولون عنه هناك (البتراء) جهلا بالاسم الحقيقي ومحاكاة للاسم (بيترا) الروماني . وقد ذكرت في كلمة سابقة لي اصل التسمية ومعناها ، وذكرت شيئا عن علاقة هذا الموضع تاريخياً . والآن اريد ان ابين ان (سلعاً) هو وادي موسى على الاغلب ، وذلك بالاستناد إلى الشعر العربي . اذكر اولاً ابياتا لهَرِم الغَنَوي أو هي لطفيل الغنوي وردت في الحماسة الصغرى لابي تمام ، وهي قوله .

ألا ابلغْ أبَـا حَفْصٍ رسـولاً ... فدًى لكَ من اخِي ثقةٍ إزاري:
قـلائِـصَـنـا هـداكَ الله إنَّـا ... شُـغلنـا عـنهمُ زمـنَ الحـصـارِ
لمـنْ قُلُصٌ تُـركـنَ مـعـقَّـلاتٍ ... قـفـا سَلع بمـختـلفِ التِّجـار

إلى آخره . ويهمنا من هذه الأبيات : قفا سَلْع بمختلف التجار ، ومختلف التجار هو الموضع الذي يختلف إليه ويتردد عليه اصحاب التجارة . ولا يعقل ان يكون هذا الموضع في غير وادي موسى لان سلعاً كانت معروفة منذ القديم بانها مجتمع القوافل التجارية من الشمال والشرق والجنوب ، وكانت القوافل تتخذها محطة لها .

وأبيات أخرى للاحوص الشاعر في مدح عبدالعزيز بن مروان اخي عبدالملك ابن مروان ، وكان الأحوص من المدينة مثل عمر بن أبي ربيعة .

أقول بعمَّانٍ ، وهـل طربي بـه ... إلى اهل سلعٍ ، ان تشوَّفتُ نافعُ
أصاحِ ألمْ تحزُبْك ريحٌ مريضةٌ ... وبـرق تـلالا بـالعقيقـين لامـعُ
فـان الغريبَ الـدار ممّا يشـوقه ... نسيمُ الـرياح والـبروقُ اللوامـعُ

والذي يهمنا قول الاحوص إلى أهل سلع . وهذا القول يدل على قرب العهد بسلع وأهله . وعمان بعيدة عن سلع بعداً تجعل الاحوص يحن إليها وهو في

عمان . ولابد ان يكون الاحوص عارفا بسلع بني هذيل ان كان في بلادهم سلع . وقد يتبادر إلى الذهن انه كان يتكلم عن سلع وادي موسى ، كما كانت حَبَابة تتكلم عن سلع وادي موسى ايضا حينما غنت بشعر قيس بن ذَريح :

لعمُركَ انّني لأحبُّ سلعاً لرؤيتها ومنْ اضحىٰ بسلْع . . وقال لها يزيد . . ان شئت ان انقل إليك سَلْعاً حجراً حجراً أمرت والاحتمال الأول أنه اراد قرية سلع حينما قال . . تقر بقربها عيني ، والاحتمال الثاني ، وذكره الاستاذ الجاسر ، انه أراد محبوبته لأن عينه تقرّ بالقرب منها ، ولعل هذا الاحتمال معقول وذلك لان يزيد لما قال لها : لانقلنه حجراً حجراً ، قالت . . وما اصنع به ، ليس اياه اردت ، انما اردت صاحبه . وحَبَابة من مولدات المدينة ، وسلع جبل قرب المدينة ، فهل كان قيس بن ذريح يعني هذا الجبل أو جبل بني هذيل أو سلعاً في وادي موسى؟ لقد فهم يزيد بن عبدالملك من الشعر انها تغني سلعاً في وادي موسى ، ولم تنكر هي عليه ذلك . وقيس بن ذريح كان رضيع الحسن بن علي رضي الله عنهما في المدينة .

ولم أجد حتى الآن خبراً موثوقاً به يدل على ان سلعاً جبل في بني هذيل ، فهل لاستاذنا حمد الجاسر أن ينورنا عن ذلك بواسع علمه ومعرفته ، ونحن بالانتظار .

لندن : حسن سعيد الكرمي

مع الأستاذ الكرمي مرة أخرى :

سلع طيبة : أشهر الأسلاع وأذكرها

وللأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي منزلة في نفسي تحملني على الاستمرار في محادثته ، محادثة استفادة واستزادة من علمه الغزير ، وإن كان الموضوع الذي سأتناوله بالحديث قد كثر القول فيه وطال ، حتى مُلَّ ممن يهوى مطالعة المباحث الأدبية والتاريخية ، فضلا عن جمهرة قراء الصحف اليومية الذين قد يوجد من بينهم من يعتبر الحديثَ فيه من فُضُول القول ، إن لم يكن من لغوه .

علق الأستاذ الكرمي في جريدة « الشرق الأوسط » [ع ٣١٣٠ في ١٤٠٧/١٠/٢٨ ص ١٣] على مانشرته هذه الصحيفة مما كتبته في الموضوع ، وملخص ماعلق به الأستاذ في كلمته الأخيرة :

١ ــ عدم قناعته بقولي : بأنه لا صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة إلى طريق الشاعر ابن البيلماني ، وتحدث عن طرق المتنقل من اليمامة إلى البصرة أو الكوفة أو بلاد الحجاز ، وخلص من ذالك إلى القول : بأنَّ ابن السليماني (كذا قال وهذه هفوة من الأستاذ قلد فيها من قبله ، وقد أوضحت فيما تقدم من أحاديث أن الصواب : ابن البيلماني ، صُحِّفَ فصار ابن السلماني (انظر العرب س ٢٢ ص ٥٥٤) مَرَّ وهو مأسور بسلع الشام ــ كذا قال الأستاذ ــ

وتوضيح الأمر هو أن الشاعر ابنَ البيلماني كان قد هجا ابراهيمَ بن عَرَبيٍّ صاحب اليمامة ، وكان هذا الشاعر ذَا صلةٍ بالوليد بن عبدالملك ، يفد إليه بالشام ، وفي إحدى المرات حين عاد من هذه البلاد مَرَّ بالمدينة في طريقه إلى بلاده نجران، ونفوذ ابراهيم بن عربي والي اليمامة كان ذا صلة بالمدينة لما بين واليي البلدين من صلات ، فَأُلْقِيَ القبض عليه فذكر سَلْعاً في شعره ، ولاشكَّ أن سلعا الوارد في شعر ابن البيلماني هو سلع المدينة الجبل الذي يقع في وسطها الآن ، لا سلعا الواقع ببلاد الشام ، ولا صلة بطريق الشاعر ببلاد اليمامة ، فقد قدم من اليمن مارا ببلاد الحجاز إلى الشام ثم عاد إلى بلاده .

٢ ــ استدلال الأستاذ الكرمي بالأبيات الواردة في « الحماسة الصغرى » والتي ورد فيها :

لِمَنْ قُلُصٌ تُرِكْنَ مُعَقَّلاَتٍ قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ

استدلالُه على أن سلعا هو وادي موسى على الأغلب ، استدلال في غير محله ، يوضحه إيراد القصة التي توضح معاني هذه الأبيات وهي كما رواها ابن سَعْدٍ في « الطبقات الكبرى » ــ ٣/٢٨٥ ــ وابن شَبَّةَ في كتابه « تاريخ المدينة المنورة »

ـ ٢/٧٦١ ـ وهذا نصه : (قدم على عمر رضي الله عنه رجلٌ من بعض الفروج فنثل كِنَانَتَهُ فإذا صحيفة فيها :

أَلَا أَبْـلِغْ أبا حَـفْصٍ رَسُـولاً ... فِدىً لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي
فَـمَا قُلُصٌ وُجِـدْنَ مُعَـقَّـلَاتٍ ... قَفَـا سِلْعٍ بِمُـخْتَـلَفِ التِّـجَـارِ
قَلَائِصُ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ... وَأَسْلَمَ أَوْ جُهَـيْنَـةَ أَوْ غِـفَـارِ
يُـعَقِّـلُهُنَّ جَـعْـدَةُ مِنْ سُـلَيْـمٍ ... مُعِيـداً يُـبْتَـغِي سَـقْطَ العِـذَارِ
قَـلَائِـصُـنَـا هِـدِاكِ الله إِنَّـا ... شُغِلْنَـا عَـنْكُـمُ زَمَنَ الْحِـصَـارِ

قال: فقال ؛ أدعوا لي جعدةَ مِنْ سُليم ، فضربه مئة معقولا ، ونهاه أن يدخل على مُغَيَّبَةٍ .

ثم روى ؛ كان جعدة بن عبدالله السُّلمِيُّ يحدثُ النساء ويُخْرِجُ الجواريَ إلى سَلْعٍ يحدثهن ، ثم يعقل الجارية ويقول : قُومي فِي العقال فإنه لَايَصْبِرُ على العقال إلا حصانٌ . انتهى .

فأول الخبر كما ترى (قدم على عمر) ومَقَرُّ عمر هو المدينة ، وسَلْعٌ الجبل الذي فيها بقرب السوق حيث يجتمع التجار ، وسعد بن بكر وأسلمُ وجهينة وغِفَار وسُليم كانوا من سكان المدينة .

٣ ـ أما سَلْع الوارد في شعر الأحوص واستدلال الأستاذ الكرمي بأنَّ المقصود بسلع في ذالك الشعر هو سلع الشام لقرب عهد الشاعر بسلع هذا معللا أن الأبيات في مدح عبدالعزيز بن مروان ـ الذي كان مقيما بالشام ـ ومضيفا إلى هذا قوله : وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان يتكلم عن سلع وادي موسى .

فيتضح خطأُ هذا حينَ ندرك أنَّ الشاعر الأحوص قال تلك الأبيات وهو في عَمَّانَ يتشوق إلى سلع :

أَقـولُ بِعَمَّانٍ وَهَـلْ طَـرَبِيْ بِـهِ ... إِلَى أَهْلِ سَلْعٍ إِنْ تَشَوَّقْتُ نَافِعُ؟

إلى أن قال :

فَإِنَّ الْغَرِيْبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ نَسِيْمُ الرِّيَاحِ والْبُرُوقُ اللَّوَامِعُ

إنه شاعر من أهل المدينة يتشوق إلى بلاده . ومن أشهر اعلامها جبل سلع ، وكيف يتشوق إلى سلع الشام وهو في عَمَّان القريبة من سلع ، وما الذي يربطه بسلع الشام حتى يتشوق إليه وهو مدني ؟!

٤ ــ قول الأستاذ الكرمي : أنَّ يزيد بن عبدالملك فهم من غناء حبابة :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لأُحِبُّ سَلْعًا لِرُؤْيَتِهَا وَمَنْ أَضْحَى بِسَلْعِ

أنها تعني سلعا في وادي موسى كذا يرى الأستاذ ، وهو رأي يمكن قبوله فيما لو كان يزيد بن عبدالملك ذَا جَهْلٍ بسلع المدينة ، البلد الذي عاشتْ فيه جاريته المدنية حَبَّابَةُ التي غنت بذالك الشعر ، وذا جهل بقائله قيسِ بن ذَرِيح المدني ، وذا جهل بمجبوبة قيس التي هي من أهل المدينة ، ولكن أنى لأي عارف بأحوال الخليفة الأموي أن يتصوره بتلك الحالة من الجهل المطبق ؟!!

وخلاصة القول: أن سلعا المذكور في كلمة استاذنا الكرمي الأخيرة هو سلع المدينة ، وكل الشواهد التي أورد تدل على ذالك .

وكما سبق أن اوضحت في كلمة قبل هذه أن الأسلاع كثيرةٌ ، ولكن أشهرها وأذكرها هو سلع طيبة الطيبة ، التي كانت مطمح القلوب ، ومهوى الأفئدة من شعراء عرفوها وآخرون تشوقوا إليها ، فقلدوا بذكر المرابع والمراتع التي بقربها.

اما سلع الواقع في بلاد هُذيل ، فقد أوضحت في كلمتي الأولى التي علقت بها أول ماعلقت ــ على ماكتب ــ موقعه وأوردت الشواهد من الشعر ، ومن سياق خبر مقتل تَأَبَّطَ شَرًّا ، وأنه بقرب وادي نُمَارٍ المعروف الآن ، الواقع جنوب مكة ، حيث ينبغي أن يكون سلع الذي قتل تأبط شرا بشعب بقربه في تلك الجهة .

ابن البيلماني مرة أخرى :

ولا أدري هل من حقي أن أتساءل : لماذا يُصِرُّ أستاذنا على تسمية الشاعر النجراني ـ بـ (ابن السليماني) بعد أن أوضح لنا عالم من بلاد الأستاذ الكرمي خطأ تلك التسمية ، قبل ثمانية قرون ، وقرر أن الصواب (ابن البيلماني) كما تقدم توضيح هذه الكلمة التي ابتليت بالتصحيف في كثير من المؤلفات من أقوال متقدمي العلماء ؟! وقد اوردت فيما سبق الاختلاف في موقع (البيلمان) بين اليمن والهند والسند ، والذي أرى أن الرجل منسوب إلى بيلمان ، وهي بلدة تقع غرب بحر الخزر في الديلم ، بقرب خط الطول ٤٨/٥٥° وخط ٣٧/٣٠° ، كما يفهم مما ورد في كتاب « بلاد الخلافة الشرقية » ص ٢٠٨ و٢٢١ في تحديد موقع (بيلمان) ، وأن أحد آباء الرجل قدم من تلك البلاد البعيدة إلى بلاد العرب فعرف بالنسبة إلى بلدته التي كانت مجهولة لدى من كتب عنه .

ما أكثر ما سمعنا من أستاذنا الكرمي فيما يفيضه من علمه الغزير في برنامجه (قول على قول) تصحيحاً لكثير مما وقع في بعض المؤلفات من أوهام ، إذ الحق أحق بأن يتبع ، وان الرجوع إليه فضيلة ؟!

ومعذرة فقد تأخر هذا التعليق لأنني لم أقرأ كلمة الأستاذ إلا في هذا اليوم (١٤٠٧/١٢/٢) وله مني أطيب تحية . .

جريدة « الشرق الأوسط » في ١٤٠٧/١٢/٢١هـ

حمد الجاسر

كسوتني حلة تبلى ...

نشرت مجلة « الفيصل » [ع ١٦ في شوال سنة ١٣٩٨هـ] بحثا بعنوان (شاعر من السعودية محمد بن عثيمين) بقلم الأستاذ عبدالله بن سعد بن رويشد ، أورد فيه (ص ١١٣) قطعة من الشعر في خمسة أبيات مطلعها :

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ونسبها كاتب البحث للشاعر محمد بن عثيمين ، لأنه وجدها ضمن خطاب بعثه الشاعر للإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ، مؤرخ في ٤ رجب سنة ١٣٤٦ .

ثم جاء مؤلف كتاب « محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز »السيد أحمد أبو الفضل ، فنسب الأبيات للشاعر المذكور ــ ص ١٧ ــ وعند إعادة طبع « العقد الثمين ، من شعر محمد بن عثيمين » المرة الثالثة ــ على نفقة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله السليمان سنة ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ــ أدخلت القطعة في الديوان ــ ص ٥١٠ ــ تأكيداً لنسبتها لصاحبه .

والواقع أن البيت المذكور ـ وقد تكون تلك القطعة ـ لم يُقَلْ في مدح الإمام عبدالرحمن ، لكنه قيل قبل عصر الاثنين بنحو ثلاثة عشر قرنا ، في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ــ قالها أحد الأعراب كما أوضح ذالك ابن رشيق القيرواني (٣٩٠/٤٦٣هـ) في كتابه « العمدة في صناعة الشعر ونقده » وهاهو نص ماذكر ــ ج ١/ص ٢٩ طبعة دار الجيل في بيروت سنة ١٩٧٢م : **ويروى** أن اعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك ، فقال له علي : خط حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على الأرض (اني فقير) . فقال علي : ياقنبر ادفع إليه حلتي الفلانية ، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كَسَوْتَنِي حُلَّةَ تَبْلَى مَحَاسِنُهَا ... فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِيْ ذِكْرَ صَاحِبِهِ ... كَالْغَيْثِ يُحْيِيْ نَدَاهُ السَّهْلَ والْجَبَلَا
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ ... فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

فقال علي : ياقنبر ، أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » .

فأنت ترى أن ابن رشيق المتوفي قبل وجود ابن عثيمين بنحو تسعة قرون قد أورد أول ذالك الشعر . ويظهر أن الشاعر ابن عثيمين اتى به في مقام الاستشهاد ، إذ لايعجزه أن يأتي بنظم يماثله .

أحد قراء المجلة

حـــول كتـــاب :

تاريخ المخلاف السليماني

أتيحت لي الفرصة في الاطلاع على كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » للمؤرخ والكاتب الكبير الشيخ محمد بن أحمد العقيلي ــ هذا الكتاب الذي يعتبر بدون مجاملة موسوعة تاريخ الجنوب ، ولإعجابي الشديد بهذا الكتاب كنت أُدَقِّق في كل كلمة فيه ، ووجدتُ ما أعتقد أنه من الهفوات التي ليس لها تأثيرٌ أو تقليلٌ بمعلوماته ، إنما أعرضها رغبةً في استدراكها خاصة وأن هذا المؤلف مرجعٌ ومصدر هام للباحثين .

١ ــ ورد ص ٣٧٤ : أن اسم الشريف أحمد بن غالب هو أحمد بن غالب البركاتي . .

بينما كتب ومشجرات أنساب الأشراف تشير إلى أنه أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن الحسن بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني . فهو إذَنْ ليس من ذوي بركات الذين نسبتهم تعود في بركات بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني ومحمد بن أبي نُمَيٍّ الثاني انحصر في لقبه حكام مكة من الأشراف إلى عهد موحد الجزيرة العربية المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

٢ ــ وفي نفس الصفحة : ورد أن الذي تولى حكم مكة بعد خروج الشريف أحمد ابن غالب هو محمد بن الحسين بن زيد . .

بينما يشير نَسَّابَة الأشراف الشريف مساعد بن منصور صاحب كتاب « جداول أمراء مكة وحكامها » أن الذي تولى حكم مكة هو محسن بن الحسين بن زيد .

٣ ــ وفي ص ٣٨٧ : أن الشريف خيرات بن شُبير من ذوي زيد . .

ويبدو أن هذا القول وقع فيه المؤلف سهواً حيث أن الشريف خيرات ليس من ذوي زيد فنسبه هو خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني . وآل زيد يعودون في الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن محمد أبي نمي الثاني .

٤ ــ أشار المؤلف ص ٥٣٧ : إلى أن نسب محمد بن عون يعود إلى ذوي زيد . .

وهو في الحقيقة ينتمي إلى الأشراف العبادلة وليس إلى ذوي زيد فنسبه الكامل محمد بن عبدالمعين بن عون بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن محمد أبي نمي الثاني وذوو زيد ذكرت نسبهم سابقاً .

٥ ــ أشار المؤلف ص ٦٢٠ : أن اسم الجد الأول لمؤسس دولة الأدارسة في تهامة هو السيد أحمد بن إدريس المغربي دون ان ينسبه إلى أسرته وهم الأشراف الأدارسة .

ثم أورد أنه وُلد ببلدة العرائش من أعمال القيروان وأنه أخذ عن الشيخ عبدالوهاب التّازي .

وهذه المعلومات لا تكون واضحة للقاريء وتحتاج إلى تحقيق فالسيد أحمد ابن إدريس هو السيد أحمد بن إدريس الإدريسي نسبة إلى جده الأول إدريس الأول ابن عبدالله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وجده إدريس هو الذي هرب إلى المغرب من وجه العباسيين بعد موقعة فَخٍّ عام ١٦٩هـ وقد علمت من أستاذي وجَدِّي الخال الشريف مساعد بن منصور مؤلف « جداول أمراء مكة وحكامها » بان فَخًّا بقرب حيٍّ الزاهر بمكة المكرمة .

واستطاع السيد إدريس أن يؤسس أول دولة للاشراف العلويين بشمال

أفريقية ودفن بمنطقة زرهون ، بالمغرب الأقصى بالقرب من مدينة فاس التي أسسها ابنه إدريس بن إدريس وبقيت قاعدة للأشراف الادارسة .

والسيد أحمد بن إدريس ولد ببلدة العرائش بشمال المغرب الأقصى وتلقى علومه في قاعدة أجداده فاس على يدي السيد عبدالعزيز الدباغ الإدريسي ، والشيخ عبدالوهاب التازي ، ثم رحل إلى الحجاز ، وممن تتلمذ على يد السيد أحمد : السيد محمد علي السنوسي الإدريسي جد ملوك ليبيا السابقين فنسبة الإدريسي لا تعود إلى اسم أبيه بل إلى اسم جده الأول إدريس بن عبدالله ، فصياغة ترجمته التي صاغها الأستاذ العقيلي تعطي الانطباع بأنه مجرد شخص مجهول ، يدعى السيد أحمد بن إدريس قدم من البلاد التونسية مغمور النسب ، وإلاّ لذكر نسب قبيلته وكان لنسب قبيلته العلوية الهاشمية الأثر الكبير في ترسية دعائم دولة الادارسة بتهامة وقبول حكمهم فيها ، فهو السيد أحمد بن إدريس الإدريسي نسباً ، المغربي وطناً .

واني لأرجو أن تسع رحابة صدركم لنشر هذه الملاحظات عن هذه الموسوعة التاريخية العظيمة التي تمكن الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي حفظه الله من إنجازها وحده .

جدة : وجدي بن عبدالله الإدريسي

آل الخريصي من الخرصة من شمَّر

لُوْحِظَ أنكم تجاهلتم في الكتاب الذي أصدرتموه عن الأسر المتحضرة في نجد (آل الخريصي) المنتشرين في الزلفي وبريدة وحائل وبعض مدن الشمال . مع أنّهم يرجعون إلى العودة من الدعالجة من البريك من الخُرصَة من شمَّر .

وهذا شيء معروف وثابت وتؤكده الأحداث القديمة والحديثة ، ولكن يبدو أنكم أخذتم بما يشاع عنهم بأنّهم (خضيريّة) وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

ثم أضاف الأخ الكاتب : جَدُّ (حمولة آل الخريصي) اسمه حسين بن سمران بن جابر العود ، جاء إلى الزلفي إثْرَ شتات الخرصة بسبب معارك العِدْوة التي وقعت في عام ١٢٠٥هـ ثم تفرق أبناؤه وأحفاده بين منفوحة ، وبُريدة ، وحائل ، بالإضافة إلى الزلفي ، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي المعروف ، وبندر بن عبدالرحمن الخريصي المعروف .

العرب : هذا ماكتب به الأخ هشال بن عبدالعزيز الخريصي ــ في مدينة الرياض ــ ويظهر أنه لم يكن على علم تامٍّ بما يتَّصِفُ به مؤلف كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجدٍ » من حرص شديد على أن يسجِّل جميع ما يطلع عليه من المعلومات الصحيحة حين اتجَهَ لتأليف ذالك الكتاب ، وأنه حرص على أن يحوي كُلَّ ماعُنِي به المهتمُّون بهذا الجانب من تاريخ أمتنا وبلادنا في جميع المؤلفات والمشجراتَ والوثائق التي اطلع عليها مما يتعلق بالنسب .

وكان عَتْبُ الأخ الكاتب في مَحَلِّه لَوْ وَجَّهَ إلى مؤلف كتاب « جمهرة أنسابَ الأسر » مايدل على تجاهُلِه أوْ إهماله لذكر نسب أسرة مذكورة في مؤلف أو مشجَّرٍ معروف . إذْ الأُسَرُ المذكورة في ذالك الكتاب ماكان موقف المؤلف حيالها إلاَّ تسجيل مايتعلق بها من تلك المصادر المعروفة ، فكيف والأمر كما ذكر ــ يجوز للأخ الكاتب أن يصف المؤلف بالتجاهُل ؟

ثم بعد ذالك (يُوصَمُ) بأنه أَخَذَ بما يشاع عن أصل تلك الأسرة الكريمة ؟

وما الذي يدعوه للأخذ بالإشاعات وترك الحقائق وموقفه في كل ما يكتبه عن الأنساب محاولة نفي كل ما يلصق بأية قبيلة من نسبة سيئة ، وإيراد ما يصحح انتساب تلك القبيلة إلى أصل ثابت ؟

وبعد : فما على الأخ الكريم أي أخ كان ومن أية أسرة كانتْ إلا أن يوضح بطريقة لاتقبل الشك ولا التردُّدَ نسب أسرته الكريمة وفروعها . . ثم يوجه بعد ذالك ما يريد توجيهه من عتاب أو اتهام .

أسماء مواضع محرفة
في منطقة القطيف

اطلع الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد المُسْلم على مانشر في «العرب» صـ٤٠٠ س٢٢ بعنوان (الدمام والقطيف) وكانت المجلة قد استوضحت من الأستاذ مايراه في الأسماء المحرفة الواردة في ذالك المقال ، فأفضل ــ مشكوراً ــ بكتابة هذا التعليق ــ

المقال ــ كما يعرف أستاذنا الفاضل ــ مترجم من لغة أجنبية ، ومنقول من جريدة «الليفانت هرلد» وطبيعي أن يحدث فيه التحريف ، لاسيما إذا عرفنا أن المترجم بدوره يجهل هذه الأماكن وأسماءَها ، فمن ثم حرفت تَنُّورة إلى (تموره) وصفوى إلى (سافويا) وسيهات إلى (صيحات) ودمام إلى (دامان) وعنك إلى (اينك) وهي الأسماء التي اهتديتم إلى تصحيحها بحكم معرفتكم بالمنطقة . وهذا بالضبط ماحدث لمترجم كتاب «دليل الخليج» لمؤلفه ج .ج . لوريمر في تحريف أسماء المدن والقرى والأماكن .

وهناك أسماء محرفة تحريفاً شنيعاً ، يستدل عليها من مجرى الأحداث التاريخية ، كمدينة المبرز التي حُرِّفتْ إلى (البورز) وصفحاف التي هي مدينة الهفوف وأوانه (العوامیه) وقاده (القديح) وتهاريه (تاروت) . وهذه الكلمات وإن ابتعدت عن لفظها الأصلي إلا أن قرب العهد بها وهو أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حيث استقرت أسماء المدن وفق صيغها الحالية كل ذالك يؤكد أن تلك الأسماء قد حرفت في ذلك المقال ، إذ لا وجود لهذه الألفاظ في ذلك العهد ، كما يشهد لوريمر مؤلف « دليل الخليج » .

أما عين (الرافين) فأعتقد أنها العين المعروفة بعين (جاوان) وهي أقرب عين لمنطقة رأس تنورة .

هذا ماعنّ لي من ملاحظات فيما يتصل بالموضوع .

* أخبار مكة للفاكهي :

منذ أَمدٍ قريب صدر الجزء الأول من كتاب « أخبار مكة » للإمام محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي المكي ، من علماء القرن الثالث الهجري ، بتحقيق الأستاذ الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دُهَيش ـ « العرب » س ٢٢ ص ٢٨٧ ـ وهاهو الشيخ عبدالملك ـ وفقه الله وزاده قوة ونشاطا ـ يواصل عمله النافع ، فيصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في طبعة جيدة ، ورقاً وحروفاً وحسن تنسيق ، فقد جاء هذا الجزء في ٣٩٦ صفحة وصدر عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) عن مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، وفي آخر الكتاب فهرس لموضوعاته العامة ، إذِ المحقق الكريمُ سيضع فهارس مفصلة للكتاب جميعه عند إكمال نشره ـ كما أشار إلى ذالك في مقدمة الجزء الأول ـ .

ويعد كتاب الفاكهي من أقدم الكتب المؤلفة في تاريخ مكة ، والمؤلف معاصر للأزرقي صاحب كتاب « أخبار مكة » ، ولهذا يعتبر كتاب الفاكهي من أهم المصادر وأوثقها في موضوعه .

* جمهرة النسب لابن الكلبي :

سبق أن تحدثت « العرب » عن هذا الكتاب مراراً ومن آخرها مايتعلق بنشره من قبل الأستاذ محمود فردوس العظم في ثلاثة مجلدات ـ «العرب » س ٢٠ ص ٤٢٩ ـ وقبلها قامت به وزارة الاعلام في الكويت بنشر جزء منه بتحقيق الأستاذ عبدالستار أحمد فراج ـ « العرب » س ١٩ ص ١٣١ ـ .

وهاهي طبعة ثالثة للكتاب عن أصل واحد ، هو مخطوطة المتحف البريطاني ، وهذه الطبعة الجديدة حققها الدكتور ناجي حسن ، وصدرت عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) في مُجلد واحد ، أُلْحَقت به فهارس شاملة ، فجاء في ٧٣٦ صفحة

مطبوعا في بيروت طباعة حسنة ، وقد رجع المحقق إلى كتاب « المقتضب » لياقوت الذي ذكر أنه حققه وأنه نشر حديثاً .

وحَبَّذَا لو أَنَّ المحقق الفاضل رجع إلى كتاب أهم من كتاب ياقوت وهو « المختصر » الموجود أصله في مكتبة راغب باشا في (استنبول)، والذي اتضح لي أنه من تأليف المبارك بن يحيى بن المبارك الغساني الملقب مُخْلِص الدين المتوفي سنة ٦٥٨ ــ « العرب » س ٢١ ص ٢٨٩ ومابعدها ــ فهذا المختصر أوفى بكثير من كتاب « المقتضب » ونسخته أوثق وأصح ضبطا ، وفي هوامشها إضافات قيمة من المختصر تزيد الكتاب فائدة .

ومع كل ماتقدم فلعل أوثق مطبوعة وصلت إلى يد القارىء الآن هي مطبوعة الأستاذ العظم الذي حاول فيها أن يتخلص من أخطاء الطباعة فنسخها بيده وبذل جهداً مشكوراً في عمله ، ورجع إلى المختصر المشار إليه .

* **الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد :**

ويُعْنَىَ الأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان بن عثيمين ــ فيما يُعْنَىَ به من جوانب البحث ــ بجمع كتب الطبقات ودراستها وتحقيق مايراه جديراً بالتحقيق منها ، وخاصة مايتعلق بتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وكان من أثر اهتمامه بهذه الناحية تحقيق كتاب « الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد » ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي (٨٤٠/٩٠٩هـ) ، وكتاب « المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الإمام أحمد » لإبراهيم بن محمد بن مفلح (٨١٥/٨٨٤هـ) إلى كتب أخرى يعنى بها الأستاذ الدكتور ــ زاده الله قوة ونشاطاً ليتحف بها طلاب العلم ورواد المعرفة ، فهو من المنقبين في خزائن الكتب في أرجاء العالم العارفين بنفائسها ، وقد جمع من ذالك ذخيرة طيبة .

وقد صدر كتاب « الجوهر المنضد » لابن عبدالهادي بتحقيق الدكتور بمقدمة ضافية عمن ألف في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، مع ترجمة مفصلة للمؤلف تقع هذه المقدمة في ٨٩ صفحة ثم الكتاب محققا مفهرسا فهارس وافية ، جاء كل

ذالك في ٢٥٠ صفحة بالمقدمة ، والطباعة حسنة جيدة ورقا وحروفا ، والناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة وتاريخ النشر ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

*** نظم الفرائد وحصر الشرائد :**

وصدر بتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين كتاب « نظم الفرائد وحصر الشرائد » للمهلب بن حسن بن بركات المهلبي المتوفي سنة ٥٨٣ ، وهي منظومة مشروحة في الأشباه والنظائر النحوية مُصَدرة بمقدمة للمحقق الكريم أوضح فيها اتجاهه للعناية بهذا الكتاب ، الذي عثر على مصورة منه عن مكتبة الاسكوريال ، فدرسها ونسخها وقابلها بأصلها ، وعلق عليها ، ثم اطلع على مخطوطتين أخريين استعان بهما في التصحيح ، فكان أَنْ نشر الكتاب نشراً علميا ، وصدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة ومكتبة التراث في مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) مطبوعا في القاهرة بمطبعة المدني ، طباعة جيدة ورقا وحروفا في ٣١٢ صفحة .

*** فصيح العامي في شمال نجد :**

كثيراً ما كنت أَتَمَنَّى أن يُعْنَى الدارسون والباحثون من أبناء بلادنا بما هو أوثق ارتباطاً بها ، وأعمق أصالة بماضيها فذالك أجدى نفعاً من بذل الجهود العظيمة في دراسات هي أبعد ماتكون عن هذه البلاد مما يقف الجهد فيها على ما يناله الدارس من تقدير علمي أو مادي خاص ، وما هكذا غاية العلم والعلماء الذين يدركون أنه لا فائدة في الوجود في هذا الكون ما لم يكن الموجود فيه ذَا نَفْعٍ مستمر .

ولقد سعدت حين تلقيت كتاباً يحمل عنوان « فصيح العامي في شمال نجد » في جزءين بلغت صفحاتهما ١١١٤ من تأليف الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء ، تناول في هذا الكتاب دراسة كثير من الكلمات التي يستعملها العامة في شمال المملكة وهي من الفِصَاح ، وقد رتب هذا المؤلف على حروف المعجم حسب نطق الكلمة ، وحاول إرجاع كل كلمة إلى أصلها العربي الفصيح ، فَوُفِّق في كثير منها ، لأنني لم أقرأ بعد الكتاب ، ولكنني أُعْجِبت باتجاه مؤلفه ، وهو اتجاه حميدٌ ، ولاشك انه سيجد من المعنيين بالشؤون الثقافية وبالدراسات اللغوية تقديراً وأهتماماً . وفقه الله وزاده قوة ونشاطا .